
عُشُّ
الشَّيْطانِ



الكتـــاب : عُـش الشيطان
المـــؤلـــف :سنيـــه زايـــد
تـدقيـق لغـوي: عبدالله أسامة
تنسيـق داخلي : سمـــر محمد
الطبعة الأولى: ينـــايـــر 2018
رقـم الإيـداع : 2017/20128
978-977-6541-32-0 :I.S.B.N

المدير العام:محمد شوقي
مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
01150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار



سنيه زايد



إلـــى



أبي

زوجي

إهــداء

إلى كلِّ الأرواحِ التَّائهة الَّتي ضلَّت الطَّريق

وما زالت تُفتِّش عن سبيل العودة.

المقدمة

حين يسكنك ألفٌ غيرك

تُفتِّش عنك ولا تجدها

تذهب تبحث عنها، تعود بأشلائها

ولا تجد لك بداخلك مكان!

الأول

نهاية أم بداية!

تحت ستار اللَّيل، وسط رياحه العليلة، ورائحة الشِّتاء الَّتي لم تنقضِ بعد، كانت تُحاول فتح عينيها، لكنَّ جفنيها تشابكا كحبيبين أبيا أن يتفرَّقا! ثقيلين كأنَّ صخرتين تحطَّانِ فوقهما! بعد ثوانٍ مُتتابعة من محاولاتها فتحتْهما على مضض، تحاول أن تصحو من ذاك النوم الثقيل! جسدها شبه مخدر بالكامل، تُحسُّ الألم بمُؤخِّرة رأسها، بدأت تُحرِّك جسدها بصعوبة، تُصارع لرفع ذاك الرأس المصنَّم عن الأرض، تحاول جاهدةً تحريك أطرافها الَّتي لا تكاد تشعر بها إلا من وخزة ضعيفة تخبرها أنها ما زالت تحتفظ بهم! ارتكزت على يدها اليسرى بصعوبة وهي ترفع نصفها العلوي قليلًا، بدأت تعي ما حولها شيئًا فشيئًا، تحاول تحريك يدها اليمنى لتستند عليها، لتلتفَّ نحوها على مهلٍ وتجحظ عيناها فجأة؛ حين وجدت أصابعها تُطبق على مُسدَّس! انتفضت فوقع من يدها!

ظلَّت مكانها جاثيةً على ركبتيها تنظر إليه لبرهة، مُشتَّتةً تحاول السيطرة على جسدها الَّذي بدأ يستعيد وعيه! تلك المرَّة عاودت النظر حولها في كلِّ شيءٍ بتمعُّنٍ وذهول! لا تعرف هذا المكان! لا تألف أيًا من قطع الأثاث هذه! أو تلك اللَّوحات على الحائط! كلُّ شيءٍ غريبٌ عنها! اصطدمت عينها بساعة مُعلَّقة فوق الحائط المقابل لها، تُشير عقاربها إلى تمام الثانية عشرة، شردت للحظة في هذا الظلام البادي من خلف الزجاج أمامها، وهي تطرف بعينها، الَّتي اصطدمت بحاملة تقويم صغيرة وُضعت فوق طاولة قريبة منها، لتجري عينها على تاريخها العاشر من مارس لعام ألفين وتسعة، ازداد ألم رأسها بقوة، وضعت يدها اليسرى على مُؤخِّرة رأسها تتحسَّس مكان الألم، لكنها أحسَّتها مُبتلة! كما شعرت الرطوبة بظهرها، كالنائم ببركةٍ من الماء! رفعت يدها عن رأسها وقرَّبتها إلى وجهها، فتحت عينيها عن آخرهما من صدمة تلك الدماء على كفِّها! أمعنت النظر براحتيها كأنها تتأكَّد أن هذا السائل الأحمر الَّذي يُلطِّخها هو الدماء! تلك المرَّة انتفضت بقوة وهي تستدير بجسدها للاتِّجاه الآخر، بحركة لا إرادية منها وضعت كلتا يديها أرضًا لتسند هذا الجسد الَّذي عاوده الثقل، لكن تلك المرَّة من الرهبة! لتجدهما يغوصان ببركة من الدماء تمتد تحتها! زاد اتساع عينيها الشاخصتين بتلك البركة الحمراء، الَّتي وجدت

نفسها راكعةً داخلها! إلا أنها لم تكن تحتها فقط! وجدتها تمتد إلى بعيد، أم أنها أتت من ذاك البعيد؟! ظلَّت عيناها المشدوهتان تتبعان تلك القناة الصغيرة من الدماء، الَّتي شقت طريقها على تلك الأرضية الفاخرة، حتى اصطدمت ببحيرة أكبر تمتد بها يد! ظلَّت أنفاسها المُتقطعة تلاحق عينيها المذهولتين، الَّتي لم تعد تملك إلا أن تتبع تلك اليد الممدودة وسط الدماء، لتُصعق تلك اللحظة بعينين تنظران إليها! مُثبتتين عليها تجحظان من محجريهما دون حياة! شهقت وهي تنتفض للخلف وتدفع بقدميها جسدها بعيدًا عن تلك البقعة، تحاول التشبُّث بأنفاسها ومنع نبضاتها من الفرار بعيدًا عنها وعن هذا الجحيم الَّذي استيقظت به! أخذت بضع لحظات تحاول لململة شتاتها، مُعلَّقة دون وعي بتلك العيون الشاخصة بعينيها! تلك الجثة القابعة أمامها بسكون مميت، اعتقدت لثانية أنه ربَّما ما زال على قيد الحياة! همَّت تلتقط أنفاسها المُبعثرة وتزحف بروية مُرتعبة على ركبتيها لتتحسس نبضه، لكنه لا يتنفس! وقبل أن تقف ويبدأ عقلها باستيعاب ما يحدث حولها، وعينها تنتقل بين الدماء على يديها والمُسدَّس بجوارها وتلك الجثة أمامها! سمعت أصواتًا مُتلاحقةً ودفعًا قويًا على باب لا تراه! هبَّت للوقوف وما زالت ثقيلة الحركة والوعي، كُسر الباب فجأة! وجدت رجال الشرطة يحيطون بها من كلِّ اتِّجاه! يُوجِّهون أسلحتهم نحوها ويطلبون منها أن تجثو على ركبتيها، وأن ترفع يديها للأعلى ولا تتحرَّك! نفذت دون تفكير، وعينها تكاد تغادر محجرها من هول مفاجأة ما يحدث! تجُول بكلِّ شيءٍ حولها كالمنومة مغناطيسيًا لا تدرك شيئًا! تقدَّم ضابط نحوها، أرخى يديها من خلفها إلى أسفل ظهرها وقيدها بالأصفاد الحديدية، توقَّفت عينها فجأةً تتأمل تلك الجثة الهامدة، المُسدَّس بجوار قدمها! ورأسها يصرخ بألف سؤال لم يقدر لسانها على النطق بأي منها! **أين أنا؟ ما الَّذي يحدث؟** ليتوقَّف صراخها الصامت، وتخرج صرخة مدوية بداخلها... **من أنا؟** وقبل أن يوقفها الضابط على قدميها سقطت مغشيًا عليها!

***

على الجانب الآخر من المدينة، بعد أن تخطت الواحدة بعد منتصف اللَّيل بقليل، بأحد الفنادق الفاخرة للقاهرة الساهرة، كان يقضي وقته بالنادي اللَّيلي كعادته! فهو يعشق الحياة المُرفهة المُتغيرة، يجلس إلى طاولته المُفضلة بذاك الركن البعيد عن الصخب، المُلاصقة لزاوية مرتفعة بعض الشيء عمَّا حولها! بإضاءة خافتة قد تكون مُنعدمة! يتخذ موقعًا مميزًا يُمَكِّنه من رؤية أكثر الموجودين بالمكان، ولا يُمَكِّن الكثيرين من رؤيته! غير أنه يُفضل دومًا أن يكون ظهره مُواجهًا للجدار! فهو من هؤلاء الَّذين لا يثقون بغير الجدران الصخرية خلفهم! جلس بكامل أناقته وأرستقراطية تنم عن كونه

أحد أمراء الحكايات القادم من الزمن البعيد! ذو وجه مُستدير بلونه الخمري وقامته متوسطة الطول والبنيان، يبدو أنه تخطَّى أواسط الأربعينات من عمره، بذقنه ذات اللحية المُهذبة وشعره الأسود الداكن، يرتدي بدلته المُنمَّقة كلاسيكية التصميم بلونها الكحلي، قميص بلون صفاء السماء، وربطة عُنق اختلط بها كلاهما، يُحيط به أربعة من رجال حراسته الخاصة، المُدججين بالسلاح الَّذي لم تُواريه ستراتهم! ذلك الحرس الَّذي بات صيحة استعراضية، يتخذها الَّذين يطلقون على أنفسهم بتلك الأيام شخصيات هامة، وأغلبهم لا يمثلون إلا قاع المجتمع الفكري والأخلاقي والنفسي، فهم كما الآفة المُتأصلة بجسد صار مُرتعًا لكافة آفات العصر، الَّتي غرزت أنيابها بجسد ضحيتها لتنهم من دمائها بشراهة مُقززة!

كان يستمع بوله لتلك المطربة الجديدة، الَّتي لم يجذبه صوتها كما جذبه رسمها، كان يُمعن النظر بها ويبدو عليه نشوة الخيال بين السُحب، ترمقه هي بابتسامات عابرة! حتى أسقطه ذاك الصوت الأجش ببحته المُفزعة! بما يرتديه من تلك الملابس العصرية من بنطلون جينز وكنزة رمادية، شخص عريض الكتفين قوي البنيان وافر الطول، له وجه داكن البشرة حاد الملامح، جامد النظرات كثور انفلت من قفصه، تحدث بتلك البحة المزعجة...

- كلُّ شيءٍ يسري كما خططنا له.

نظر له المُتأنق بتعالٍ، والثور الضال يجلس إلى جواره...

- هل نظفت كلَّ شيء؟

أمسك بكأس فارغة يصب بها من زجاجة الخمر، وبابتسامة ساخرة من جانبه...

- هذا ما أُجيد فعله، لكن...

انتفض الآخر بنظرة ضيق ارتسمت بوجهه، فأكمل...

- لا شيء يستحق القلق، هي فقط عثرة صغيرة.

وقبل أن يرفع الكأس لفمه، أمسك الآخر ساعده بقوة، وعينان يتطاير منهما الشرر، لم تكن لتعتقد بالوهلة الأولى أنهما قد يسكنان شخصًا بمثل هيئته الأرستقراطية...

- "**سعد**".. هل تعلم إن أفسدت هذا الأمر... ما الَّذي سنفعله بك؟

بادله **"سعد"** ذات النظرة الغاضبة...

– أخبرتك أن كلَّ شيءٍ جيد.. كانت عقبة بسيطة وانتهيت منها، لِمَ لا تتوقَّفون عن القلق؟!

عاود الاعتدال بمجلسه، والنظر لتلك المُتمايلة على أنغام الموسيقى، أمسك بكأسه، وقد عاد لهيئته الأولى دون عناء يذكر، كما الحية الَّتي تُغير جلدها في طرفة عين! ودون أن يلتفت إلى **"سعد"**...

– أين هو؟

– لم أجد شيئًا.

فارتد من حلقه ما كان به، انتفض من مجلسه بغضب علا له صوته، عادت لتتبدل ملامحه، لتُشرق بلهيب الجحيم ينتفض بين تقاسيمها...

– ماذا؟

نظر نحوها **"سعد"** وهي تُزيد بدلالها، ويميل هو برأسه قليلًا دون مبالاة لنوبة غضبه...

– **"كامل"** بك... أخبرتك لم أجد شيئًا.

جذب **"كامل"** نظره إليه، بقبضته تضرب الطاولة بقوة، وبعينين خرجتا من الجحيم توًّا، انتبه **"سعد"** وانتابه القلق لكنه تمالكه داخله...

– فتَّشت بكلِّ مكانٍ فلم أجد ذلك الحاسوب النَّقَّال، حتى إنني لم أجد أي جهاز حاسوب بتلك الشَّقَّة!

صمت **"سعد"** لحظة، تجرع بعضًا من كأسه، أردف بابتسامة ساخرة...

– ولقد سألتها قبل أن أقتلها، لكنها ابتسمت وقالت: **لن يجدوه، سأدمرهم حية أو ميتة.**

انتفض **"كامل"** من مجلسه مُدجَّجًا بالغضب، والسُخط يجتاح كلَّ ذرةٍ بوجهه، ويتطاير الجحيم من بين أنفاسه، يُزيح كلَّ ما يقف أمامه ويُحوِّطه رجال حراسته بحذر!

ظلَّ **"سعد"** ذاك الثور الضال يجلس ويتجرع من كأسه، ويهزُّ رأسه بسخرية ويُحادثه

لسان حاله.. **ما الشيء الهام بذلك الحاسوب والَّذي يجعلهم قلقين إلى هذا الحد!** حين اقتربت منه فتاة تبتسم له وحطت بيدها على كتفه، تتلمس بأطراف أناملها ذاك العقرب الجالس على رقبته من الجهة اليُسرى، ذلك الوشم المرسوم باحتراف مُتقن حد الرعب!

بصباح اليوم الثالث عاودت فتح عينيها ثانية، لكن تلك المرَّة لم تكن تشعر بالآلام الَّتي شعرتها بالمرَّة السَّابقة، فتحتهما وأغلقتهما عدة مرَّات مُتتالية حتى استطاعت فتحهما جيدًا، لتجد نفسها ترقد على سرير بمنتصف غرفة ذات جدران بيضاء اللون، تُحيطها بعض الأجهزة الطبية، والخراطيم المتصلة بذراعها وجسدها، همَّت للاعتدال فوجدت إحدى يديها مُقيدة إلى السرير! اعتلاها الضيق وحاولت جذب يدها ممَّا أحدث بعض الجلبة، ليُفتح الباب وتجد إحدى المُمرِّضات تقف أمامها، وهي تبتسم، وبصوت مُرتفع - «**لقد استعادت وعيها**». فأطل طبيب يبدو عليه الهرم من خلف كتفها، تقدَّم نحوها بابتسامة فاترة، تحسس نبضها وتفقد تلك الأجهزة...

- يبدو أنكِ تحسنت كثيرًا.

ليظهر صوت من خلفه، صوت قد ميزته! فله حدة علقت برأسها من المرَّة الأولى! هو ذاك الضابط بوجهه الصلب ونظراته المُقلقة وبنيانه المتوسط كما قامته، وعينيه السوداوين بنظراتهما المُتحجِّرة، وبشرته المائلة للسُمرة، شارف الأربعين من عمره، صدى خطواته يقترب منها، وبابتسامة باهتة...

- هذا جيد، إذًا أستطيع سؤالها الآن؟

أومأ الطبيب له إيجابًا، خرج الجميع، وقف الضابط يُمعن النظر بتلك الراقدة بمنتصف السرير، فتاة ذات بشرة فاتحة تميل للخمرية أكثر، بشعر أسود طويل ناعم ينسدل على كتفيها، ووجه مستدير بتقاسيم يغزوها جمال هادئ لا ينم عن قاتلة! وعينين بلون البندق واسعتين كنفهما الإرهاق والتعب، متوسطة القامة والوزن، ولا يبدو أنها تخطت الخامسة والعشرين من عمرها، بدأ يسألها وهو يتقدَّم نحوها...

- ما اسمك؟

تحجَّرت عيناها، كأن السؤال صدم عقلها بقوة! فعاود بحدة...

- ما اسمك؟

رفعت عينيها نحوه، وبنظرة حائرة...

- لا أعرف!

ابتسم بدهشة...

- عفوًا!

- لا أعرف!

أمعن النظر بعينها، وهو يزفر...

- كم عمرك؟

لم تجب، ولم ينتظر هو، فأمطرها بسيل من الأسئلة المتلاحقة...

- أين تسكنين؟ لماذا قتلتِ المجني عليه؟ وما علاقتك به؟ كيف دخلتِ إلى الفيلا؟ هل يساعدك أحد؟

لم تجب، انحنى على سريرها واستند إليه بكلتا يديه، والحنق يزيد بعينيه الغاضبتين...

- تحدثي... صمتك لن يُفيدك بشيء، ولن يُزيد وضعك إلا سوءًا.

أجابته بضيق فزع، رجَّ صداه الجدران القابعة حولهما...

- لا أعرف.. أخبرتك أنني لا أعرف!

فانفتح الباب فجأةً على صوت صُراخها ليجدا الطبيب ومن خلفه المُمرِّضة...

- ما الَّذي يحدث هنا؟

لم يجب أيهما! لكن تلك النيران الممتدة جسرًا بين العيون، كانت كافية لأن يطلب من الضابط الخروج؛ فخرج، وهو يضحك ساخرًا - «**أتعتقد تلك الحمقاء أنني تخرجت من كلية الشرطة العام الماضي!**» بعد فترة وجيزة خرج، سأله الضابط بضيق وهو يزفر أنفاس سيجارته الَّتي أغضبت الطبيب فقد تناسى أنه بمشفى...

- ما الَّذي يحدث؟

- أعتقد أنها فقدت الذاكرة!

ابتسم بحنق لم يفهمه الطبيب، فأردف...

– هي لا تتذكَّر شيئًا، لا تعلم أي شيء عن نفسها، أو بأي الأيام أو الشهور نحن!

– عن ماذا تتحدث؟

– أخبرتك سابقًا... أنها تعرضت لضربة قوية على رأسها.

– لكنك أخبرتني أنها لم تتسبب بنزيف أو كسرٍ برأسها... لا شيء خطير!

– بالفعل.

صمت لحظة، ليُرتب الحروف والكلمات الَّتي سيقولها...

– لكن فقدان الذاكرة شيء مختلف، قد لا تتسبب ضربة كهذه بأذى جسدي جسيم، باستثناء الجُرح بمُؤخِّرة رأسها، إلا أنها قد تؤثر بشكلٍ أو بآخر على مراكز الإحساس لديها، أو مراكز الذاكرة كما أعتقد الآن! وهذا ليس بالشيء الحسي الملموس، الَّذي قد أكتشفه من الوهلة الأولى! كان لا بد أن تستعيد وعيها كي يظهر أين الخلل تحديدًا! وحقيقةً لست مُتأكِّدًا أهو فقدان دائم أم غير ذلك؟ لذلك سنجري بعض الفحوصات ونرى.

ثار الضابط وبدأ الغضب يركض بتقاسيم وجهه، خاصة أنه لم يفهم الكثير...

– إنها كاذبة... هي تدَّعي لتهرب من الاعتراف بجريمتها.

فجاراه الطبيب، وهو يرى تلك النيران تتأجج بعينه...

– سنرى... بالوقت الحالي سنستدعي طبيب أمراض عصبية ونفسية.

– ماذا؟

– إن كانت مصابة بفقدان ذاكرة حقًا فإنها ستحتاج إليه، وإن كانت تكذب فلن يكون من الصعب عليه اكتشاف ذلك.

لم ينتظر الطبيب ردًا، أخرج هاتفه من جيب معطفه، وراح يُفتش داخله، لحظةً وضغط زر الاتصال...

– سأهاتف الدكتور **"رياض"**، هو طبيب جيد، يعمل بالمشفى هنا، وقد حقق تقدُّمًا مع كثير من حالات مُشابهة، متخصص بذلك النوع، ويعمل عليه منذ فترة ليست بالقليلة.

قبل أن يُكمل فُتح الخط المقابل، ابتعد بضع خطوات وهو يجيب بابتسامة! فتمتم **الضابط** بحروف حانقة – «**جيد.. أتعتقد هذه الحمقاء أن تلك اللعبة ستنطلي عليّ.. لنرَ!**» لوَّح بيده لشخص بنهاية الممر، كان يتجه نحوه بطوله الوافر وبنيانه القوي وشعره الأسود كما عينيه، وبشرته البيضاء، قارب عقده الثلاثين، يعتلي ابتسامته الهادئة طموحُه، زاد من خطواته باتِّجاه الضابط الغاضب...

– "**شريف**" بك.. آسف على التأخير.

أجابه "**شريف**" بعدم اهتمام وما زال غضبه يعتليه...

– أريد أن أعلم كلَّ شيءٍ عن تلك الفتاة.

هز الآخر رأسه إيجابًا، ثُمَّ انتبه "**شريف**"...

– ألم تُفتش تلك الفتاة حين أوثقتها؟

– كلَّا... لم تُمهلني فقبل أن أُوقفها وقعت.

– أين الملابس الَّتي كانت ترتديها؟ لاحظت أنها ترتدي ملابس تخص المشفى؟

نظر نحوه الضابط الآخر ببلاهة فهبَّ فيه...

– تحرَّك يا "**سمير**".. جِد ملابسها!

همَّ "**سمير**" راكضًا، يبحث عن المُمرِّضة الَّتي أبدلت ثيابها، بعد دقائق ليست قليلة عاد يرسم ابتسامة النصر بالأولمبياد على وجهه! يلوِّح بملابسها وشيء آخر في يده...

– تلك هي ملابسها، وهذا هو إثبات الشخصية الخاص بها.

أمسكه "**شريف**" فقد ظفر بفريسته...

– "**شهد إسماعيل العشري**".

راح يُحرِّك الإثبات بين أصابعه، يأكل بخطواته الأرض ذهابًا وإيابًا، يُردد اسمها بضيق، وبنظرة صارمة لـ"**سمير**"...

– أريدك أن تذهب لهذا العنوان الموجود بإثبات شخصيتها، وتعرف كلَّ شيء عنها، وأنا سأعود إلى المديرية، لنرَ ما الَّذي وصل إليه رجال البحث الجنائي والطب الشرعي حتى الآن.

غادر كلاهما بعد أن وُضعت حراسة تكفي لتأمين سجن بأكمله على غرفتها! ممَّا أثار حفيظة بعض الأطباء بالمشفى وأثار دهشة البعض الآخر!

ظلَّت مُقيدة إلى ذاك السرير بحنق يطير برأسها! ليس لتلك القيود الَّتي تحوِّط يدها، إنما لتلك الَّتي تحوِّط عقلها! كيف لها أن لا تتذكَّر من تكون؟ ربَّما ينسى الإنسان الكثير والكثير عن ذاته، لكن هل ينسى ذاته بحد نفسها؟! يسهو عن بعضٍ من وجوده، لكن هل يسهو عن وجوده بأكمله؟! اندفاع الأسئلة برأسها راح يجتاحها، يدفعها للجنون تصرخ ويزداد صراخها! إلا أنه صُراخ داخلي، لو تعالت صيحاته لأسكتت العالم من حولها! كانت رياح الغضب تركض بين ضلوعها وترسم عواصفه على وجهها الحانق، حين طُرق الباب عدة طرقات، فانتبهت، دلفت ذات المُمرِّضة وبيدها صينية الطعام، تركت الباب خلفها مُواربًا على حسب الأوامر، تقدَّمت إليها بخطوات بدت مُضطربة! إلا أن "**شهد**" لم تُبدِ أي اهتمام، قربت المُمرِّضة الطعام كي تضعه أمامها، لكنها لم تكن تريد، حين بدأت المُمرِّضة بالإصرار على أنه يجب أن تتناوله! رفضت تلك المرَّة بنظرة غاضبة وصوت حانق، التفتت المُمرِّضة إلى الباب المفتوح، ثُمَّ عاودت النظر نحوها باضطراب أكبر! تتلفَّت عن يمينها ويسارها! قالت بصوت مُتقلقل به رجاء، وهي تُزيح أحد الأطباق...

– أرجوكِ فلتأكلي الخبز فقط... أنتِ تحتاجينه بشدة!

رفعت طرف عينها نحو المُمرِّضة بضيق، حين غمزت تلك الأخيرة لها، وبعينها نظرة جعلتها تنظر حيث الطبق الَّذي أزاحته أمامها! اتَّسعت عيناها عن آخرهما حين تنبهت لشيء صغير مطوي داخل الخبز! أومأت لها المُمرِّضة بابتسامة راجية إياها أن تنتهي قبل أن يلحظ هؤلاء القابعون حولهما! أمالت رأسها وسحبت الرغيف من الوسط، ابتعدت المُمرِّضة خطوات، وضعت الصينية على المنضدة الصغيرة بجوار السرير، تصنَّعت هي الأكل حتى يتسنى لها سحب تلك الورقة الصغيرة المطوية بإحكام، كأنها تحوي سر القنبلة النووية! غادرت المُمرِّضة وأغلقت الحجرة.

وقبل أن تفتح هي الورقة! فُتح الباب ثانيةً فجأة! ارتبكت وأطبقت كفها علي الورقة بإحكام، خفضته بجانبها حتى يتسنى لها إخفاؤها تحت الغطاء، رفعت طرف عينها فوجدت الطبيب الهرِم وبجواره شاب آخر! يبدو متوسط العمر ربَّما شارف الأربعين من عمره أو أقل قليلًا، طويل القامة بعض الشيء حسن المظهر والطلة، يمتلك ابتسامة هادئة وعينين بنيتين واسعتين وشعرًا قصيرًا أسود، تقدَّم كلاهما تجاهها، قدمه الطبيب بأنه

الطبيب **"رياض"** أحد تلامذته النوابغ بذكائه الفذ، طبيب نفسي، لم تُبدِ أي رد فعل على ما قاله، حتى إنها لم تلمح بعينيه أي ذكاء أو نبوغ! امتعضت بضيق، أطبق الصمت دائرته حولهم لحظات، حتى قطعه الطبيب **بأنه سيذهب ليؤدي عملًا ما يجب أن يباشره الآن..** وبالفعل غادر وأغلق الباب خلفه، تقدَّم **"رياض"** بابتسامة هادئة نحوها خطوات أكثر، وهو يجرُّ كرسيًا من جانب الغرفة، قد أثار صوت احتكاكه بالأرضية حفيظة أذنها الوسطى والأولى، وكلِّ ما خلق الله من آذان ترتبط بحاسة السمع! لم تتحمَّل أكثر فانتفضت بضيق...

- أهذا ضروري؟

نظر **"رياض"** نحو الكرسي، وزادت بسمته...

- عفوًا لم أقصد إزعاجك، لكن صوته ليس مُزعجًا إلى هذا الحد!

- ربَّما... لكنني أُعاني ألمًا برأسي.

- أهو صُداع؟

أغمضت عينيها إيجابًا، وبنظرة تزداد ثقتها من جانبه...

- مذ متى؟

- مذ استيقظت.

- يبدو أنكِ لم تنامي جيدًا.

تعلَّقت عينها بتلك الخيوط من سلاسل الشمس الهاربة إلى داخل الغرفة...

- كلَّا... أقصد مُذ استيقظت بذلك المنزل.

- أنتِ لا تتذكَّرين شيئًا ممَّا حدث بذلك المنزل؟ أو حتى قبلها؟

هزت رأسها نفيًا وهي تُعيد النظر إليه، عاود سؤالها وهو يجلس إلى الكرسي ويضع ساقًا فوق الأخرى...

- وبعدها؟

تعجبت من السؤال أو بالأحرى لم تفهمه، فبادرها بتوضيح مغزاه...

– أقصد هل تتذكَّرين كلَّ شيءٍ منذ استيقظتِ؟ لم يهرب منكِ شيء؟

– كلَّا.. على ما أعتقد، ولم يحدث الكثير بأي حال.

رفعت يدها المُكبلة إلى السرير فتبسَّم من مقصدها، فعاود الحديث...

– هذا جيد... على حسب ما قيل لي أنتِ غائبة عن الوعي منذ ثماني وأربعين ساعة تقريبًا، وربَّما أكثر قليلًا!

أمالت رأسها **بأنها لا تعلم**، فتساءل...

– ماذا حدث بكلِّ هذا الوقت؟

– نائمة على ما أعتقد!

سخرت بها، ليتبسَّم وهو يُعدِّل من جلسته...

– هو رد فعل طبيعي جدًا، وبالمناسبة هو شيء جيد، فبعد مرور المخ بصدمة مُفاجئة يدخل بحالة من الغيبوبة، لنقل أنه حين يستشعر الخطر يصنع شرنقته الخاصة الَّتي يحتمي داخلها من أي خطر يُهدده، لكنه بالنسبة إليك هو نوم فلا تشعرين بشيء، حتى إنكِ قد تحلمين، فهل راودتكِ أي أحلام؟

أمالت رأسها إيجابًا، فهمَّ واقفًا واتَّجه نحو النافذة بخطى هادئة...

– بماذا؟

صمتت لحظات وهي مُطرقة، اعتلى وجهها القلق، فالتفت إليها وهو يُمعن النظر بها، تقدَّم نحوها خطوة، استعادها بصوته الرصين...

– لن تخسري شيئًا إن أخبرتني، فبكلِّ الأحوال سيكون سرًا بيننا، فأنا طبيب ولدي قسم على أن لا أُفشي أسرار المرضى، وكلُّ ما يحدث بيننا لن يتخطَّى هذا الباب إلا بموافقتك.

أنهاها وهو يُشير نحو الباب، وتُمعن هي النظر به، فبادرته قبل أن يلتفت نحوها...

– فتاة صغيرة!

ارتسمت بوجهه علامات الحماسة للاستماع، صمتت لحظة وعقلها يُحادثها – «**ماذا لديكِ لتخسريه!**» فأردفت...

– رأيت فتاة صغيرة لديها ضفائر طويلة، بعينين برَّاقتين تُشعان بالحياة، ووجه يبتسم ببراءة ملائكية، كانت تلعب بمكان كحارة شعبية أو شيء من هذا القبيل، كانت تضحك وتمرح، تلهو بعفوية، كانت السعادة تغمرها، ثم...

صمتت لحظة، تخطته نظراتها إلى النافذة البادية ضئيلة من خلف كتفه، بشعاعٍ بسيطٍ يتسرب ليسرق أنفاسها...

– كساها الحزن فجأة، وسُجنت بقفص حديدي! لا تستطيع الخروج منه، لكن...

صمتت ووجهت عينها نحو عينه الممعنة النظر باهتمام، لتستطرد...

– لم تكن تبكي أو تصرخ ككلِّ الصغار الفزعين! رغم أن قلبها كاد يتوقَّف من الخوف والرهبة.

– وكيف علمتِ أن قلبها كاد يتوقَّف؟

فاجأها بها، فتساءلت عيناها عن مقصده، فزادت الدَّهشة بحدقتيها...

– ألأنكِ شعرتِ الخوف بتقاسيم وجهها البريء؟ أم لأنكِ شعرتِ دقاتها بين ضلوعك؟

– كيف عرفت؟

زادت دهشتها من نبرته الهادئة وثقته، كأنه يُكمل حُلمها، لم يُجب سؤالها سوى بابتسامة وهو يعاود الجلوس...

– لنقل أنها بداية مُبشرة.

غضت الطرف عن سؤالها الَّذي لم يجبه، وتساءلت بضيق كظمته...

– لماذا لا أتذكَّر شيئًا عن نفسي؟

– على العكس أنتِ تتذكَّرين.

أمالت رأسها بتعجب بدا جليًا بعينيها، فزادها وهو يميل برأسه للأمام...

– **"شهد"**!

– أهذا اسمي؟

تعجبت بها بصوت مُتردد، فهز رأسه...

- أخبريني أنتِ؟

- يبدو مألوفًا لي!

- هو كذلك بالفعل، فقد كان اسم الفتاة بالحلم.

زادت دهشتها المُتلاحقة بدقاتها...

- كيف عرفت؟

- لأنها أنتِ!

- لكنني لا أذكره!

- ستتذكَّرين.

لم تقل شيئًا، ظلَّت صامتة، ربَّما تحاول ربط تلك الخيوط بعضها ببعض؛ فرغم قلتها فإن تشابكها كبير ومعقد لعقلٍ بدا خاملًا، لاحظ شرودها فالتقطها بصوت مبتسم...

- أعتقد أنني يجب أن أغادر... وربَّما نلتقي ثانية!

- وربَّما لا!

زادت بسمته لضحكة هادئة، توقَّف لحظة وهو يُدير مقبض الباب، دون أن يلتفت...

- سنرى بهذا الشأن، بالمناسبة اسمك كان مكتوبًا بإثبات الشخصية الخاص بك، أخبرني طبيبك به.

هبَّ مغادرًا دون أن يلتفت، أغلق الباب خلفه، وفتحت الحيرة وغزو أفكارها ألف باب داخلها، راحت تعتصر غطاءها بحنق كما تعتصرها الأفكار، فانتبهت للورقة، سحبتها بروية رغم تعجلها لترى ما كُتب داخلها، فتحتها لتجد جُملة أثارت من العصف أكثر ممَّا أطفأت - «**سأخرجك من هنا، فقط التزمي الصمت!**»

❦❦❦

بمكتب طبيبها الأوَّل، جلس **"رياض"** إلى جانب مكتب أستاذه، وما زالت الابتسامة تعتليه، فبادر بالحديث...

- أعتقد أنك مُحق برأيك الطبي حولها... هي حقًّا فاقدة لذاكرتها، لكنني أعتقد

من الفحص المبدئي، أنه فقدان مؤقت نتيجة لتلك الضربة القوية على رأسها، فقدان تراجعي، وهو فقدان الذكريات الَّتي تكونت قبل الإصابة، ستحتاج الوقت كي تستعيدها، وربَّما...

- ماذا؟

- أستاذي... أنت خير من يعلم أن فقدان الذاكرة بشتى أنواعه يظلُّ حتى يومنا هذا عالم مُبهم، والنتائج به ليست قطعية أو حتى يمكن الجزم بها، فقد تستعيد ذاكرتها كاملة، وقد لا تستعيد إلا أجزاءً منها، وقد لا تتذكَّر على الإطلاق، غير أن مسألة كم سيستغرق هذا من وقتٍ غيب يستحيل الجزم به!

فاعتدل الطبيب بجلسته، وهو يُعدِّل من وضع نظارته...

- لكنها لا تتذكَّر أي شيء عنها! ليست فقط تلك الذكريات، إنها لا تتذكَّر اسمها!

- هذا شيء طبيعي... ناتج عن تلك الصدمة الَّتي تعرض لها المخ، يكون المريض بعد الحادث مشوشًا، وغير قادر على تذكُّر شتى الأحداث السَّابقة له.

صمت **"رياض"** لحظة، وعاد ليسترسل وهو يُحرِّك يديه كعادته، عندما يُسهب بشرح إحدى الحالات المرضية لديه...

- المريض لا يتذكَّر أي شيء عن ذاته، فلا يتذكَّر اسمه أو يُحدد من يكون، أو حتى يتفاعل مع الزمان والمكان، فبعد الصدمة يكون وعيه مُعتمًا كالغرفة المظلمة في ليلٍ سحيق، وعادة ما يتضمن فقدان الذاكرة بعد صدمة قوية الارتباك، هذا غير محو ذكرياته كاملة بالطبع، أو الفقدان المُتعارف عليه، لكن برأيي هو ليس محوًا، لنقل تحديدًا تشفيرها، فللدقة هي تكون موجودة هناك بمراكز الذاكرة، إلا أن المخ يقوم بتشفيرها كرد فعل لا إرادي للإحساس بالخطر، وحينها يصعب الوصول إليها، وفي بعض الحالات الَّتي لا تستجيب للعلاج... فإنه يستحيل الوصول إليها.

أنهى حديثه وقد بدأ يُطقطق بأصابعه فوق المكتب، اعتدل **أستاذه** بمجلسه ووضع يديه فوق المكتب، وهو يُعدِّل من وضع نظَّارته فوق عينيه...

- أريد رأيك الطبي هذا بتقرير.

- لك هذا يا أستاذي.

- على كلِّ حال أعتقد أن عملنا معها قد انتهى الآن، سيتم نقلها إلى مديرية الأمن اليوم أو غدًا، في خلال أيام على أقصى تقدير، هذا ما قاله ذاك الضابط.

أمال **"رياض"** رأسه بعدم مبالاة ظاهرة على وجهه، لكن داخله كان يأكله الفضول المهني نحو تلك الحالة، ورغم أنها ليست بجديدة عليه، فإن الحادث وما يُغلِّفه من غموض، يُزيد فضوله نحوها، فسبح بسكونه الثرثار، يرتشف قهوته.

في سماء العصر الصافية، كان يجلس إلى طاولته بتلك الباخرة الطافية وسط النيل، يتأمل سحره الهادئ، يتناول غداءه الشهي ويتصفح الجريدة بيده، أخذ يُقلب صفحاتها حين استوقفه خبر بصفحة الحوادث عن انتحار سكرتيرة **"رفيق الأسواني"** رجل الأعمال المعروف، بعد فشل علاقتها العاطفية بصديقها، بدأ يُتمم ببعض الكلمات الغاضبة، حين تساءل من يجلس بجواره بدهشة...

- لِمَ أنت غاضب إلى هذا الحد؟

- أقرأت هذا الخبر؟

قالها وهو يضع الجريدة أمامه، ويُشير إلى الخبر بالأسفل، فتساءل صديقه...

- أو تلك حقًا مديرة مكتبك يا **"رفيق"**؟

- للأسف نعم.

قالها **"رفيق الأسواني"** وقد بدا الأسى جليًا على وجهه، ترقرقت دمعة ضائعة تفتش عن مخرج بين جفونه، ذلك الرجل الَّذي تخطَّى الستين ربيعًا، بوجه خمري وعينين سوداوين قد خط عليهما الدهر توقيعه بإتقانٍ بتجاعيد تُغلِّفهما، يظهر الشيب بين خصلات شعره الأسود، رجل من النظرة الأولى يبدو له هيبة ووقار، رجل مال وأعمال بالدرجة الأولى، لديه شركات مُتعددة الأنشطة، إلا أن أكثر ما يجيده هو تجارة الأراضي والعقارات فلُقب **بحوت العقارات**، لديه أعداء كثيرون لكن ما من أحد أمكنه منافسته أو مجاراته! عُرف عنه القيام بأعمال خيرية، له باع مُعلن من مُعارضة الكثير من السياسات الَّتي يراها تتعارض مع المواطن البسيط، بهذا الزمان الَّذي بات أغلب المجتمع به يندرج تحت ذات المسمى! والباقون نصَّبوا أنفسهم ولاة للمُطالبة بحقهم المسلوب، إن لم يكن هم بالحقيقة من سلبوه!

- أتذكَّر كم كنت تُثني عليها.

قالها **شريكه** بالطاولة، وهو يحاول التخفيف عنه، فتحدث بنبرة مُتألمة...

- لقد كانت ابنتي الثانية، حتى الآن لا أكاد أصدق أنها فعلت هذا بنفسها!

- إن فتيات تلك الأيام حمقاوات، إن فشلت علاقة إحداهنَّ العاطفية تودي بحياتها!

- حين تركها كانت حالتها سيئة، طلبت إليها السفر إلى أي مكان، لتهدأ وتتحسن حالتها النفسية، لم أتوقع أن تفعل هذا بنفسها، كيف بتلك البساطة يقتل شخص ذاته؟

قالها وهو يُدير وجهه نحو مياه النيل، الَّتي تتلألأ بها سلاسل الشمس الذهبية، ليُداري حزنه، فاسترسل **الآخر** وهو يزفر...

- هي فقط لحظات ضعف يُسوِّل فيها الشيطان لهم أنه المخرج الوحيد.

عاود **شريكه** النظر بالجريدة، وقد جذب انتباهه خبر آخر! وسط كلِّ تلك الحوادث الَّتي لا تنتهي! حتى باتت تحتل حياتنا كالهواء أو الماء! وقد كُتب بخط واضح عن مقتل رجل الأعمال "**باهر العليمي**" وسط ظروف غامضة! والقبض على قاتله؛ فتساءل بصوت جذب انتباه "**الأسواني**"...

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. متى حدث هذا؟

- ماذا هناك؟

- لقد قُتل "**باهر العليمي**".

فتساءل وهو يحاول نزع الحزن عن وجهه...

- ومن يكون؟ أهو شخص تعرفه؟

- نعم.. إنه رجل أعمال معروف في عالم السياحة، ربَّما سمعت عنه؟

- "**باهر العليمي**"! "**العليمي**"!

أخذ يرددها وهو يحاول استدعاء جيوش ذاكرته، لتعينه على تذكُّر أي شيء يخصُّ الاسم، إلا أنه فشل فأمال رأسه نفيًا، استطرد **الآخر** بحزن سكن ملامحه...

- يقولون أنه قُتل منذ يومين وقد أمسكوا قاتله، لم يكتبوا شيئًا آخر عن القضية، لكن

يؤولون الحادث إلى محاولة سرقة انتهت بقتله.

– فليرحمنا الله جميعًا من هذا الزمن، فإنه يتحول يومًا تلو يوم من سيئ إلى أسوأ، فقد تغيرت نفوس الناس كثيرًا، بات يشوبها الكره والحقد. وتفاوت الثروات والطبقات وتركز المال والسلطة بيد القلة، هو ما يزيد تلك الفجوة المُوحشة.

همَّ بارتشاف بعضٍ من كوب العصير أمامه، فزفر **الآخر** بضيق...

– ثراؤنا هو نتيجة طبيعية لعملنا واجتهادنا أخي **"رفيق"**، وفقرهم هو نتيجة تكاسلهم، أيجب أن يُكَافَؤوا على غبائهم وتخاذلهم بالنجاح والثروة؟!

– صدقني يا صديقي، هم فقط لم يجدوا الفرصة السانحة ليثبتوا قدرتهم على النجاح، أنت تعيش بدول لا تعترف سوى بالمال والسلطة فقط، فإن كنت فاسدًا وأحقر من خُلق لكنك تمتلك أيهما فقد أصبحت من الأشراف وعلية القوم! وربَّما نصبوك أميرًا وعاملوك كما الملوك، أمَّا غير ذلك فأنت شيء لا يُعترف به! ليس له حقوق وعليه كافة الواجبات! مُطالب بكلِّ شيء وليس لك الحق بطلب شيء! شيء خُلق ليقبع بآخر الكهف! أقصد آخر الصف، وستظلُّ تنتظر أن يأتي دورك لتقف بأوَّل الصف، لكنه لن يأتي أتعلم لماذا؟

لم يُجب **الشريك**، بل ظلَّ ينظر إليه بغير رضا عمَّا يقول، فاسترسل...

– لأن من رقدوا بالكهف... لا يحق لهم أن يروا غير الظلام أو يتجرَّعوا سوى المرار! ولا يحق لهم مغادرة الكهف ولو انتظروا آلاف السنين.

فابتسم **الآخر** بكبرٍ اعتلاه...

– صديقي لِمَ لا تترشح لمجلس الشعب؟ فأنت خير من سيُطالب بحقوق هؤلاء.

– أرى أنني أقدم لهم أكثر من مكاني المتواضع فلن يُزيدني المجلس شيئًا، هل ترى من فيه يقدمون شيئًا؟! على العكس هم يأخذون ولا يعطون.

– أصبت بهذه.

– غير أن لدي الحزب وجمعيتي الخيرية، هذا العمل الحقيقي والفعلي على أرض الواقع، وحقيقةً فأنا شخص لا يُجيد كلمة **موافقون**.

سخر بها **"رفيق"** بحدة، انطلقت على إثرها ضحكة شريكه، لتزداد ضحكاتهما،

وقد عادا لإكمال وجبتهما، بعد أن نحَّى شريكه الجريدة جانبًا! فليس لها مكان مناسب بتلك الطاولة، أو حتى بغيرها من تلك الطاولات الفاخرة!

بالصباح التالي ومع دقات الثامنة، وصل مُتعجل الخطى إلى مكتبه بإدارة المباحث العامة، مكتب بوسط الرَّدهة متواضع الأثاث والألوان الباهتة الَّتي أكل عليها الدهر وشرب، خلع سترته وألقى بها إلى الكرسي، جلس **"شريف"** إلى المكتب بمنتصف الغرفة، وهو يُشعل سيجارة ويسحب ملفًا من جانب المكتب ويضعه أمامه، تلاقت عينه وما كُتب عليه من الخارج - **قضية قتل "باهر العليمي"**. كلمةٌ لها وقع مختلف عن غيرها من القضايا الَّتي عمل عليها سابقًا، كلمةٌ بقدر بساطتها إلا أنها معقدة في نظره! فالقتيل رجل له ثقل اجتماعي وسياسي والأهم اقتصادي! قتيل كهذا ستُمثل قضيته عبئًا على كاهل أي ضابط وسيلقى من الضغوط ما يكفيه لعشر قضايا مُلقاة بأحد أدراجه، تلك القضايا الَّتي دُفنت بين الثرى ووَارَاها تُراب الأدراج المُهملة! أو قُيدت ضد مجهول دون أن يُعيرها أحد اهتمامًا، ليعرف إن كان مجهولًا أو معلومًا!

بعد أن فتح الملف اصطدمت عينه بصورتين داخله، إحداهما للقتيل، رجل تخطَّى الخمسين إلا أنه كان لا يزال يحتفظ بالكثير من شبابه، والأخرى للقاتل، فأمسك بصورة القاتل، وهو يُردد من بين دخان سيجارته بنبرة حائرة - **"شهد إسماعيل العشري"، أي لغز وراءك يا فتاة! أي لعبة حمقاء تعتقدين أنكِ تلعبين؟!** ولم يلتقطه من شروده سوى دقات هاتفه الداخلي، رفع السماعة على عجل - «**هل وجدت شيئًا؟ حسنًا... هل أنت متأكِّد ممَّا تقوله؟ أنا في طريقي**». أغلق السماعة وهو يحكُّ ذقنه ويُحادث نفسه ويُمعن النظر بصورتها - «**يبدو أنها أسهل ممَّا ظننت**». أخرج هاتفه وضغط أحد أزرار الاتصال السريع، لم تمر لحظات حتى أجابه الطرف الآخر - **"سمير" أريدك هنا الآن... لا يهمُّ فقط عُد إلى المديرية الآن... لقد وجدت خيطًا جديدًا.** أغلق الهاتف وأغلق ملف القضية وأطفأ بقايا سيجارته، التقط سترته، وهمَّ مغادرًا وابتسامته تعتليه!

بتمام التاسعة صباحًا، كانت تقف أمام مكتبها يحدوها التفاؤل والأمل، تتطلع لغدٍ أفضل، غدٍ ترجوه مُشرقًا على الجميع، تعتقد بكلِّ يقينٍ أنها تُدافع عن المبادئ والمثل العليا، لا يقف بينها وبين تحقيق حلمها بمساعدة الآخرين شيءٌ، فهي هنا لتصرخ بقلمها

ضد الظلم وتواجه كلَّ من يقفون خلف الفساد ويدعمونه، تلك كانت هي مبادئ الإعلام بشتى فئاته منذ أزمان، المبادئ الَّتي حلمت بأن تناضل من أجلها في إعلاء صوت الحق ودحض الظلم مهما كانت قوته، إلا أنها ما زالت بريئة تقف بشواطئ الأخلاق، فلم تخطُ بعد ببحور المصالح والمنفعة المُتبادلة! تلك الَّتي أغرقت الكرة الأرضية من مشرقها إلى مغربها، فصار كلُّ شيءٍ مُجرَّد سلع قابلة للتفاوض ومطروحة بمزاد الحياة، حتى المبادئ صارت سلعة تُباع لمن يدفع السعرً الأعلى، أينما باتت مصالحهم سكنت مبادئهم، وهتفت أقلامهم وتعالت أصواتهم! ربَّما هي ما زالت كجميع الحالمين المُتطلعين إلى أخلاق ومبادئ ولى زمنها، تعتقد أنها تقف على الطريق الصحيح بعملها كصحفية بدار **الغد المُشرق**، إحدى المؤسسات الصحفية الخاصة، الَّتي يمتلكها مجموعة من الساسة الجدد! هؤلاء الَّذين لا تعرف أهم رجال أعمال أم رجال سياسة! إلا أن الشيء الوحيد المؤكد عنهم، أنهم رجال يعرفون جيدًا كيف يقتنصون الفرص ويحولونها دائمًا لتصب بإنائهم الخاص، وفقط إنائهم وليس إناء البسطاء الَّذين ادَّعوا الدفاع عنهم، وتولوا مسؤولية حماية حقوقهم المُهدرة، دون أن يلتقوا ولو صدفة بهم في شوارعهم وحواريهم المطحونة، أو يشاركونهم معاناتهم الدامية الَّتي يتاجرون بها! ودون حتى أن يوليهم أحد الحق ليتحدثوا باسم حقه المسلوب!

أولئك هم الطفرة المُتأصلة بقدم مبادئها المختلة والعفنة، والمتجددة بأشكالها ومُسمياتها فتراهم بكلِّ زمانٍ باسم غير سابقه، الَّذين يتفاخرون بمعارضتهم العلنية والمُشهرة للنظام والحكم! وهم بالحقيقة أكثر من ينتفع من هذا النظام ويدعمه! أكثر من يغترف من الفساد المُستشري بجسد مُجتمع دمروه خفية وعلانية! فيُزيد من تجريف الأخلاق لتزدهر زهور الباطل ويطرح الفساد بكافة مواسمه على أيديهم!

فمنهم مُعارض بوضح النهار، وكلب يلهث خلف أسياده بكنف اللَّيل! ومعارض مُتباهٍ لا يمل الصراخ بالحقوق الضائعة نهارًا، ليستطيع تحصيل ما يمكنه من ابتزاز المُلامين على ضياعها ليلًا، إن لم يكن بحقيقة الأمر أحد سارقيها! وبكليهما أنت تقف أمام صيادي الفرص، القُرادة الَّتي تبني كيانها على دماء غيرها، الآفات العفنة المنتفعة الَّتي تبني فوق الحطام قلاعها الحصينة، والبسطاء هم ذاك الحُطام المُنقض، الفريسة الَّتي تحلق حولها الجميع ينهمون من دمائها، ودار **الغد المشرق** ليست سوى مثال حي من بين آلاف الأمثلة على اتخاذ هؤلاء الفئة الإعلامَ منبرًا ليخدم منفعتهم الخاصة، فتلك صارت ورقتهم الرابحة، الَّتي يُلقي بها الجميع على الطاولة، حين يريد ابتزاز ما ليس من حقه، صار الإعلام بكافة فئاته إلا القلة النادرة منه، لا يتخطَّى كونه لُعبة يُرفع

بها من يشاؤون ويُذل بها من يشاؤون، من لعب لصالحهم صار من الشرفاء المناضلين لأجل الوطن! وغير ذلك فهم أعداء لكلِّ شيء.. الوطن والدين والأخلاق والحريات وربَّما أنفسهم أيضًا! حدث ولا حرج عن مرتع لشتى أنواع الوضاعة الأخلاقية والنفسية!

وقفت أمام مكتبها بتلك القاعة الكبيرة بألوانها المُبهجة، الَّتي احتوت العشرات من المكاتب المتماثلة المُتقابلة والَّتي لا يفصلها سوى بضع خطوات فيما بينها، بإطلالة زجاجية كبيرة على حديقة المبنى المطل على إحدى الشوارع الحيوية، شردت بضع دقائق تُراجع مقالًا كانت تُعده بالأمس، تذكَّرت شيئًا ما عبث بأفكارها، اتَّجهت نحو مكتب آخر لا يبعد عنها سوى التفافة في الاتِّجاه الآخر...

- صباح الخير يا "**أحمد**"، كيف حالك يا صديقي؟

- بخير حال يا صديقتي، كيف حالك يا "**جميلة**"؟

أمالت رأسها بابتسامة...

- هل لي بطلب صغير؟

- أو كبير، أتعتقدين أنني أخاف؟

زادت "**جميلة**" ابتسامتها، وهي تهمُّ بالجلوس إلى الكرسي المقابل له...

- أريد العمل معك على قضية مقتل "**باهر العليمي**"؟

رمقها بنظرة مندهشة من رأسها إلى أخمص قدمها، فشابكت ذراعيها ورفعت حاجبها بنظرة مُغتاظة، وقبل أن تبدأ بادرها...

- ولمَ تهتم الفاتنة هنا بقضية قتل؟ أرى أن تظلي بعيدًا عن هذا الهراء، والتزمي بصفحة المجتمع كما أنتِ، هذا يناسب رداءك الجميل أكثر.

- أحمق.

رفع حاجبه ببسمته لإغاظتها، فاستطردت له وبريق طفولي سكن عينها...

- أنت أحمق، ولا شأن لك بردائي... لقد مللت من أخبار المجتمع المُتصنَّع بكلِّ شيء فيه، فنصفها كاذبة والنصف الآخر مُزيف، أريد أن أعمل على شيء حقيقي، شيء أثبت به أنني صحفية حقيقية، وليست حمقاء تستمع لدُمى حمقى يعتقدون أن أحدًا يُصدق

أكاذيبهم، أرى تلك القضية مناسبة لأبدأ بها، أرجوك يا "**أحمد**" قدم لي تلك الخدمة البسيطة!

سحب قلمه من فوق الطاولة، راح يعبث به وهو يتصنَّع التفكير، ذاك الشاب الخمري، بطوله المتوسط ووزنه النحيف، بعينيه البنيتين وشعره الأشعث بسواده الحالك، فهو ذاك الشخص البسيط الَّذي يحاول كلَّ شيءٍ ليثبت ذاته، واستحقاقه لعمل يعشقه، ولم يأخذ الكثير من الوقت في التفكير، فـ"**جميلةً**" ليست الفتاة الَّتي يمكنك رفض شيء تطلبه بوجهها الطفولي وشعرها الكستنائي القصير المتوهج، وعينين بلون حبات البندق ببراءة تنطلق من بين جفونها، فلها سحر يجبرك السمع وربَّما الطاعة، وربَّما هو فقط من يراها بهذا السحر! فرغم أنها ليست بالجميلة الفاتنة بطولها المتوسط ووزنها الزائد قليلًا، فإن لها قلبًا طيبًا يجعل لها سحرًا من نوع آخر...

- حسنًا لا مانع لدي... لكن...

- ماذا؟

- تحتاجين موافقة رئيس التحرير لتشتركي بهذا.

ابتسمت ببريق خبث لمع بعينها...

- لا تقلق، هذا أمر منتهٍ.

- كم أنا أحمق! نسيت أنكِ من أصحاب النفوذ وليس من البسطاء أمثالي؛ فوالدك هو "**رفيق الأسواني**" شخصيًا، أحد المؤسسين الهامين لتلك الجريدة.

- أشعر ببعض الحسد بنبرة صوتك.

مال ناحيتها بحركة مُفاجئة وهمس بجدية...

- كلَّا ما من حسد، لكن لا بأس ببعض الحقد الصحي.

تعالت ضحكتها من مشاكسته، وهمَّت بالمغادرة إلى مكتب رئيس التحرير، لتتولى العمل بشكلٍ رسمي، وهي تعلم أنه لا يمكنه الرفض وهي ابنة أهم المساهمين!

وقف بوسط الرَّدهة ينظر إلى تلك الورقة بيده، حين وجد "**سمير**" يأتي مُسرع الخطى باتِّجاهه، اتَّجه نحوه حتى تلاقيا أمام مكتبه، فتح له العسكري الواقف البابَ،

خطا "**شريف**" إلى الداخل وما زال مُعلَّقًا بالورقة في يده! تساءل وهو يجلس إلى مكتبه...

- أعد عليّ ما أخبرتني به على الهاتف!

- لا شيء... لم نجد بذلك العنوان شيئًا، أخبرني حارس العقار أنها استأجرت الشقَّة منذ ثلاث سنوات، وهي لا تتردَّد عليها إلا على فترات مُتقطعة، كلُّ ما يعلمه أن والديها قد تُوفيا بحادث سيارة منذ عشر سنوات تقريبًا، وأنها تعمل بإحدى شركات السياحة، ولا يتذكَّر أحدًا زارها أثناء تواجدها، غير أنها لم تختلط بأحدٍ مطلقًا.

- وقبل ذلك؟ أين كانت تسكن؟ ومن كانت تعرف؟

- لا شيء.. لا خيط واحد، حتى إنه لا يعلم أي شيء عن تلك الشركة أو حتى اسمها.

- هذا لأنها ليست موجودة! يا لها من ماكرة! تلك الفتاة تعرف كيف تُخفي آثارها جيدًا.

أنهاها وكأنه يُحادث نفسه، فالتقطه "**سمير**"...

- ما هو الدليل الَّذي وجدته؟

أعطاه الورقة الَّتي كانت بيده. وما إن تأملها حتى اتَّسعت عيناه! ورفع حاجبه بدهشة نحوه، فاعتلت "**شريف**" ابتسامة خبيثة وبادره...

- نعم كما قرأت فتلك الفتاة لديها ملف جنائي! وهذا هو رقم الملف لكن للأسف ليس به شيء يمكننا العمل عليه، أتعلم ماذا يعني هذا؟

- ليست جريمتها الأولى... فهي شخص له سوابق بعالم الإجرام.

- بالضبط.. وما أخبرتني به منذ لحظات، يؤكد أنها مجرمة محترفة فلا تترك أثرًا وراءها، أخبرتك منذ البداية أنها تدَّعي للإفلات بفعلتها.

- لكن..

صمت، فأشار له "**شريف**" باستكمال الحديث، وهمَّ بإشعال سيجارة التقطها من علبة أمامه، ليتساءل "**سمير**"...

- ما نوع الجرائم الَّتي اتُّهمت بها سابقًا؟ أهي القتل أيضًا؟

- كلَّا... لكننا سنعلم كلَّ شيءٍ عنها... بعد ساعتين من الآن.

وقبل أن يسأل، أردف "**شريف**"...

– إنه موعدنا مع "**أمجد المسيري**"، هل سمعت عنه من قبل؟

– كلَّا.

– إنه الضابط الَّذي ألقى القبض عليها سابقًا.

عادت إليها المُمرِّضة لتُعطيها بعض الأدوية وتتأكَّد من حالتها الصحية، كما أمرها الطبيب حتى يُقر بخروجها من المشفى، كانت مُستغرقة بدوامة أفكارها الطاحنة، الَّتي راحت تتقاذفها كي تُلقي بها وسط عصف الكون، يتسرب منها كلُّ شيءٍ إلا تلك الفتاة من حلمها! ربَّما لأنها الذكرى الوحيدة الباقية أو بالأحرى العائدة! تحاولُ التمسُّك بها قدر استطاعتها، انتشلتها المُمرِّضة من براثن أفكارها، اقتربت منها بابتسامة هادئة بعد أن تركت باب الغرفة مواربًا كالعادة، انحنت نحوها لتغيير الضمادات على الجرح بمُؤخِّرة رأسها حين تساءلت "**شهد**" بصوت خفيض...

– من أين أتيت لي بتلك الرسالة؟

– لا أعلم، لم يخبرني اسمه!

نظرت لها بعدم تصديق؛ فاسترسلت **المُمرِّضة**...

– أقسم لك هو لم يخبرني شيئًا، قال أنه أخوكِ وأنه قلق لأجلك، ويريد طمأنتك، وتوسل لي لإيصال رسالته، ففعلت.

– كيف كان يبدو مظهره؟

– لا أعلم... كان طويل القامة، يرتدى بنطلونًا من الجينز الأزرق وكنزة سوداء، ونظارة سوداء، وكان يخفي وجهه بشال، قال أنه يخشى أن يراه أحد الضُباط المرابطين بالخارج.

– ما من شيء به مميز؟ شيء لفت انتباهك؟

تساءلت بها بيأس راح يقطع آخر ما يربطها بماضٍ وقف بمهبِّ الريح، فبادلتها المُمرِّضة النظرة بخيبة أمل فلا شيء مميز أمسكت به، إلا أن تلك الخيبة انتفضت بين حدقتيها! حين عبر ذهنها شيء ما سرق انتباهها...

- كان بكف يده اليُمنى جُرح يبدو قديمًا، رأيته وهو يُعطيني الرسالة، غير أنه كان يرتدي ساعة اختلط بها اللون الفضي والأسود، الغريب أنه كان يرتديها بيده اليمنى أيضًا وليست اليُسرى كما العادة!

تعلَّقت عينا "**شهد**" وأفكارها وكلُّ ذرةٍ بها بما تقوله المُمرِّضة، لعل جيوش ذاكرتها الراكِدة تظفر بشيء يُعينها على العودة للحياة من جديد، إلا أن خيبة الأمل أغلقت بوجهها كلَّ الأبواب! حينما فتح الطبيب باب الغرفة، صمتت المُمرِّضة وارتعشت أوصالها، لكنها تمالكت نفسها بابتسامة مهزوزة وهي تعود للخلف، تقدَّم الطبيب يتفحصها بابتسامة باردة، ويؤشر على تقريرها بإمكانية خروجها، على أن تظلَّ تحت الرعاية ويتم ملاحظتها للتأكُّد من عدم حدوث مضاعفات لاحقة، وهذا التقرير جاء بعد إلحاح "**شريف**" لما بات يوقنه بأنها تكذب!

الثاني

أين المفر!

قاد **"سمير"** السيارة، ضابط يعشق عمله، لديه حماس الشباب، ورؤية جديدة لكلِّ شيء، وهذا ما يثير حفيظة **"شريف الزَّهَّار"** كثيرًا، فهو يختلف قليلًا عن هذا الوصف، رغم أنه الأقدم والأكثر خبرة وقليلًا ما يُخطئ بنظرته، فإنه لا يقبل بأن يعترف بالخطأ تحت أي مسمى، لا يقبل بأن يُعدِّل عليه أحد فهو مُعتد كثيرًا بذاته! فثقته في كثير من الأحيان تصل حد الغرور، شخص كثير الريبة والشَّكّ، لا يفترض الجانب الجيد من الآخرين، وقاعدته الرئيسية أن المجرم مُدان حتى تثبت براءته! حتى إن رؤيته واعتقاداته تلك تتخطَّى التعامل مع المجرمين إلى الجميع! وهذا بالمقابل ترك أثرًا بحياته الخاصة، جعل زوجته تتخلى عنه وتأخذ طفلته بعيدًا، ظلَّ **"شريف"** طوال الطريق يُمني نفسه بما سيجده عن تلك الحمقاء، الَّتي تعتقد أنها يمكنها التلاعب به! بنهاية المطاف وصل حيث وجهته!

توجه بخطى ثابتة داخل ذلك المبنى الضخم، تخطَّى ردهته، اتَّجه نحو المصعد، ضغط لوح التحكم، بضع ثوانٍ قبل أن يتوقَّف المصعد بالدور المنشود - **الإدارة العامة لمباحث الإنترنت!** وداخل مكتب بوسط الرَّدهة، بادره ذاك الجالس إلى المكتب بمنتصف الغرفة...

- مرحبًا **"شريف"** بك.

هبَّ واقفًا، شاب ببشرة بيضاء، طويل القامة قوي البنيان، بشعر فاتح اللون وعينين سمراوين، وابتسامة تملأ وجهه المستدير...

- كيف الحال يا صديقي؟ هذا الضابط **"سمير"**، نعمل معًا.

قالها **"شريف"** وهو يُشير نحو **"سمير"** بابتسامة، وجلس كلاهما، ليسترسل ثالثهما من خلف المكتب...

- ألا تتذكَّرني إلا حين تريد شيئًا!

- "**أمجد**" صديقي... أنت دومًا بخاطري، إلا أنني مشغول كما تعلم، فلست مثلك أعمل طوال اليوم بمكتبي وكلُّ وسائل الراحة تحوِّطني.

- هذا هو الحسد بعينه يا صديقي.

قالها وتبادل الجميع الضحكات، حين عاود "**أمجد**" الحديث بجدية...

- أخبرني ماذا تريد؟

أخرج "**شريف**" شيئًا من جيب سترته! وضعه على المكتب فالتقطه "**أمجد**"...

- "**شهد إسماعيل العشري**"!

- أعلم أنك أمسكت بها سابقًا.

- أعتقد أنه حدث.

- إذًا!

قالها الضابط "**سمير**" باهتمام، فأكمل "**شريف**" وهو يتبادل النظرات و"**أمجد**"، الَّذي ما زال ممسكًا بإثبات شخصيتها...

- أريد أن أعلم كلَّ شيءٍ عنها؟ وكم قضت بالسجن سابقًا؟

- ولا ثانية.

قالها بهدوء وهو يسحب سيجارة ويُشعلها، بينما كلاهما كان ينظر للآخر بذهول سيطر عليه، لم يتدارك "**شريف**" ذهوله إلا حين تساءل "**سمير**"...

- المعلومات لدينا تؤكد أن تلك الفتاة مُدرج اسمها بأكثر من قضية، وليست واحدة! فكيف لم تُسجن سابقًا؟

- الأمر مُعقد بعض الشيء.

أنهاها وهمَّ واقفًا، اتَّجه نحو نافذة بجوار مكتبه، نفث دخان سيجارته بتلذذ، وكلاهما مُعلِّق عينيه به، التفت نحوهما...

- تلك الفتاة من **الهاكرز**.

- عفوًا!

قالها "**شريف**" بنوع من التَّعجب وعدم الفهم، فتساءل "**أمجد**" بنظرة ساخرة...

- ألم تسمع عنهم سابقًا؟

- أتقصد هؤلاء الفتية الَّذين يستخدمون شبكات الإنترنت في السرقات الإلكترونية، واقتحام المواقع!

كان هذا "**سمير**"، فأمال له رأسه إيجابًا، ليُردد "**شريف**" بنبرة الفوز...

- إذًا هي سارقة، فلِمَ لم تُسجن؟

- أخبرتك. الأمر مُعقد.

راح "**أمجد**" يُعدِّل من مجلسه إلى الأريكة المقابلة لهما ويتَّكئ للخلف، تساءل "**سمير**"...

- هلَّا توضح أكثر!

- تلك الفتاة حولها كثير من الشُبهات.. هذا صحيح، لقد تردد اسمها بأكثر من قضية كما قلت، إلا أننا لم نمسك دليلًا ضدها، دومًا لديها حُجة قوية وشهود، غير أنها تستخدم مواقع وخوادم يصعب الوصول إليها، فلا تستخدم شيئًا يمكن تتبعه، لتظلَّ كلها بالنهاية شُبهات!

- أتريد القول أن الإيقاع بفتاة مثل تلك أمر صعب عليكم؟!

زفر بها "**شريف**" بضيق، فأجابه وقد قطب حاجبيه...

- الإيقاع بفتاة ليس صعبًا، لكن الإيقاع بـ"**الآس**" هو أكثر من صعب.

- "**الآس**"!

- هذا اسم الشهرة الخاص بها، بذلك العمل لكلٍّ منهم اسم كودي، كما تعلم.

- لا يهمُّ، فهي تظلُّ مُجرَّد فتاة حمقاء لا يمكن أن تتفوق علينا.

أعادها "**شريف**"، وقد بدا الحنق مستحوذًا على تقاسيمه...

- أتعلم ما هو "**الآس**"؟

تساءل بها "**أمجد**"، فأخذ "**سمير**" على عاتقه الإجابة، وما زالت تقاسيم "**شريف**" تزداد غضبًا...

- أتقصد الرقم واحد بورق اللعب!

- بالضبط... هو "**الآس**"، الرقم واحد، ذلك الرقم الَّذي يُعادل كلَّ أوراق اللعب، وإن امتلكته يُحسب لك عشر نقاط وليست نقطة واحدة، هو الورقة الرابحة الَّتي يُراهن عليها الجميع ولا يخسر، هو رقم ليس مُكررًا ولن تجد بكلِّ أوراق اللعب ما يُضاهيه.

صمت لحظة وهو يُطفئ رماد سيجارته، ويُمعن النظر بعين "**شريف**" الحانقة، فأردف...

- لِمَ تعتقد أنهم اختصوها هي بذلك الاسم؟

- أتعني...

لم يُكمل "**شريف**" عبارته، فأكملها له...

- أنها أكثر من بارعة يا صديقي، هي مُجرَّد فتاة كما ذكرت، إلا أنها تمتلك عقلًا عبقريًا، فلم تترك وراءها أثرًا قطُّ يمكننا إدانتها به.

- لكنها تلك المرَّة تركت أكثر من أثر، وأعدك أنها لن تُفلت من قبضتي.

قالها "**شريف**" وقد لاحت بحدقتيه نظرات النصر بصيده الثَّمين، بادله "**أمجد**" نظرة شكّ...

- أشكُّ بهذا.... إلا أنني أتمنى لك التوفيق.

- أريد كلَّ شيءٍ لديكم عنها، فأنا لم أجد أي شيء عنها بالملفَّات لدينا.

- لنقل أن هذا أيضًا مُعقد قليلًا.

قالها وراح يحكُّ ذقنه بنوع من القلق، زفر "**سمير**"...

- ماذا تعني بأن هذا مُعقدٌ هو الآخر؟

صمت لحظة، اعتدل بمجلسه، عاود إشعال سيجارة أخرى، طفا بتقاسيمه بعض الارتباك الَّذي حاول دحضه داخله...

- لأنها بالحقيقة تعمل لصالحنا.

- عفوًا... ماذا قلت توًّا؟

انتفض بها "**سمير**" في مجلسه، أمَّا "**شريف**" فتصلب بمكانه ولم يُحرِّك ساكنًا، استرسل "**أمجد**" بهدوءٍ بدا واضحًا على وجهه عكس ما كان يعتمل بصدره...

- أتعلم أن هؤلاء الهاكرز يمكنهم سرقتك من هاتفهم المحمول، وهم يجلسون ويضعون ساقًا فوق الأخرى بمنازلهم؟! لدينا أفضل الخبراء إلا أنهم سريعون ودومًا لديهم كلُّ ما هو حديث، وفي بعض الأوقات لا يمكننا مجاراتهم، هم كما الفئران يصعب عليك معرفة أين تختبئ! والأسوأ أنك لا تعرف كيف تُخرجها من جحورها؟ ولا كيف تُمسك بها؟ فأخبرني حين تُريد صيد فأر ماذا تفعل؟

فنظر كلاهما للآخر، وقد بدأ يعي "**شريف**" من أين تبدأ القصَّة! استطرد "**أمجد**" وهو ينحني قليلًا للأمام وبنبرة بدت تميل للغضب...

- سأخبرك أنا.. ليس لك سوى طريقين، إمَّا أن تطارده بكلِّ جُحرٍ وفجوة، وحظ سعيد لك مع ذلك! لأنك ستلهث وتنقطع أنفاسك ولن تستطيع حتى الاقترابَ من التخمين الصحيح، وهو يتلذذ بمراقبتك والضحك، وإما...

صمت، فاعتدل "**شريف**" وقد غزت بسمة خبيثة جانبه...

- أن تجد من يصطاده لك!

- شيء من هذا القبيل، كنت سأقول أشتري له قطًّا يعرف جيدًا أين سيجده.

- وهي كانت قطَّتك! وكم كان سعر القطِّ تحديدًا؟

تجاهل "**أمجد**" الإجابة بنظرة لا تقل خبثًا عن عين "**شريف**" السائل، فأجاب "**سمير**" بسخرية وهو يُمسك بملفها الفارغ بيده ويُلقيه فوق المكتب بغيظ...

- أن يظلَّ ملفها ليس به سوى بضع شُبهات!

تجاهل "**أمجد**" كليهما، وهو يعتدل بمجلسه وحديثه...

- تلك الفتاة لم نستطع إيجاد دليل واحد ضدها، كانت تخرج دون أن تطلب محاميًا.

- وهي وافقت بكلِّ بساطةٍ أن تعمل لصالحك!

هتف بها "**سمير**" بنبرة ساخرة، زفر لها "**أمجد**" إلا أنه تجاهله...

- هي من أصحاب القبعات الرمادية.

- وما المفترض بي أن أفهم من ذلك؟

تساءل "**شريف**" بنظرة ضيق، فابتسم "**أمجد**" بغروره المُعتاد...

- هؤلاء الهاكرز كأي شيء - أنواع، تحديدًا ثلاثة، أصحاب القبعات البيضاء وهم لا يضرون أحدًا، بل على العكس هم دومًا بالجانب الصحيح، وهناك أصحاب القبعات السوداء وهؤلاء لا تود الوقوع بأيديهم، وهنا النوع الثالث والَّذي تنتمي إليه "**الآس**" **وهم** أصحاب القبعات الرمادية

- أيجب أن أخمن أنهم من يقف بوسط الطريق!

قالها "**شريف**" **وهو** يُشعل سيجارته، همَّ "**أمجد**" من مجلسه، اتَّجه نحو الكرسي خلف المكتب..

- بالضبط.. لكن لا تعلم أين انتماؤهم تحديدًا؟ فهم ببساطة ينتمون لكلا الجانبين، أو بمعنى أدق، لا ينتمون سوى للمكان الَّذي تقع به مصلحتهم.

- أعتقد أن هذا هو النوع الأسوأ.

كان صوت "**سمير**" الَّذي بدأت تهدأ نبرته الحادة، أمال "**أمجد**" رأسه بعدم مبالاة...

- هي ساعدتنا بحل بعض القضايا المُعقدة، إلا أنها لم تتوقَّف عن اللعب لصالحها.

- ما دامت تلعب لصالحها لِمَ لم تقبض عليها؟

تساءل "**شريف**" فأجابه وقد وضع كلا ساعديه إلى المكتب وشبك كفيه...

- لسببين... ثانيهما - أنه لا دليل بيدي ضدها، كما أخبرتك لا تترك لها أثرًا على الشبكة العنكبوتية، وإن تركت فهو دومًا يقودنا لنقطة ميتة، أو لشخص تود التخلص منه!

- وأوَّلهما؟

تساءل "**سمير**" بنظرة اتَّقد بها خبثه...

– هي تُفيدُني فلِمَ أخسرها؟ لا مانع من غض الطرف عن بعض الأشياء، ما دام ذلك يصب بمصلحتنا في النهاية.

صمت لحظة ثُمَّ مال بجسده على المكتب، وهو يثبت نظره بعين "**شريف**"...

– ولا تخبرني أنك لا تستعين بسارق يمكنك السيطرة عليه، لتُمسك بآخر لا يمكنك السيطرة عليه، أو حتى الاقتراب منه!

بادله "**شريف**" النظرة بعدم ارتياح...

– فهمت.

– لكن لم تخبرني بِمَ هي متورطة؟

تساءل بها "**أمجد**" بعدم اهتمام وهو يعبث بعلبة سجائره...

– جريمة قتل.

قالها "**سمير**" وهمَّ واقفًا، و"**شريف**" الَّذي تبعه بالوقوف ليعلن نهاية المقابلة، رفع "**أمجد**" عينه نحو "**سمير**" وما زالت عدم المبالاة تعتلي مُحياه...

– أشكُّ بذلك... فلم يكن الدم يومًا طريقها.

قاطع "**شريف**" كليهما بنظرة واثقة حد الغرور، وهو يتجه نحو الباب...

– ما دُمت خطوت بطريق الشيطان فكلُّ شيءٍ مُباح، وبات كلُّ طريقٍ هو طريقك.

التفت خارجًا و"**سمير**" يتبعه، ثُمَّ توقَّف لحظة والتفت نحوه...

– كلُّ ما قلته لا يمنع أنني سأنتظر أن تُحضر لي كلَّ ما يخصها ولم يكن بملفها الفارغ! كلَّ القضايا الَّتي تورطت بها.

أومأ له بالموافقة، غادر كلاهما مكتبه، خطا "**شريف**" عدة خطوات بالممر نحو نافذة كانت قريبة وهو يزفر بشدة، يحاول استنشاق هواء نظيف يملأ به رئتيه، نظر نحو "**سمير**" الغارق بالصمت، فالتقطه من دوامته...

– قل ما عندك، أعلم أن شيئًا يجول بخاطرك!

– أعتقد أنه لم يقل كلَّ شيء، حتى إنه لم يخبرنا لِمَ فتاة بذكائها كما يدَّعي وافقت على العمل لصالحه!

- لمَ لا نؤجل البحث خلف كذبته؟ والَّتي أُوقن أنه يخفي خلفها شيئًا! لكن ربَّما هو شيء لنَ يُفيدنا بأي حال، لنركز الآن على ما بأيدينا، أريدك أن تذهب للمشفى وتعمل على نقلها إلى المديرية، بينما سأذهب لمقابلة عائلة "**العليمي**"، لأعرف أي شيء قد يدلنا على ما كانت تفعل مُقتحمة مواقع مُحترفة بفيلته الخاصة!

أمال "**سمير**" رأسه بالموافقة، وهبَّ كلاهما مغادرًا لوجهته!

باليوم التالي وبتمام العاشرة صباحًا، تمَّ نقلها لمديرية الأمن تحت حراسة مُشددة، كأنها أحد عناصر تنظيم القاعدة! كان "**شريف**" يجلس خلف مكتبه، يبدو عليه الإرهاق، وأمامه ملف القضية، نظر نحوها بابتسامة خبيثة، أومأ لها بالجلوس فجلست، وجلس مُقابلها "**سمير**"، تعلَّقت العيون بعضها ببعض دقائق تحلَّق بها الصمت فوق الرؤوس، حتى أسكته "**شريف**" باعتداله المفاجئ بجلسته، وهو يُلقي أمامها بضع ورقات مُتصلة معًا، تساءلت بقلق بدا واضحًا عليها...

- ما هذا؟

- إنه تقرير الطب الشرعي، ومُرفق معه تقرير المعمل الجنائي.

نظرت نحو الورق، الَّذي لم تحاول حتى قراءته فلن تعي المكتوب على أي حال! عاودت النظر إلى هذا الضابط الجالس خلف مكتبه.. «**فقد ظفر بضحيته**».. هكذا حدثها ما استيقظ من عقلها...

- دعيني أُترجم لكِ تلك الخطوط المسحورة، فأحيانًا كثيرة أعتقد بأن رجال الطب الشرعي والمعمل الجنائي سحرة أو مشعوذون.

قالها "**شريف**" وهو يضحك ببرود، أثار الرعب بداخلها، إلا أنها تمالكته بباطنها...

- هذا التقرير يقول أن المجني عليه قُتل بثلاثة أعيرة نارية اخترقته من مسافة قريبة جدًا، أودت بحياته على الفور، سلاح الجريمة كان ذلك المُسدَّس بجوار قدمك، والَّذي أثبت المعمل الجنائي أنه يحوي بصماتك، غير أن بصماتك كانت موجودة على بضع أشياء أخرى بتلك الفيلا، دماء المجني عليه كانت تُغطي ثيابك ويديك، كلُّ هذا يصل بنا إلى يقين واحد فقط.

صمت لحظة، ونظر نحو "**سمير**"، الَّذي استطرد وهو ينحني إلى الأمام نحوها...

- أنكِ الجاني، أنتِ من قتلتِ **"باهر العليمي"** مع سبق الإصرار والترصد.

فانتبهت، كأنَّ كلَّ ما قيل سابقًا لم يجذب انتباهها! ذلك الانتباه الَّذي لم يكن بالمكان قبل تردد كلمة **قتل**! حاولت قول شيء إلا أن لسانها عُقد، فأبى النطق كما ذاكرتها الَّتي تأبى الحضور؛ استحثها **"شريف"** على الحديث، بنبرة صارمة ونظرة إن تحولت سهمًا لقتلتها...

- لماذا لا تخبريني لِمَ قتلتِ **"العليمي"**؟

ظلَّت تنظر إليه، والصمت كلُّ ما تقوى على البوح به، التقط **"سمير"** عينيها التائهتين...

- هذا الصمت لن يفيدك كثيرًا، لِمَ قتلتِ المجني عليه؟

وقبل أن تُقرر البوح بغير صمتها الَّذي أطبق مقصلته عليها، وصلت رسالة إلى هاتف **"شريف"**، قرأها وهبَّ خارجًا! تركها و**"سمير"** لعله يظفر بشيء! ليجد **"أمجد"** يقف أمامه! تساءل وهو يصافحه...

- لماذا لم تدخل؟

- أخبروني أنها بمكتبك.

قالها وهو يمد يده بالملف الخاص بها لديه، بالطبع بعد اقتصاص الجزء الَّذي يتعلَّق بعلاقته بها، حتى إن اسمه لم يذكر بالملف بأكمله! أمال **"شريف"** رأسه إيجابًا وهو يُمسك بالملف، وبنظرة النصر الَّتي انتظرها منذ البداية...

- إننا نقوم بإغلاق التحقيق.

- علمت مصادفةً أنها تدعي فقدان الذاكرة!

قالها بنظرة مهتمة بعض الشيء، أمعن **"شريف"** النظر بعينيه الهاربتين...

- هي فقط تحاول الهروب من العقاب.

- لِمَ لا تدعني أتحدث معها؟ فقد عملنا معًا سابقًا، وإن كانت تكذب فلن يكون من الصعبَ أن أكتشف هذا.

- ولِمَ لا؟! تفضل.

دخل "**شريف**" وتبعه "**أمجد**" بخطى لم تكن واثقة ممَّا سيقابله بالداخل! حين خطا داخل الغرفة تلاقت العيون، إلا أن إحداها كانت تعي الأخرى وتعلم عن ماذا تُفتش تحديدًا، أمَّا الأخرى فلم تكن تعي شيئًا! جلس إلى الأريكة المقابلة لها...

- كيف الحال يا "**شهد**"؟

أمالت رأسها بحيرة، فما زالت تُفتش عن ذلك الحال الَّذي يتساءل عنه الجميع! وباتت تُوقن أنها لن تجده! فأردف بثبات غمر صوته...

- ألا تتذكَّريني؟

- هل من المفترض أن أتذكَّرك؟

بدأت تنتبه لذاك الضيف الجديد الَّذي حلَّ على ذاكرتها المدفونة! تعلَّقت العيون المتابعة لهما، نظر "**أمجد**" نحوها بهدوء بدأ يعتليه ويُزيد ثقته بكلِّ لحظة، عاودت سؤاله...

- هل تقابلنا سابقًا؟

- كلَّا.

قالها وهمَّ واقفًا! اتَّجه نحو الباب بابتسامة صافية احتلت جبينه وأدار قفله، أمَّا "**شريف**" و"**سمير**" فقد أصابهما الذهول الَّذي لاحظته "**شهد**" فزاد من دهشتها! همَّ "**شريف**" وتبعه خارجًا، فباغته "**أمجد**" وهو يلتفت نحوه وقد قطب حاجبيه بثقة...

- إنها تكذب.

- لماذا لم تخبرها أنك قابلتها سابقًا؟ وأنها كانت تعمل لصالحك؟

- لأرى رد فعلها.

راح يُشعل سيجارته، فتساءل "**شريف**" بخبث...

- وماذا رأيت؟

- أخبرتك.. كما قلت أنت سابقًا... تدَّعي كي تُفلت بفعلتها.

حينها خرج "**سمير**" فأمال "**أمجد**" له رأسه بابتسامة وغادر، فقال "**سمير**" بضيق...

– ذاك الشخص به شيء لا يروقني.

– لا تهتم له، تلك القضية أخذت من وقتنا الكثير فلنُنهِها، لنُحِلها إلى النيابة وهي تُوكِّل محاميًا للدفاع عنها.

انتفض **"سمير"** وقال بصوت قلق...

– لكنها لم تنتهِ، فهي لا تتذكَّر شيئًا، ولا نعلم ماذا كانت تفعل بمنزل القتيل!

– بل انتهت، هي كاذبة، ذهبت لسرقة الفيلا، فاجأها **"العليمي"** فقتلته، نهاية القضية.

هتف بها بنبرة صارمة وعينين غاضبتين، حتى ينتهي السائل إلا أنه لم يفعل...

– فتاة بتلك المهارة في الاختراق والسرقة عن بُعد لماذا تذهب لسرقة فيلا؟ ويمكنها سرقة بنك وهي بمنزلها!

– **"سمير"...** تلك القضية أُغلقت، هناك ضغوط كثيرة لإنهائها، فلِمَ الانتظار والقاتل يقبع خلف هذا الباب؟!

هتف بها وهو يُشير نحو باب مكتبه، لكن تلك المرَّة بعينين حانقتين وغضبٍ غمر كلَّ ذرة به، صمت **"سمير"** وأحنى رأسه استسلامًا؛ فهو يعلم تلك النظرة جيدًا، فقد أُعلنت نهايةَ النقاش والأمر برمته، تركه **"شريف"** خلف ظهره، دلف إلى مكتبه لينهي تلك القضية، الَّتي لا يعلم أنها قد بدأت للتو!

تمَّت إحالة القضية للنيابة العامة، الَّتي لم تقتنع بالتقرير الطبي للمتهمة، وخاصة مع وجود ملف جنائي لها! وتحت ذات الضغوط! لم يمر الكثير من الوقت، ومع التزامها الصمت الفادح، أُحيلت القضية مكتملة الأركان كما أفادت النيابة للمحكمة، الَّتي أجلت القضية لحين اطِّلاع المحامي المُتبرع للدفاع عن المتهمة على أوراق القضية! وأيضًا انتدبت طبيبًا آخر لتوقيع الكشف الطبي عليها، لتأكيد اشتباه فقدان الذاكرة من عدمه، ولحين نظر الدعوة مرَّة أخرى، أُودعت المتهمة بالحبس الاحتياطي......

وبداخل ذلك الحبس، كانت تجلس بالركن المظلم من الزنزانة، ضامة ساقيها إلى صدرها بذراعيها، تدعو الله بأن يفتح لها ثقبًا من نور وسط العتمة داخلها، لم تكن تنتبه

لكلِّ هذا الضجيج من حولها، عينها راحلة بروحها خلف هذا الخيط الفضي الرفيع، وهو يتسرب من ضوء القمر، ليجتاز تلك النافذة الحديدية ويرمي بعضًا من أنواره بداخل هذا القفص المُعتم، لكن الزنزانة القابعة بين ضلوعها كانت أحلك ظلمة وأعتى وحشة من تلك الَّتي تُحيطُها جُدرانها! لم تكن تعي كم من الوقت مكثت تُطارد روحها المُوثقة أطرافها بجنبات زنزانتها ذاك الخيط من الضوء! كانت تحاول التعلُّق به لعله يحملها بعيدًا! وعقلها قد توقَّف تمامًا عن كلِّ شيءٍ كأنَّ وقوده قد فَرَغ! وبمَ تفكر وهي لا تتذكَّر حتى اسمها هذا الَّذي بات يعرفه الجميع إلا هي! كيف تأمل بأنَ غيره قد يلوح بثنايا عقلها المُغادر لكونٍ بعيد!

حتى انقطع فجأة هذا الخيط الرفيع! الَّذي تتمسَّك روحها به بين أقدام فتاة أتت لاهثة الأنفاس، تحاول الاختباء بركن الغرفة المظلم بجوارها، تلك الَّتي دلفت قبلها ببضعة أيام معدودة، والَّتي يبدو أنها ليست على وفاق مع بعض السجينات اللَّاتي يحكمن الزنزانة! كانت "**شهد**" تنأى بنفسها بعيدًا عن الجميع منذ دخولها إلى تلك الدولة المنعزلة، ولم يحاول أحد الاقتراب منها! توجسًا من تلك الظُلمة الغريبة الَّتي تُحيطها! غير أن هناك أوامر صارمة بعدم الاقتراب منها من آمر السجن! نظرًا لتوصية خاصة من الضابط "**سمير**"**!** والَّذي ما زال بداخله لا يقتنع بما آلت إليه القضية! حين وجدت تلك الفتاة الجميع يبتعد عن "**شهد**" ظنت أن لها هيبة بينهم! قبعت الفتاة بجوارها، وبحركة لا إرادية منها أمسكت ذراعها من شدة خوفها تحتمي بها، كانت ترتجف بشدة! ظلَّت "**شهد**" تحوِّط ساقيها بذراعيها وقد أسكنت ذقنها فوقهما، عادت مُطرقة شاخصة في ذاك الخيط الَّذي عاد يُداعب روحها، والَّذي عاد وانطفأ سريعًا! لكن تلك المرَّة كانت الأقدام الَّتي تقف أمامها لا تُوحي بسلام! رفعت رأسها على مهل وعينها تُتابع تلك الأقدام المستتبة في الأرض بقوة، كأنها غُرست بها من ألف عام! حتى وصلت عينها تلك العيون الَّتي تطاير منها الشرار، كن ثلاثة وجوه غاضبة خشنة التقاسيم، قد قطبن الحواجب كإنذار لإعلان الحرب!

فضت "**شهد**" ذراعيها من حول ساقيها، الَّتي راحت تبسطهما على مهل، ارتكزت بيدها اليُسرى إلى الحائط جوارها بروية حتى وقفت، بدت للغير ثقة مُفرطة! لكنها بالحقيقة كانت محاولة لتُمسك بأنفاسها المُولية الفرار! حتى لا يطفو خوفها على جبينها! فهي ربَّما لا تتذكَّر شيئًا، لكن كي تعلم أن لا وجود للخوف في مكان كهذا شيء لا يحتاج لذاكرة! الخوف في دولة السجن سيودي بحياة صاحبه دون عزاء! لذلك أحكمت أوتاد خوفها ووقفت أمامهنَّ شامخة، بادلتهنَّ نظرة لا تقل شيطانية عنهن، تقدَّمت إحداهنَّ

نحوهما وقد تخطت الأربعين من عمرها، بجسدها النحيل، رغم أن وجهها ليس بالقبيح المخيف، فإن به من الرهبة ما يكفي لبثِّ الخوف في القلوب! خاصة بتلك العلامة أسفل عينها، الَّتي يبدو أنها توقيع من أحد الغاضبين على وجهها! أدارت "**شهد**" عينها بحذر وسط العيون الَّتي سُلطت على تلك البقعة من الزنزانة، كأنها صارت مركز الكون ونقطة دورانه! حتى عادت واستقرت بقائدة الحرب في المنتصف، الَّتي لم تقل شيئًا! فقط نظرت للفتاة المذعورة، كأنها تخبر "**شهد**" أنها لا ترغب سوى بها، فنظرت نحوها لتجد الفزع والرعب قد بلغ من الفتاة مبلغه، حتى ظنَّت أن قلبها ربَّما يتوقَّف بأي لحظة! عاودت النظر إلى هذا الشيطان الغاضب أمامها، لم تُبدِ "**شهد**" أي ردة فعل أو اهتمام، فلا تبحث عن مزيد من المتاعب فلديها ما يكفي ويزيد؛ نحت "**شهد**" عينها جانبًا، تبسَّمت قائدة الحرب بسمة النصر فقد ظفرت بضحيتها، مدت يدها وأمسكت الفتاة من ذراعها، جذبتها لوسط الزنزانة، لتحصل على درس حتمي في الأدب والطاعة، حتى لا تتجرَّأ على ضباع تحكم ذئابًا! هنا لا يسود سوى قانون واحد فقط هو ما ساد منذ بدأ الخليقة، وما سيظلُّ يسود حتى تُعلن نهايتها! لم يغيِّره تطورٌ أو تمرّ بجانبه حضارات، لم يسمع عن الحريات، أو كلِّ تلك التُّرَّهات الَّتي لا ينفكون يلوِّحون بها كُلَّما أرادوا أن يلهونا عن تدابيرهم الخفية، ونواياهم الخبيثة الَّتي تستشري وتتفشى بيننا كالأوبئة المميتة، فقانون البقاء للأقوى هو ذلك القانون المتبع بدولة السجن علانية، ومُتبع بالعالم أجمع خفية! أو هكذا يعتقد الواهمون بأنه سرهم الثَّمين! أفلا يعلمون أنه ذلك السر الَّذي صرخوا به جهرًا، حتى أصموا آذاننا وعقولنا؟! إلا أنه ما زال سرهم الثَّمين! فيا للعجب أهو حُمق منهم أن يعتقدون أنه سر! أم حُمق منَّا لأننا تركناهم يمرحون بنا كيفما يشاؤون! ويهنؤون بسرهم المُعلن الملعون!

سكنت نظرات الحسرة بعيون المتفرجين كما هو الحال دومًا! فنحن شعوب تهوى مقاعد المتفرجين، وتتسابق إليها، ربَّما نحزن ونتحسر، نصيح ونصرخ، نتألم لأجل هذا ونتوجع لذاك، لكن دون ترك المقعد! أطبقت قائدة الحرب راحتها على ذراع ضحيتها بقوة تجذبها، وبسمتها تكاد تُغرق العالم أجمع، والصرخات والدموع تنهمر من تلك الفتاة الَّتي آلمتها تلك اليد الممسكة بها كالسوط لتجرَّها كالذبائح، فقد باتت تعلم مصيرها المحتوم، حتى أمسكت فجأةً بيد السوط يد أخرى! تُوقفها عن جذب ذراع الفتاة! اختفت بسمتها الشيطانية وجحظت عينها الغاضبة حين اصطدمت بعين "**شهد**" تخبرها **أن اتركيها!** راحت "**شهد**" تشد من بأسها على ساعد قائدة الحرب الغاضبة، حتى آلمها فتركت ذراع الفتاة، عادت تتوارى خلف "**شهد**" بابتسامة الغريق الَّذي وجد

قشته، تقدَّمت الغاضبة خطوة تجاه هذه الَّتي تقف حائلًا بينها وبين ما تبغي! فلم يرتعد وجه **"شهد"** رغم أن قلبها كان يصرخ فزعًا! تقدَّمت خطوة هي الأخرى فتلاقتا وكادتا تكونان بالمنتصف، باتت العيون تدق أبواق الحرب، رفعت الغاضبة يدها لتهوي بها على وجه **"شهد"**، إلا أن الأخيرة أوقفتها بسرعة تعجبت هي منها! كأنها لا تعرف من أين أتتها؟ وكيف لها توقع أنها ستفكر بلكمها على وجهها! أمسكت **"شهد"** قبضة الغاضبة بإحكام، وزادت بقوتها حتى بدأت الأخرى في التأوه، كادت تنكسر قبضتها تحت يد **"شهد"**؛ فرفعت الغاضبة يدها الأخرى لتُبعد يد **"شهد"** عنها، إلا أن الأخيرة أمسكت قبضتها الأخرى بإحكام، وزادت من قوتها بدفع جسدها للأمام دفعة واحدة، وهي غارسة قدميها بالأرض، فانحنت أمامها الغاضبة والحنق يتطاير من عينيها، همَّت لتستجمع قوتها لتقف ثانيةً باعتدال، فقابلتها **"شهد"** بضربتين متتاليتين في رأسها، طرحتاها أرضًا بقوة آلمتها وغمرتا جبهتها بالدماء، وسط ذهول الجميع وأولهنَّ **"شهد"!** الَّتي ذُهلت من نفسها! والجميع ينظرن لها بدهشة، ورغم ذهولها فإنها لملمت أنفاسها بقوة ووأدت دهشتها لتُبيِّن أنها الأقوى، حين تقدَّمت إحدى الأخريات الغاضبات نحوها بغل تريد تلقينها درسًا، فتهيأت لها **"شهد"** بأن دفعت قدمها اليُمنى للخلف واليُسرى للأَمام، أمَّا يداها فقد رفعتهما قليلًا تجاه وجهها ويُمناها للخلف عن يُسراها، واتخذت وضع الهجوم بعينين غاضبتين، أوقفت تلك الغاضبة امرأةٌ أخرى، وهي تنظر لقائدتها المُلقاة أرضًا، كأنها تقول لها - «**ستلقين نفس مصيرها**». وهمست بصوت مسموع للجميع - «**لن تتفوقي عليها، هي هنا بجريمة قتل.. إنها قاتلة**». نظرت نحوهما **"شهد"** وقد ارتسمت على وجهها صرامة وقسوة بدت مُخيفة، فتراجعتا للخلف بهدوء، وهما تجرَّان الملقاة أرضًا للخلف ثُمَّ تمسحان عن وجهها الدماء.

عاودت **"شهد"** الرجوع بظهرها للخلف فلا تأمن أن تدير لهما ظهرها! ارتسمت الراحة بعيون المتفرجين لانقضاء الأمر عند هذا الحد، عادت لركنها البعيد الهادئ الَّذي لم يعد هادئًا! بعد أن حلت عليه تلك الضيفة الثرثارة...

- أنا **"ريهام"** لكن يمكنك مناداتي **"ريري"**... وأنتِ؟

نظرت نحوها **"شهد"** دون أن تجيب، لتعاود التساؤل...

- هي قالت أنك قتلتِ... فهل حقًا قتلتِ؟

قالتها بقليل من التخوف وابتسامة عابرة، فظلَّت **"شهد"** لا تتفوه سوى السكون،

تُلاحق خيطها المحكم لروحها، لكن **"ريري"** لم تتوقَّف عن الحديث...

- أنا لا أصدق كلَّ ما يُقال، فهم اتهموني بالسرقة، لكن دعيني أُخبرك سرًّا.

اقتربت أكثر منها، وهي تخفض صوتها وتتلفَّت حولها...

- بالحقيقة أنا لدي بعض المهارات في الرسم وتقليد خطوط الآخرين، ولنقل أنني أغضبت بعض الغربان، فوضعوني هنا تأديبًا لي بتهمة السرقة، الَّتي بالحقيقة لم أرتكبها.

قطبت حاجبها، انتظارًا لأي رد فعل من **"شهد"**، الَّتي بدت كأنها لم تسمع شيئًا رغم أنها سمعت! لكن السكون ظلَّ حليفها على عكس **"ريري"** الَّتي لم تتوقَّف، فصار سيل من الأسئلة الَّتي لم تجب **"شهد"** أيًا منها، تلك الفتاة الثرثارة الخمرية ذات العينين السوداوين وافرة الجمال قصيرة القامة، وخفيفة الظل رغم ما يبدو من بحار الحزن الَّتي تُغرق عينيها! والَّتي تواريه بالضحك المستمر، كأنها تخشى أن تتوقَّف فيطفو الحزن ويُغرقها! ظلَّت تُثرثر عن كلِّ شيءٍ يخصها، كيف أنها بريئة لم ترتكب أي جريمة كعادة التسع مرَّات السَّابقات! فلم تكن تلك مرَّتها الأولى بالسجن! حتى إنها حُكم عليها مرَّتين سابقًا في قضايا تزوير، وخرجت من الباقي لعدم وجود أدلة كافية، أو لوجود ثغرات يعرف كيف يتلاعب بها محاميها! لكن هذا لا ينفي كونها بريئة دومًا! كما حال جميع البشر!

لم تكف **"ريري"** عن الثرثرة طوال اللَّيل، ولم تكف **"شهد"** عن الصمت، إلا أنها لم تحاول إيقافها، كأن ثرثرتها ونكاتها الَّتي كانت تُلقيها، رفعت من وطأة القفص الموحش الَّذي يحتجزها بين جدرانه الباردة المعتمة، وتحتجزه هي بين ضلوعها التائهة، الَّتي باتت تقف على أعتاب الجحيم! فلا تعلم بأي سبيل سيُلقي بها! غفت وهي جالسة بمكانها وسبحت بعالم آخر، حتى انتفضت فجأة من نومها بصرخة مكتومة، فزعت لها **"ريري"** الناعسة على كتفها كالطفل الصغير، فأخذت تُربت على يدها وكتفها، سألتها عمَّا أفزعها! إلا أن **"شهد"** لم تُجب، بل ظلَّت فزعة العينين والأنفاس، وعُلِّقت عينها بالجهة المُقابلة لها من الزنزانة! بتلك السجينة النائمة، والَّتي ضربتها منذ بضع ساعات، فقد عاود عقلها وهي نائمة عِراكهما، كأنه يعرض لها شريطًا سينمائيًا، إلا أن ما أفزعها وهربت له دماؤها! أنها كانت بمكان آخر وعراكها مع شخص آخر!

بأعلى نقطة من جبل المقطم، وبعد منتصف اللَّيل تقريبًا، كان **"كامل"** يجلس داخل سيارته وإلى جواره **"سعد"**، يرمقه بتلك النظرة المُمتعضة...

– هل تعلم أن تلك الفتاة مُخترقة مواقع من الطراز الأوَّل؟

– هناك من أخبرني، فأنا أيضًا لدي مصادري.

قالها وهو يحاول تصنُّع البرود، فهو يعلم ما الَّذي يبتغيه! حين هتف **"كامل"** بحنق...

– إذًا فلم تكن عشيقته أيها الأحمق كما أخبرتني.

– هو من أخبرني بذلك... وأتذكَّر أنك أخبرتني أنه سيكون وحيدًا، أو أن الأخرى هي من ستكون معه! فكيف لي أن أعرف من هي حقيقةً؟ وماذا كانت تفعل ببيته؟ فما الَّذي كان يُفترض بي فعله؟

– كان من المفترض أن تكون ميتة.

صرخ بها، لتزداد حدة **"سعد"**...

– تلك الضربة كانت كافية لقتلها.

– لكنها ما زالت على قيد الحياة، وهذا خطؤك.

صمت كلاهما وتلاقت العيون المُتَّقدة كُرهًا، فتجاوز كلاهما غضبه أو هكذا تصنَّعا، حاول **"كامل"** تهدئة نبرته...

– تلك الفتاة كانت هناك، وربَّما لديها ما نريده.

– يقولون أنها لا تتذكَّر؟

– ربَّما... وربَّما لديها ما نُفتش عنه، تلك الفتاة رأت وجهك، لذا يجب أن تحرص على موتها، لكن...

صمت لحظة، التفت نحو **"سعد"** بحدة وغضب اتَّقد بعينه...

– تلك المرَّة احرص على أن تموت، فلا أريد خُططًا عبقرية كما حدث بالفيلا يا أحمق.

– أنت من طلب أن يكون حادثًا طبيعيًا، لا يثير الشُّكوك، هذا كلُّ ما طرأ لي حين

وجدتها، وأخبرني بأنها عشيقته، وأتذكَّر حينها أن قصَّة عاهرة قتلت عشيقها كانت تروق لك، فتخلصت منه وأيضًا بفضيحة ستلحق باسمه.

هتف بها بضيق وحنق ملأه، فبادله **"كامل"** إياه...

- هذا إن كانت ماتت، لكن يدك بدأت تهتز، وضربتك لم تعد كسابقتها.

أدار **"سعد"** عينه بالظلام المحيط وهو يكزُّ أسنانه، يعتصر قبضته ضيقًا، فتجاهله **"كامل"** وهو يعتدل بمجلسه، همس **"سعد"** بحدة...

- تلك المرَّة الأولى الَّتي أُخطئ بها.

- وستكون الأخيرة... احرص على إنهاء تلك الفوضى بشكلٍ صحيح، فلتتأكَّد من أن تُدفن، وكلُّ ما تعرفه معها، دون إثارة الشُّكوك، هذا لن يصبَّ بمصلحة أحد.

- أخبرتك أنني بالفعل توليت الأمر، ستنتهي دون أن نقترب منها، تأكَّد من أنها لا تتذكَّر شيئًا عن تلك اللَّيلة، فلقد رأتني بالمحكمة ولم تتعرَّفني.

قطب بها جبهته وهو يهزُّ رأسه تأكيدًا لاعتقاده، فأطبق **"كامل"** على صمته دون أن يلتفت له، أدار سيارته مُعلنًا نهاية الحديث واللقاء، غادر **"سعد"** السيارة والغضب يزداد بأرجائه، ظلَّ واقفًا لحظات بعد مغادرة **"كامل"**، شاخصًا بعينيه إلى الفضاء، أخرج هاتفه، ضغط الاتصال، بعد ثوانٍ فُتح الخط المُقابل فهتف بضيق - «**أرى أنك لا تقوم بما اتفقنا عليه... أعلم ما طلبته... يمكن أن يكون الأمر نظيفًا وسريعًا... لا تخبرني أنها مسألة وقت... حسنًا لن أنتظر الكثير، تذكَّر أنك بالفعل تسلمت نصف المبلغ، وسأعطيك الباقي وأكثر حين أسمع ما أريد... إن لم يحدث أعدك أنك لن تسمع شيئًا بعدها بحياتك**». أغلق الخط بحنق ما زال يملؤه، راح ينظر بساعة هاتفه، أغلقه ووضعه بجيبه، أشعل سيجارة وهو يدلف إلى سيارته، ويلعن تلك اللَّيلة، وتلك العثرة الَّتي ظهرت من العدم!

***

لم يمر الكثير، بضعة أسابيع قليلة بين جلسات وحبس، وبذلك اليوم وقبل أن تهبَّ الشمس لمبيتها بقليل، كانت تجلس داخل عربة الترحيلات، مُلاصقة ظهرها لجدار العربة، قد بدت العربة لها تلك المرَّة بشكلٍ مختلف! باتت باردة أكثر ومظلمة بشدة، رغم الضوء الَّذي يتخلل قضبان نوافذها الحديدية الضيقة! كانت العربة تعج بالفوضى

والضجيج من كلِّ اتِّجاه، لكنها كانت تشعر بسكون جارف! ربَّما تعتقد للوهلة الأولى أنه سلام نفسي وهدوء داخلي! إلا أن داخلها لم يسُدهُ السكون كخارجها! بل كان هناك الكثير من الثرثرة والفوضى الصارخة! انتابها إحساس بالتناقض، في كلِّ شيءٍ ترى الفوضى لكنها لا تدركها، تستشعر الضجيج لكنها لا تسمعه! جسدها حاضر أمَّا روحها فتسبح حولها، تُحلق بعيدًا ربَّما تُحاول مُغادرتها! نبضاتها قبل أنفاسها تزداد تباعدًا، عقلها يحاول التشبُّث بالجميع داخلها! ظلَّت عينها مُطرقة بالأرض تحت قدمها، حاولت "**ريري**" الَّتي كانت مُكبلة معها بذات الأصفاد استعادتها والدموع تتراقص بين حدقتيها...

– لا تحزني، فهذا الحكم ليس مؤكدًا.. هناك استئناف له، سيتم تخفيف العقوبة.

لم تجب "**شهد**"، حينما ابتسمت تلك السجينة المقابلة لهما، والَّتي قد ضربتها سابقًا، راحت تُحادث زميلتها في الأصفاد بلهجة يعلوها الحقد...

– الإعدام هو عقوبة عادلة للقتلة، ربَّما يجب إعدامهم أكثر من مرَّة، وليس واحدة فقط.

اختلطت تلك الكلمات برأس "**شهد**" بصوت القاضي، وهو يُقر حكم الإعدام ضدها بالمحكمة بصباح هذا اليوم، ظلَّت عينها مستقرة بأرض العربة، بدأت تعي الكثير وقد أخبروها القليل عن نفسها! راح عقلها يسرده كأنه يقوم بتكرار شيء حفظه «**أنا "شهد"، لدي سبعة وعشرون عامًا، توفي والداي في حادث سيارة عندما كنت بالخامسة عشرة، انتقلت إلى منزل جدتي لأبي والَّتي توفت وأنا بالحادية والعشرين، كنت أدرس هندسة المعلومات، وتم فصلي من الجامعة لأنني تعديت بالضرب على أحد أساتذتي! وأنا أحد مقتحمي المواقع ولدي ملف جنائي!**» أخذ صوتٌ داخلها يُردد عدة مرَّات مُتلاحقة وهي تهزُّ رأسها للأمام والخلف – «**هذا ما قيل لي**». صمت ذاك الهامس لحظة، لترفع طرف عينها نحو تلك النافذة الضيقة أمامها، فعاد يُردد – «**لكن ما أعرفه أنا.. أنني استيقظت بذلك المنزل مُضرَّجةً بدماء ذلك الرجل، لا أعلم شيئًا ولا أذكر شيئًا! فربَّما أنا قاتلة وربَّما لا! ومن هو صاحب الرسالة لي بالمشفى؟ ولِمَ أرسلها؟ ولماذا لم يحاول إخراجي من تلك الفوضى كما ادَّعى؟ لكن الأمر الوحيد المؤكد الآن أنني بت أقف بمنصة الإعدام!**» توقَّفت لحظةً عن ترتيبِ كلِّ ما تمتلكه من أوراق، تنظر خارجًا إلى الطريق الذى تسير به العربة، فما عاد يفصلها عن حبل المشنقة سوى بعض الكيلو مترات، وسجن باتت تعلم أنها إن خطت به لن تُغادره سوى جثة! حينها استعادها من

أفكارها ألم ارتطامهم داخل العربة! بسبب تلك الحفر الَّتي تملأ هذا الطريق الترابي، فقد اتخذه السائق هربًا من الاختناقات المرورية على الطُرق السريعة، أمعنت النظر بالجزء الصغير البادي من الطريق أمامهم، ترى عربة الحراسة بدت بعيدة، حتى كادت لا تُرى من تلك المسافة! حين هتفت إحدى السجينات بحنق...

- تبًا لتلك الطرق الترابية.. ألا يرصفونها مطلقًا؟ أيريدون قتلنا؟!

فأجابتها أخرى بضحكة ساخرة...

- إنهم لا يرصفون الطرق السريعة المكتظة بالسيارات، فهل سيرصفون تلك الخاوية وسط الأراضي الزراعية؟!

لحظات وعاد ارتطام السيارة، ممَّا جعل السائق يُقلل من سرعته أكثر، لتفادي تلك الحفر المُبعثرة على طول الطريق الترابي غير المُمهَّد، ممَّا زاد المسافة بينه وبين عربة الحراسة أمامه، الَّتي كانت تخطته منذ بداية الطريق المُتكسِّر لأن حمولتها أقل.

راح الصوت داخلها يعاود همسه بشيء ما بأرجاء عقلها! رفعت رأسها وراحت تنظر للخلف وللأمام على غير هدى! أو هكذا بدت لمن حولها! سكنت لحظة، رفعت طرف عينها نحو تلك السجينة، الَّتي ما زالت تنظر نحوها بابتسامة شماتة لحاقدة مُنتصرة، عبر على ثغر "**شهد**" شبح ابتسامة مُمتعضة من جانبها، أمالت لها تلك السجينة رأسها تعجبًا! وقبل أن تعي استقرت قدما "**شهد**" بصدرها! انتفض الجميع من مجلسه، عاودت "**شهد**" الارتكاز بيدها إلى الأريكة الحديدية، ولم تُمهلها أن تعي ما يحدث! عادت وركلتها عدة مرَّات مُتتالية بقوة في صدرها، ممَّا أثار الفوضى واشتعال عراك مُحتدم بين السجينات في هذا الصندوق الضيق، والأهم أنه راح يترنح بهم وبالعربة بعنف فوق الطريق الترابي! ممَّا أثار سُخط الضابط بالكابينة الأمامية، راح يسبهم ويلعنهم، وهو يحاول دفع سائقه للتمسُّك بمقود سيارته، الَّذي حاولت يداه أن تستميت بضراوة على عجلة قيادتها للاحتفاظ بإطاراتها على الطريق قدر الإمكان، ممَّا أثار الضجيج على هذا الطريق الخاوي من كلِّ ما هو حي! إلا أن حظه العاثر أثقل عليه بدوي صوت إحدى الإطارات الخلفية الَّتي انفجرت، وزيادة العراك داخل الصندوق المترنح؛ ليفقد بالنهاية سيطرته على السيارة ويختل توازنها بالكامل، يزداد اصطدامها بالحفر المُتلاحقة، فراحت تتمايل بقوة كغصن يابس في عاصفة شتوية هوجاء، حتى خرجت إطاراتها عن الطريق، وانقلبت على جوانبها عدة مرَّات مُتتالية، حتى استقرت على إحدى جانبيها بين

الأراضي الزراعية المنخفضة، سكن كلُّ شيءٍ فجأة، إلا من صوت حفيف هادئ لإطاريها اللَّذين لم يتوقَّفا عن الدوران بعد! مرت لحظاتٌ من السكون الصارخ!

بداخل الصندوق لم يكن هناك ما يُوحي بأن هناك حياة بأي من تلك الأجسام المتكومة بعضها فوق بعض! بدت كالخاوية على عروشها داخل ذاك القفص أو حتى بالكابينة الأمامية! لقد تضررت مقدمة العربة وخرج منها الدخان، انبعج الصاج المقوى بجوانب قفصها.. وهناك بهذه الزاوية البعيدة تحت آخر شعاع للشمس مُتسرب من بين قضبان النافذة، كانت تقبع مُلقاة على وجهها، تحت إحدى السجينات الَّتي استقرت فوقها إثر الارتطام. كان يمكن أن تفقد حياتها، لكن تلك مُجازفة كانت تعلمها! «**إلا أنها آثرت المجازفة باللعب على خيط يتأرجح بين الحياة والموت، عن الموت المؤكد فوق منصة الإعدام!**» كما همس لها شيطانها!

لم يكن باديًا من جسدها سوى كفها غير المُقيَّد، وجانب وجهها المُلقى على أرض العربة أو بالأحرى جانبها، كانت ساكنة حد الموت! عادت تنتفض أناملها من جديد واستشعرت الروح تدبُّ داخلها ثانيةً! سالت على جانب جبهتها الدماء، راحت تُحرِّك رأسها المُتألم على مهل، تحاول استعادة وعيها، إلا أن وعيها كان حاضرًا بمكان آخر! بدأت تداهمها الكثير من الذكريات المُبعثرة المُتلاحقة، الكثير والكثير من تدفق الصور الَّتي راحت تسيل بين حنايا عقلها، بدأت تسترد وعيها لحظة بعد أخرى، وتلك الصور تغمر عقلها بسرعة وتتدافع كالشلال، الكثير من الوجوه المشوشة، بدت جميعها مطموسة المعالم! الكثير من الأصوات، الضحكات، الصرخات، الهمسات، حتى البكاء كان هناك! كلُّ ذلك يدور بأفكارها كالدوامة الموصولة بالفلك الدوار، الَّذي يأبى السكون! كحفل صاخب يضج برأسها، ربَّما علق بأذنها صوت أو اثنان! لكن لا شيء واضح بالكامل! بالنهاية الصور مُتداخلة، تكاد تكون وجهًا واحدًا اعتلاه ألف وجه بآن واحد! سحبت يديها ببطء ورفعت وجهها عن الأرض، تحاول رفع هذا الثقل الجاثم على ظهرها، بالكاد استطاعت رفعها عنها، حين هبَّت لسحب يدها الأخرى، لتجد "**ريري**" مُلقاة إلى جانبها لا تُحرِّك ساكنًا، انتفضت "**شهد**" بقوة جاثية على ركبتيها، اعتلاها الخوف وتوقَّفت دقاتها ذُعرًا! انحنت فوقها تحاول إفاقتها، تنفست الصعداء حين بدأت "**ريري**" في الحركة مرَّة أخرى، أخذت "**شهد**" ترفع جسدها الواهي عن أرض الصندوق وتُجلسها أرضًا، وتصفع وجهها عدة مرَّات مُتتالية برفق...

- هيَّا "**ريري**"... هيَّا انهضي... أفيقي.

أخذت تفتح عينيها على مضض، تُمسك برأسها المُتألم...

- ما الَّذي حدث؟ أين أنا؟

- هيَّا انهضي سريعًا، قبل أن تفيق الأخريات.

- ما الَّذي حدث يا "**شهد**"؟

- لقد انقلبت السيارة، هيَّا أفيقي يجب أن نغادر الآن!

هبَّت واقفة، تحاول الاعتدال بهذا الصندوق، تحاول إيجاد موضع لقدمها وسط هذا اللحم المكوَّم بعضه فوق بعض، الَّذي بدأ بعض أصحابه في الإفاقة الثقيلة، انتفضت "**ريري**" بمكانها، و"**شهد**" تجرُّها خلفها بأصفادهما...

- ماذا! أجننتِ؟ أتريدين الهروب؟ لا يمكننا فعل هذا.

توقَّفت بموضعها، التفتت نحو "**ريري**" وبنبرة غاضبة أكثر منها صارمة...

- لن أُعدم لأجل شيء ربَّما لم أفعله، لا أعلم ما هي تطلعاتك عن قضاء تسع سنوات من عمرك بالسجن! لكنني لن أذهب إلى السجن... ليس اليوم بكلِّ حال.

اعتدلت وعاودت تقدُّمها، خفضت "**ريري**" عينها وتبعتها إلى باب الصندوق، الَّذي كُسر قفله وانبعج بابه إثر الارتطام، دفعتاه دفعتين بقوة فانشق من فوره، هبطتا خارجًا لتجدا عسكريَّ الحراسة المتواجدين أمام الباب سابقًا مُلقيين على الأرض بجانب العربة، تحسست "**شهد**" نبضيهما لتجدهما ما زالا على قيد الحياة، سحبت "**ريري**" مُسدَّس أحدهما، وضعته بملابسها! نظرت لها "**شهد**" وقد قطبت حاجبيها باستغراب! أمالت رأسها بابتسامة جانبية...

- إن كنَّا سنفعل هذا... فعلينا فعله بالطريقة الصحيحة، فنحن لا نعلــ...

وقبل أن تُزد حرفًا صمتت كلتاهما! سمعتا صوت مُحرك سيارة آتيًا من مسافة ليست بعيدة، كانت تلك سيارة الحراسة الَّتي تخلفت عن مكانها قد عادت! لم ينتبه من بداخلها إلا بعد انقلاب عربة الترحيلات بدقائق، هبوا للاستدارة والعودة لنجدتهم، وهو ما أخذ منهم بعض الوقت فوق هذا الطريق السيئ! خفضتا رأسيهما وتحرَّكتا بحذر وسط تلك الزروع، كي لا يستشعر أحد حركتهما، ساعدتهما الأرض الطينية المبتلة، ابتعدتا

مسافة تكفي لترفعا رأسيهما، ثُمَّ همَّتا بالركض بين تلك المساحات المزروعة والابتعاد قدر الإمكان، وسط نسمات اللَّيل الَّذي ألقى بأوَّل خيوطه على الكون!

- ما الَّذي تهذي به؟

هتف بها **"شريف"** وهو ينتفض من خلف مكتبه، فقال **"سمير"** وقد طفا عرقه بجبهته...

- لقد وردتنا إشارة بأن سيارة الترحيلات الَّتي كانت تُقلها قد تعرضت لحادث، على إحدى الطرق الزراعية، وقد أصيب معظم من كانوا بها بإصابات خفيفة، وتم إبلاغنا بهروب سجينتين فقط، والإمساك بثلاثٍ أخرياتٍ أثناء محاولتهنَّ الهرب.

- أخبرني أنها ليست إحدى الهاربتين!

نكس عينيه أرضًا، فخبط **"شريف"** بكلتا يديه على مكتبه بحنق، دوى بين أعماقه قبل جدران غرفته! تقدَّم خطوات من خلف مكتبه...

- والأخرى؟

نظر **"سمير"** إلى ورقة بيده، راح يقرأ منها...

- **"ريهام علي حامد"**، مُدانة بقضية سرقة، وحُكم ضدها بذات الجلسة بالسجن المُشدد تسع سنوات، وتمتلك ملفًا جنائيًا بأكثر من قضية تزوير سابقة.

- إذًا فربَّما هما على صلة سابقة؟

- لا أعتقد ذلك، ما وردنا من معلومات عنها يؤكد أن لا علاقة بينهما، فقط الصدفة، فقد كانتا بأصفاد واحدة.

صمت **"شريف"** لحظات وهو يحكُّ مُؤخِّرة رأسه بضيقٍ بدا واضحًا، لكنه بالحقيقة كان يحاول الاحتفاظ بعقله في مكانه، فقد اعتقد أن تلك القضية ثقل انزاح عن كاهله، لكنه عاد وجثم على صدره، لكن بقوة أكبر ممَّا سبق، أكل الأرض ذهابًا وإيابًا...

- ستضع كلَّ مكانٍ نعرفه يخصُّ **"شهد"** تحت المراقبة، منزلها، أقاربها، الملهى الَّذي كانت تتردَّد عليه، كلَّ شيء، لا أريد أن تترك لها شِقًا لتضع به إصبعًا، أفهمت؟!

أمال **"سمير"** رأسه إيجابًا، حين عاد وتنبه **"شريف"** وهو يضع يده على كتفه...

– وتلك الأخرى أيضًا أريد أن أعلم كلَّ شيءٍ عنها، كلَّ شيءٍ في ملفِّها، كلَّ الأماكن الَّتي من الممكن اللجوء إليها، عاجلًا أو آجلًا ستظهر إحداهما، ويجب أن نكون بانتظارها.

أنهى حديثه، أشار لـ **"سمير"** بالمغادرة؛ فغادر وأغلق الباب خلفه، عاد وجلس خلف مكتبه، ازدادت هيئته غضبًا ونفسه تُحادثه بضيق – «**يبدو أنكِ ستكونين أكثر إزعاجًا ممَّا توقعت!**»

قُرب منتصف اللَّيل، ازداد ستار اللَّيل على الكون عتمةً، اندسَّ بين ثنايا ظلامه الجميع، لكلٍّ منهم مبتغاه ومراده! راحت نسائمه تغمر كلَّ ما حولها، تُداعب أرواح سكانه المُنهكة، وخيوط قمر افترش سماءه تعزف على أوتار قلوب أجهدتها الحياة!

وقفت سيارته الفارهة بلونها الأسود القاتم بأبعد ما أمكنه من جبل المقطم، بهذا المكان البعيد عن العيون المُتلصصة! فتح نافذة سيارته ليستنشق تلك النسمات، تركها تُداعب وجهه المُظلم، الَّذي واراه داخل سيارته! يتأمل كلَّ ما يقبع أسفل الجبل من بعيد كنقطة ببحر! حين قاطع تلك اللحظات الهادئة صوت فتح باب السيارة بجواره، وصل من كان ينتظره! فتح الباب وجلس إلى جواره بسكون مميت! نظر إلى المرآة وأومأ لسائقه بالمغادرة ففعل، وقف غير بعيد، عم الصمت لحظات داخل السيارة، عاد ليشخص بعينيه خارجًا في هذا اللَّيل الخلاب كما وصفه...

– أتعرف ما هو أكثر شيء أعشقه في هذا اللَّيل الخلاب يا **"كامل"**؟

ظلَّ **"كامل"** على صمته وقد بدأت دقاته تتلاحق كما أنفاسه، فالتفت إليه، وما زالت الظُلمة تُغطي وجهه وتسكن صوته...

– ظلامه! في الظلام لا تحتاج أن تتلون، تكون فقط أنت، مثلنا يكون على سجيته وسط الظلام، يشعر بأنه بداره الحقيقية.

عاود النظر نحو القمر، وزفر...

– لو تعلم كم تُغضبني تلك الليالي المُقمرة!

لم ينبس **"كامل"** ببنت شفة، ربَّما لم يتنفس أيضًا، شحب لونه، فأردف بنبرة

تخطت الظلام الَّذي يعشقه حِلكة...

– لم تُخطئ سابقًا، أخشى أنك فقدت مهارتك! فأخبرني كيف حدث هذا؟

جمع **"كامل"** ما أمكنه من شتاته، لملم نبضاته المتباعدة، استقوى بما أمكنه من صوته، فقد خامره شعور بالاضطراب...

– إن سمحت لي.. تلك الفتاة لن تُمثل لنا معضلة.

– تلك الفتاة كان من المفترض أن تكون ميتة الآن!

هتف بها بغضب كاد يودي بدقات **"كامل"**، عاد واستطرد وقد أشعل سيجاره الكوبي الفاخر، ينفث دخانه خارجًا...

– هل علمتم شيئًا عن تلك الَّتي هربت معها؟

– كلَّ شيء، مُتهمة بقضية سرقة، ولا علاقة لها بفتاتنا، فقط المُصادفة جمعتهما.

– تلك الفتاة يجب أن تنتهي.

قالها من بين دخان سيجاره، حاول **"كامل"** البوح بشيء سرى داخله بفحيح خافت...

– هي لا تتذكَّر شيئًا، وإن تذكَّرت فهي بكلِّ الأحوال لا تعلم عنَّا شيئًا، غير أن جهاز الشرطة بأكمله يُطاردها الآن، فقد حرصت على ذلك، فما الضرر الَّذي قد تُسببه لنا فتاة لا تتذكَّر اسمها؟!

صمت **"كامل"** لحظة، وبدا له أن كلماته قد لاقت مكانها...

– لا يجب أن نعطيها أكبر من حجمها، ربَّما لو فعلنا حينها سنقع بالمحظور، وينكشف الأمر برمته، نكون نحن من جلبناه على أنفسنا.

أخذت كلماته تستشري بعقل رئيسه **فربَّما هو مُحق!** حين نظر ذاك الأخير نحوه...

– أأنت واثق أنها لا تعلم عنَّا شيئًا؟ ذاك الأحمق لم يخبرها شيئًا؟

ابتسم **"كامل"** بخبثه الشيطاني بلمعة غرور بعينه...

– رحمه الله، هو نفسه لم نمهله الوقت كي يعلم عنَّا شيئًا! فكيف لها هي أن تعلم؟ وصمتها يؤكد أنها لا تعلم، أو لا تتذكَّر، وبكلِّ الأحوال هذا لصالحنا.

– حسنًا.. لكن هذا لا ينفي أن تظلَّ عيناك على هذا الأمر حتى ينتهي! ولحين ينتهي ذلك نهائيًا لا أريد ظهورك حولي تلك الفترة.

– سيتمُّ كلُّ شيءٍ كما تُريد، ونحن بعيدًا تمامًا.

أشار له بإصبعه بالمغادرة، فتح **"كامل"** الباب وقد عادت الدماء لوجهه، بعد أن أغلق الباب خلفه، ناداه فالتفت من فوره، وهو يتَّكئ إلى باب السيارة بتلك الابتسامة الباردة...

– **"كامل"**... احرص تلك المرَّة على أن تتأكَّد من ألَّا تترك خلفك شيئًا، لا أريد أخطاءً أخرى لأنه سيكون خطأك الأخير... هل أنا واضح؟

أمال رأسه إيجابًا، عاد السائق خلف مقوده، بدأ **"كامل"** يتراجع خطوات للخلف، انطلقت السيارة لتختفي بعيدًا، تندس في الظلام عن عينيه، راح يتنفس الصعداء، ويمسح عن جبهته عرقه الَّذي غمره كالشلال، أخرج هاتفه وراح يُفتش عن رقم بداخله بغضب عارم! حتى وجده، ضغط الاتصال، لحظات وجاءه الصوت على الجهة المُقابلة فانفجر كالبركان...

«أيها الغبي الأحمق ألم أخبرك ألا تترك خلفك شيئًا... أفق أيها المعتوه، عثرتك الصغيرة قد هربت... "سعد"، نظف تلك الفوضى.. إمَّا أن تُحضر لي رأسها وإمَّا أنا من سيأخذ رأسك!»

قالها ولم ينتظر من **"سعد"** الإجابة، أغلق الهاتف بوجهه، تمنى لو هدم الجحيم فوق رأس هذا الغبي، ظلَّ يزفر لحظات ثُمَّ استقل سيارته وغادر.

أمَّا على الطرف الآخر فكان **"سعد"** يستشيط غضبًا من ذلك المُتحذلق المُتأنق بحماقته، وقف أمام مرآته يتأمل وجهه الغاضب، يتلمس بأنامله عقربه المُرابط على عنقه بحنق، يقبض على كفه الأخرى بضيق، عبر شبح ابتسامة شيطانية على فمه! حين ساوره شيطانه – **«لم يحن وقت حسابك بعد يا "كامل"، لنسحق تلك العثرة ونُنحِها جانبًا عن الطريق! وحين أفرغ منها سيحين دورك لتدفع ثمن حماقاتك المُتكررة معي!"**

على الجهة الأخرى وسط هذا اللَّيل المُوحش، بعد أن تخطَّى منتصفه بكثير، كانتا تسيران مُتعجلتا الخُطى، يداهما الموثقتان بعضهما لبعض، تُجبرانهما على التلاصق،

خلعت "**شهد**" سترتها لتُغطي بها تلك الأصفاد بينهما، لتبدوا كأي ثنائي عادي في توقيت من اللَّيل ليس عاديًا! ورغم أن هذا التلاصق كان إجباريًا، فإنه كان يبثُّ الطمأنينة بين الضلوع؛ فكلتاهما ربَّما تبدو من الخارج صلبة، إلا أن داخلها كان أكثر هشاشة من زجاج مصباح رديء لم يحتمل الإضاءة لساعتين مُتتاليتين! ولأنه لا أمل بالوقت الحالي في الافتراق وتلك الأصفاد تجمعهما؛ وصلتا إلى حيث وجهة اختارتها "**ريري**"**!** فهي من يمتلك ذاكرة تتسع ببعض من يمكنه مد يد العون، وصلتا إحدى المناطق الجديدة، منطقة عامرة بالبنايات، خاوية من الأقدام إلا القليل منها، دخلتا إحداها، بدت البناية هادئة لا تنم عن أي حياة، صعدتا السلالم، حتى توقَّفتا بالطابق الثالث، طرقت "**ريري**" الباب عدة طرقات مُتتالية! كأنها تعلم أن من يقطنه ما زال مستيقظًا! عندما لم يجب أحد، ارتفعت بقدمها إلى حافة درابزين السلم المُمتد إلى جانب الباب، وبيدها الموثقة إلى "**شهد**" استندت إلى رأس الأخيرة، ممَّا أثار غيظها لحظات، حتى استطاعت الوصول لأعلى الباب! كانت "**شهد**" تتابعها بتعجب فيبدو أنها تعلم ما تُفتش عنه جيدًا! راحت يدها تفتش لحظات حتى ابتسمت من جانبها وقد وجدت ضالتها! هبطت وهي تُمسك مفتاحًا وضعته بقفل الباب وأدارته في القفل فانفتح، زادت بسمتها وهي تتقدَّم "**شهد**" نحو الداخل، والأخيرة تلحق بها فما لها غير ذلك! وقفت لحظات تدور بعينها في المكان، تلك الشقَّة فخمة، غير ما يوحي به خارجها، توقعت شقَّة متواضعة كالبناية من الخارج، لكن حقيقةً هذا الأثاث من حولها فخم حد الإبهار، يبدو أن الشقَّة تحتل الطابق بالكامل لما تبدو عليه من اتساع مساحتها، ربَّما هي تفتقر للذوق كما رأت بكثرة ألوانها المتداخلة، وميلها للدرجات الصارخة منها، إلا أنها فخمة بطريقة مُلفتة، تقدَّمت "**ريري**" كمن يتقدَّم داخل منزله! جلست إلى الأريكة في ارتياح، تبعتها "**شهد**" باستسلام وجلست، لم يحتمل الصمت بينهما أكثر حين أزعجته "**شهد**" **وهي** تُمسك إحدى التحف القيمة الموضوعة فوق المنضدة الصغيرة أمامها...

- عفوًا هلَّا تُذكِّرينني ما هو عملك تحديدًا؟!

نظرت نحوها "**ريري**" بابتسامة، تحولت لضحكة عالية تردد صداها، ثُمَّ هدأ ضحكها...

- أنتِ تفهمين الأمر بشكلٍ خاطئ، هذا ليس منزلي.

- إذًا فكيف علمتِ مخبأ المفتاح وكيف تتصرَّفين بكلِّ حرية؟

- لنقل أنه ليس منزلي لكنه لي!

قالتها وهي تُحرِّك يدها ورأسها بدلال، اعتدلت "**شهد**" بمجلسها وهي تتَّكئ بظهرها للخلف، تستند برأسها لظهر الأريكة، كأنها ستغط في نوم عميق...

- إن كان هذا لغزًا وبالنهاية سأصل للكنز! فلِمَ لا نؤجلها للغد حتى أفيق؟

أمالت رأسها باتِّجاه "**ريري**" وهي ترفع يديهما الموثقتين معًا...

- كلُّ ما يجب أن نفكر به الآن هو كيف نتخلَّص من هذه الأصفاد؟

اعتدلت "**ريري**" وقد تربعت بمجلسها، وقبل أن تقول شيئًا سمعتا أصواتًا بالباب! تبعها صوت القفل يُدار! جفت الدماء بشرايين "**شهد**"، أمَّا "**ريري**" فكان وضعها مختلفًا! ربَّما اعتلاها القلق قليلًا لكنه لم يتعدَ ذلك!

فُتح الباب ودلفت ثلاث فتيات، تتقدَّمهنَّ فتاة تبدو ببداية عقدها الثالث، وافرة الطول ليست ذات جمال صارخ، إلا أنها جذابة ببشرتها السمراء، وتقاسيمها المتناسقة وعينيها السوداوين الواسعتين، وجسدها الممشوق، تضع الكثير من مساحيق التجميل، ترتدي ملابس سهرة تبدو غالية، تكشف عن مفاتنها، حين تلاقت العيون توقَّفت الاثنتان بالخلف من الدَّهشة! تقدَّمت الأولى وبعينها نظرة بدت لـ"**شهد**" كمن سيسأل «**كيف دخلتما إلى هنا؟**» إلا أن نظرتها تغيرت قبل الخطوة الثالثة بابتسامة عذبة، رغم كلِّ تلك المساحيق على وجهها فإنها بدت سعيدة حقًا، احتضنت "**ريري**" بقوة، وقبل أن ينتبه أحد انتبهت هي للأصفاد بينهما! فالتفتت وطلبت إلى الأخريين المغادرة، وبالفعل بعد نظرات التَّعجب والدَّهشة رحلتا دون أن تقول إحداهما شيئًا، عاودت "**ريري**" احتضانها بقوة...

- "**لُولا**"، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

- وأنا أكثر، لكن ما هذا؟ ما الَّذي حدث؟

قالتها وهي تُشير إلى الأصفاد، أمسكت "**ريري**" بيدها...

- قصَّة طويلة، سأخبركِ إياها لاحقًا، لكن دعيني أوَّلًا أُعَرِّفكِ على "**شهد**"، صديقتي.

ثم نظرت نحو "**شهد**" وهي تشير إلى "**لُولا**"...

- دعيني أقدم لكِ.. "**لُولا**"، أختي.

انتفضت "**شهد**" بموضعها، واعتلاها الخوف...

- ماذا؟ أختك! أأنتِ حمقاء؟ أتعتقدين أن الشرطة لن تُفتش في بيت أختك؟!

ابتسمت "**ريري**" وبادلتها "**لُولا**" الابتسامة وهي تجلس على الأريكة، راحت "**ريري**" تنظر نحو "**شهد**" الَّتي تمكن القلق منها...

- اهدئي، الشرطة لا تعلم أنها أختي؛ لأنها بالحقيقة ليست أختي.

- عفوًا... ما كلُّ تلك الألغاز؟ هو ليس منزلك لكنه لكِ، وهي أختك وليست أختك!

هتفت بغضب، وقد عاود الصداع الركض بين حنايا رأسها، أجلستها "**ريري**" وهي تربت على كتفها...

- اهدئي فأنتِ ما زلتِ مُتعبة، الأمر ليس بمعضلة، لنقل أننا أكثر من أصدقاء فقد جمعتنا ظروف قاسية جعلت منَّا أكثر من إخوة، الأهمُّ أن تطمئني، لن يصل إلينا أحد مهما حدث، فنحن هنا بأمان.

صمتت فلم تجد ما تقوله، راحت "**لُولا**" و"**ريري**" تتبادلان النظرات لحظات مُتتالية، رغم دوامة الأسئلة الَّتي تدور برأس "**لُولا**" فإنها آثرت الصمت، حين قاطع صمتهم صوت "**شهد**" وهي تشير نحو الأصفاد...

- ألا يمكننا التخلص منها؟

- أتقصدين أساورك! لا أعتقد أنكِ ستحتفظين بها لأجل الذكرى!

قالت "**لُولا**" نصف جملتها الأوَّل بابتسامة لـ"**شهد**"، ونصفها الآخر وهي تنظر نحو "**ريري**" وقد قطبت حاجبيها، أمالت "**ريري**" وجهها بابتسامة خبيثة، أخرجت من جيبها مفتاحًا صغيرًا وفتحت به الأصفاد، وسط دهشة أسكتت "**شهد**" لحظات! انتهت من نزعها بالكامل، حكَّت "**شهد**" رسغها وهي تسأل بعينها عن هذا المفتاح ومن أين أتى! أجابت وهي تُزيد ابتسامتها...

- حسنًا، أخذته من جيب الحارس، حين أخذت مُسدَّسه.

- ولماذا لم تخبريني أو تنزعيها منذ البداية؟

- حسنًا، خشيت أن تتركيني وحدي، ولم أكن لأصل هنا دونك.

نظرت "**شهد**" نحو "**لُولا**" وهي تتساءل...

- كيف عرفتِ أنها تمتلكه؟

- لم أعرف أنها تمتلك هذا المفتاح تحديدًا، لكنني أعرف أن لديها دومًا مفتاحًا لأي قفل، فأنتِ لم تتعرفي إليها بنادي الصيد يا صغيرة!

قالتها وهي تغمز لـ"**شهد**" بطرف عينها، ثُمَّ نظرت نحو "**ريري**" بابتسامة خبيثة...

- حتى الآن لا أكاد أصدق أنه كان لديكِ الشجاعة للهروب والوصول حتى هنا.

- آسفة يا "**شهد**"، أعلم أنكِ غاضبة لكنني كنت خائفة كثيرًا.

قالتها وهي تربت على يدها، فأمالت رأسها إيجابًا، هبَّت متجهة نحو الباب دون تعليق، تبعتها "**ريري**" وهي تجذبها من يدها...

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟

صمتت؛ فهي لا تملك إجابة...

- لا أعلم، لكن يجب أن أغادر.

- لِمَ لا تبقين معي؟

نظرت نحو "**ريري**"، ثُمَّ نحو "**لُولا**" بإشارة أنها صاحبة المكان، فقالت "**لُولا**"...

- إن كنتِ صديقتها، ويبدو لي أنها تهتم لأمرك كثيرًا، فأنتِ هنا ببيتك.

- "**ريري**"...

- أنتِ لا تتذكَّرين شيئًا، وليس لديك مكان للذهاب إليه، ابقي هنا على الأقل بالوقت الحالي حتى تهدأ العيون عنكِ.

قاطعتها "**ريري**" بحزم، ثُمَّ أشارت نحو النافذة...

- إننا قُرب الفجر فإلى أين ستتخبطين بهذا الوقت؟

جذبتها من يدها إلى الداخل، لم تقاوم كثيرًا فاستسلمت، ربَّما لحظتها آثرت الهروب على الموت، لكنها لم تضع في ترتيبها وماذا بعد الهروب؟! تقدَّمتها "**ريري**" إلى

غرفة بألوان مُبهجة تحوي سريرين، ومكتبًا صغيرًا وخزانة ملابس، تقدَّمت "**شهد**" داخل الغرفة، جلست إلى حافة السرير، نظرت نحوها نظرة مُمتنة على ما فعلته معها، جلست "**ريري**" بحافة السرير المقابل لها...

- كلُّ شيء سيكون بخير، وإن كنتِ مظلومة فإن اللّه لن يتخلى عنك.

أمالت رأسها بيأس، ربتت "**ريري**" على يدها وهبَّت واقفة...

- سأحضر بعض الطعام، فإن معدتي ستُعلن الحرب عليكم.

ابتسمت "**شهد**" من جانبها، خرجت "**ريري**" من الغرفة وأغلقت الباب خلفها، اعتدلت فوق السرير واتَّكأت بظهرها للجدار، جلست القرفصاء واضعة رأسها بين ساقيها لا تعلم إلى أين ستودي بها تلك الحياة؟ تأجج الخوف بقلبها من القادم، كيف وصلت من البداية إلى تلك اللحظة؟ لكنها باتت كسمكة صغيرة في محيط كبير، لا ترى طريقًا ولا تعلم اتِّجاهًا! وأين تجد أيًا منهما وذاكرتها لا تمدها بشيء! تبخل عليها ولو بالقليل! أغمضت عينيها وحاولت الإمساك بشيء من كلِّ تلك الصور، الَّتي داهمتها بالعربة لحظة الاصطدام، أكثرها ما زال عالقًا برأسها لكنها ما زالت مُتداخلة، لم تظفر بشيء سوى بذاك الصوت الأنثوي الَّذي تشعر بأنها تألفه، صوت كان يناديها - "**شهد**"! عاد ليتردد بين أذنيها، حين مالت على جانبها وما زالت ضامة ساقيها بين ذراعيها، تدعو اللّه أن لا يتخلى عنها.

عادت "**ريري**" وهي تحمل الطعام، فتحت الباب لتقف مكانها، عبرتها ابتسامة هادئة حين وجدت "**شهد**" سابحة في الأحلام، وضعت الصينية بهدوء وتقدَّمت نحوها، دثرتها بالغطاء، أطفأت الضوء، حملتها وغادرت.

جلست تأكل في صمت، حين أتت "**لُولا**" بعد أن تخلصت من وجهها الآخر بكلِّ ألوانه المصطنعة ومشاعره الزائفة! جلست في مقابلها، بنظرة ذات مغزى ابتسمت "**ريري**" وهي تترك الخبز من يدها...

- حسنًا سأقصُّ عليكِ كلَّ شيء!

عقدت "**لُولا**" ساعديها فوق صدرها، أخذت تقصُّ عليها منذ وُضِعت بذلك الحبس، إلى لحظة دخلت لتجدهما ببيتها، اعتدلت بمجلسها...

- ربَّما هي تكذب؟

- لا أعتقد، إنها حقًا لا تتذكَّر.

- ربَّما أنتِ محقة لكن هذا حكم بالإعدام يا "**ريري**"!

- إنها صديقتي يا "**لُولا**"، وأدين لها بالكثير.

هتفت بها بحزم وغضب، فقطبت "**لُولا**" حاجبيها...

- حسنًا، أيًا من تكون، فهي مُرحب بها لأجلك.

تبسَّمت "**ريري**" واحتضنتها بطفولية، ممَّا أثار بسمة "**لُولا**"، ثُمَّ ذهبت كلتاهما للنوم.

الثالث

أشباح الذكريات

بالصباح الرابع لحادث الهروب، مع إشراقة شمس جديدة تحمل بين طياتها ذكريات ولَّت وأحلامًا قادمة، وحاضرًا لا نعلم بأي طريق سيقف بنا! استيقظت مُسرعة، ارتدت ملابسها وركضت مهرولة على السلالم لتجتاز بهو منزلها، تتجه نحو والدها الَّذي يجلس بالحديقة ليستمتع بإفطاره...

- صباح الخير والدي العزيز.

قالتها **"جميلة"** وهي تقبل جبين والدها **"رفيق الأسواني"**، جلست بالكرسي المجاور له، فتبسَّم منها وداعبها مازحًا...

- ما الَّذي حدث بالكون لتستيقظي مبكرًا؟

قطبت حاجبيها بغضب مُصطنع، أخذت تُقلب الجريدة باهتمام، حتى هتفت بفرح...

- ها هو... وجدتك، يا إلهي كم أنا صحفية بارعة!

- هذا أمر مفروغ منه.

بدت لها نبرته ساخرة، فقطبت حاجبيها بغيظ...

- حسنًا... إن لم أكن بارعة... ما كانوا وضعوا مقالتي على صفحة كاملة.

همَّت بوضع الجريدة أمام والدها، لتصطدم عينه بخبر كُتب بعرض الصفحة كاملة - **«هروب قاتلة رجل الأعمال المعروف في ظروف غامضة»**. عبر والدها السطور سريعًا وهمَّ بإغلاق الجريدة بضيق، لتندهش...

- ماذا هناك يا أبي؟

– ألم يكن بيننا اتفاق بأن تبتعدي عن الكتابة في السياسة، أو أيٍ ممَّا قد يُسبب لكِ مشاكل؟

– لكن هذه ليست سياسة يا أبي إنها أخبار الحوادث!

– هذا أسوأ يا "**جميلة**"، الحوادث تعني التعامل مع المجرمين والقتلة وتجار المخدرات، يعني أن تذهبي إلى أقسام الشرطة، وتتعاملي مع طبقة من المجتمع لا يجب لفتاة بمثل عمرك ووضعك الاحتكاك بها، فماذا عن التعامل معها!

هبَّ واقفًا بضيق اعتلى صدره، همَّت خلفه وقد تراجعت عن حدتها المعتادة، وضعت يدها على كتفه...

– أعلم أنك تخشى لأجلي، لكنني لم أعد طفلة صغيرة ويمكنني التعامل مـ...

– "**جميلة**"...

– هذا ما أريده يا أبي وهذا ما أجد نفسي به، أشعر أنني أقوم بفعل شيء فارق، أُفتش خلف الحقيقة هذا ما علمتني إياه، أرجوك دعني أفعل ما أحبه.

قاطعته بها بحدة في البداية، أخذت تترفق في نهايتها، وتُداعب جبينه، حاول تخطي قلقه نحو فتاته الوحيدة، الَّتي يعلم كم هي عنيدة ولن تتراجع عمَّا تريده، تبسَّم على مضض وتركها تُقبل جبينه، همَّت راحلة على عجل وهي تهتف بابتسامة...

– سأنتظر رأيك "**رفيق**" بك في عبقريتي الفذة.

تبسَّم والدها، عاود جلوسه وراح يُعيد قراءةَ كلِّ حرفٍ خطَّته فتاته الصغيرة.

***

بذات الصباح الصاخب، مع دقات العاشرة، داخل مكتبه بمديرية الأمن راح "**شريف**" يزفر بضيق، وهو يقرأ تلك السطور بجريدة **الغد المشرق**، عن قضية هروب المتهمة بمقتل رجل الأعمال، الَّتي لم تتوقَّف منذ انتشار خبر هروبها لأربعة أيام مُتتالية، والَّتي تُهاجم رجال الأمن بقوة، تتهمهم بالإهمال والتَّقاعُس عن أداء عملهم، ألقى بها بضيق فوق مكتبه، هبَّ واقفًا ينظر من نافذته واضعًا يديه بجيبيه، عقله شارد بهذه القضية الَّتي اعتقد أنه تخلص منها، لكنها عادت واقتحمت بابه بقوة، صار هو المسؤول عن استعادة هاتين الهاربتين، خاصة القاتلة! استعاده طرقٌ على باب مكتبه عدة مرَّات

مُتتالية، أجاب الطارق بالدخول، فُتح الباب ليجد **"أمجد المسيري"** يقف أمامه، تقدَّم بابتسامة مُصطنعة، وخُطى بدت هادئة، عكس ما يعتمل بصدره، فبادره...

– كيف الحال يا صديقي؟

– بخير يا صديقي.

أجاب بها **"أمجد"** وهو يتخذ مجلسه بالكرسي جانب المكتب، جلس **"شريف"** خلف مكتبه، سكن لحظات والعيون تتحدث بالكثير! سحب ورقة فارغة وقلمًا، وضعهما أمام **"أمجد"**، الَّذي أمال رأسه بتعجب...

– ما هذا؟

– أين يمكنني أن أجدها؟

اتَّكأ **"أمجد"** بساعده على حافة المكتب، وتساءل بغباء مصطنع...

– عن من تتحدث؟

عاد **"شريف"** بظهره للخلف، أخذ يعبث بلحيته ببسمة خبيثة...

– أنت تعلم عن من أتحدث، ومع ذلك فسأخبرك، ورقتك الرابحة!

ظلَّ **"أمجد"** صامتًا، حاول تصنُّع عدم المبالاة، اعتدل **"شريف"** بمجلسه وهو يضع كلتا يديه فوق المكتب، وبنظرة تهديد...

– لنقل أنني حتى الآن أضع حسابًا لعلاقتنا السَّابقة، ولم آتِ على ذكر أي ممَّا يخصك بتلك القضية، حتى إنني لم أحاول التفتيش خلف ما يجمعك بها، والَّذيً أوقن أنه سيكون مختلفًا قليلًا عمَّا أخبرتني به!

همَّ **"أمجد"** لمقاطعته، فأشار بيده أن ينتظر، هبَّ واقفًا وعاد يستطرد كلامه، وقد اتخذ وقفته خلف **"أمجد"** ووضع يده على كتفه...

– لمَ لا تُعطيني ما أريده! لأنك لو لم تفعل.... سأضطر للحصول عليه وحدي، هذا سيجعلنَي أطرق كلَّ بابٍ له علاقة بها، وحينئذٍ لن أكترث إن كان فتح هذا الباب سيجلب الجحيم على أي شخصٍ كان!

صمت لحظة، تقدَّم وجلس بالكرسي المقابل لـ**"أمجد"**، الَّذي راحت تتَّقد نيران

الغضب بتقاسيمه وتتأجج بصدره، عاود "**شريف**" استرساله...

- أنت يا صديقي خير من يعلم أن أبواب الماضي المُغلقة، حين تُفتح فإنها تجلب معها غُبارًا كثيرًا، والغبار دومًا يُلطِّخ كلَّ مَن يقف في مرماه؛ لذا أنا أوقن أنك لا تود فتحها.

ظلَّت العيون ساكنة لحظات، رغم أن ما يعتمل بالصدور كان كفيلًا لإشعال الحرب العالمية الثالثة! عاود "**شريف**" سحب الورقة حتى باتت تحت يد "**أمجد**"، الَّذي نظر له نظرة كادت تودي به، إلا أنه أمسك بالقلم وخط بالورقة اسمين وضع حول أحدهما دائرة! وعنوان واحد، حركها نحو "**شريف**" وبضيق...

- إن كانت حقًا تتذكَّر فهما طريقك إليها!

- وإن لم تكن؟

- سيكونان طريقًا ميتًا.

- إذًا كلُّ مَن بتلك الورقة هم ملجؤها الوحيد!

أمال له "**أمجد**" رأسه تأكيدًا، ليعاود بتعجب...

- ولِمَ تلك الدائرة؟

- لأن من بداخلها هو أهم خيط لديك، غير أنها مفاجأة أوقن أنك تجهلها!

راح يُشير نحو الاسم داخل الدائرة، ابتسم "**شريف**" بانتصار...

- أنا أستمع.

- سألتني سابقًا ما الَّذي جعلها تتعاون معي؟

أمال رأسه بعدم فهم، وقبل أن يسأل بادره "**أمجد**"...

- سأخبرك لِمَ رضخت لمعاونتي!

استيقظت بعد نوم لم تنعم به! فقد طاردتها تلك الوجوه والأصوات دون كلل منذ ظهورها، لم تمنحها السكينة أو الهدوء طوال تلك الليالي الماضية! همَّت للاعتدال وهي تُمسك برأسها، تشعر بأنها اصطدمت بألف جدار في آنٍ واحد! هذا الصُداع بات مُرهقًا

بعد أن زادت حدته إثر انقلاب السيارة، أو بالأحرى إثر بدء مُطاردة ذكرياتها لها! انتبهت من شرودها وألمها على صوت طرقات هادئة على الباب، أعقبها فتح الباب بهدوء، لتجد "**ريري**" تبتسم لها، بادلتها "**شهد**" تلك الابتسامة بأرقٍ بدا جليًا على عينيها...

– ها قد استيقظتِ، اعتقدت أنكِ لن تستيقظي الآن.

– ولماذا؟

راحت تعتدل على حافة الفراش، أجابت "**ريري**" وهي تفتح النافذة...

– حسنًا اعتقدت أنكِ لم تنامي جيدًا، وخاصة أنكِ لم تتوقَّفي عن الحديث وأنتِ نائمة.

– هل تحدثت وأنا نائمة؟

تعجبت بها وهي ترفع رأسها باهتمام، تبسَّمت "**ريري**" بسمة وصلت إلى ضحكة هادئة...

– "**شهد**" حبيبتي أنتِ لم تتوقَّفي عن الحديث، حقيقةً بدأت أعاود التفكير في مسألة مشاركتنا غرفة واحدة.

همت واقفة وتخطت دُعابتها، تساءلت باهتمام وباتت أمامها مباشرة...

– هل قلت شيئًا هامًا؟

– لا أعلم.. ربَّما.. لقد كنتِ تقريبًا تهذين، وكنت أنا نصف نائمة.

– حاولي يا "**ريري**"، تذكَّري أي شيء، أي شيء قد علق برأسك.

قالتها وهي تُطبق على ذراعيها، وقفت "**ريري**" لحظة، تحاول استدعاء ذاكرتها...

– أعتقد أنكِ كنتِ تتحدثين عن شخص ما، ربَّما فتاة، لست متأكِّدة.

– ربَّما تكون هي؟

راحت تُحادث نفسها، لتتساءل "**ريري**" بتعجب...

– من هي؟

– تلك الفتاة الَّتي تراودني بأحلامي، أراها كلَّ ليلةٍ منذ انقلاب السيارة، وجهها

ليس واضحًا، لكنَّ صوتها عالقٌ بأذني، يمكنني تمييزه وسط تلك الفوضى برأسي.

- وماذا تقول لكِ؟

- لا شيء مُحدد، هي فقط تناديني... تُمسك بيدي... تبتسم لي.

صمتت لحظة، وهي تتَّكئ لحافة السرير، اقتربت منها **"ريري"**...

- لا شيء آخر؟!

- كلَّا... لا شيء يمكنني تذكُّره.

سكنها الكثير من اليأس، ربتت **"ريري"** على كتفها...

- كلُّ شيء سيكون بخير، أرى أن هذا مؤشر جيد، ستتذكَّرين.

اتَّجهت نحو النافذة، عقدت ساعديها، وقفت خلفها **"ريري"**، أمسكت بكتفيها...

- بماذا تفكرين يا صديقتي؟

- بالقادم يا **"ريري"**... بالقادم.

- أنتِ تفكرين بشيء محدد! كأنك تنوين فعل شيء ما! أشعر بهذا.

التفتت نحوها. وبشبح ابتسامة من جانبها...

- هناك شيء مهم يجب أن أفعله!

❀❀❀

أنهى **"أمجد"** حديثه وسط دهشة وذهول **"شريف"**...

- كيف لم تظهر تلك المعلومة بتحرياتنا؟!

تبسَّم وهو يحكُّ لحيته...

- ومهما بحثت وتحريت لن تجد عنها شيئًا، ولن تصادف تلك المعلومة ولو فتشت خلفها ألف عام.

- وكيف حصلت عليها أنت؟

زادت بسمة **"أمجد"** بخبث لمع بعينه وهمَّ واقفًا...

- لنقل أن لدي مصادري الخاصة.

صمت لحظة ثُمَّ اتَّكأ على المكتب بكلتا يديه، بعينه نظرة المتفوق، العَالِم بكلِّ شيءٍ وأمامه تلميذ جاهل بأي شيء، فاسترسل...

– كلُّ ما بملفَّاتك وتحرياتك لن يتخطَّى معلومات سطحية لثلاث سنوات مضت، عنوان لا تتواجد به وشركة وهمية، أمَّا قبل ذلك فلا شيء، فلن تجد لها وجودًا سابقًا، لن تجد أي شيء يخصُّ **"الآس"**، مجرد معلومات بسيطة عن **"شهد"**، وفاة أبويها، دراستها، بعض الأقارب الَّذين لا تعرفهم، لكن لا شيء هام، لا عناوين لا أصدقاء لا شيء على الإطلاق، أخبرتك سابقًا.. تلك الفتاة أكثر من بارعة، المعلومة الَّتي أخبرتك بها للتو هي الشيء الوحيد المؤكد عنها.

أنهى حديثه وسط ذهول **"شريف"** وشروده، خيم الصمت حولهما لحظات ثقيلة، همَّ بعدها **"أمجد"** بالتَّوجه نحو الباب، وقبل أن يُمسك بمقبضه هتف **"شريف"**...

– سنكون على اتصال.

كان لتلك الجملة وقعها في نفسه؛ فعلم أن باب الجحيم فُتح على مصراعيه توًّا!

خرج **"أمجد"** من المكتب، راح يعدو داخل الممر بضيق بدا واضحًا وهو مُمسك بهاتفه يُفتش عن رقم ما حتى وجده! ضغط زر الاتصال، لحظات وفُتح الخط المقابل، لم يتفوه المُتلقي بشيء، ولم ينتظر فبادر هو بالحديث – «**لا بد أن نلتقي اللَّيلة في نفس الموعد ونفس المكان**». أغلق الخط دون أن ينتظر إجابة، أو حتى يسمع شيئًا سوى صوت أنفاسها المُتسارعة على الجهة الأخرى!

بداخل مكتب **"شريف"** ظلَّ لحظات على دهشته، هبَّ واقفًا يحاول نفضها عنه، أمسك بالورقة والقلم، زاد اسمًا على الاثنين السَّابقين! وعنوان على الآخر! أمسك بالورقة وهو يُحادث نفسه – «**هؤلاء هم ملجؤكِ الوحيد**». تبسَّم من جانبه وراح يقرأ باهتمام ما خُطَّ بها **"صلاح إبراهيم"**، **"هنا عزت"**، **"أمجد المسيري"**!

ترك القلم وراح يحكُّ ذقنه؛ فقد اتَّقد الشَّكُّ بداخله نحو **"أمجد"**، وبات يوقن أنه يكذب، لقد كانت تهديداته له بالبداية من باب اليأس؛ فقد كان يفتش عن أي متنفس لإيجاد **"شهد"**، ورضوخ **"أمجد"** يعني أنه أصاب هدفًا في مقتله، لتزداد شكوكه بأن اللعبة بدأت تزداد اتساعًا أكثر ممَّا كان يظن!

كانت تجلس إلى مكتبها تُمسك ببعض الأوراق بيدها باهتمام، تقرأ كلَّ حرفٍ فيها بعناية، تضع حول بعضها دوائر وتحت الآخر خطوطًا! حين فاجأها **"أحمد"**...

- ماذا تفعل صحفيتنا الحسناء؟

انتفضت **"جميلة"** بقوة، ضربته على صدره بغيظ، فضحك وهو يجلس إلى الكرسي المجاور لها، هتفت بغيظ...

- أيها الأحمق!

- أردت فقط المزاح معكِ؛ فأنت تبدين أكثر جمالًا حين تغضبين.

تبسَّمت رغمًا عنها، عاودت النظر بالأوراق أمامها، فعاود حديثه...

- ما هذا الَّذي أمامك؟ ومُسيطر عليكِ إلى هذا الحد؟

- تلك القضية بها شيء غير مفهوم؟

- أي قضية؟

تساءل بها وهو يعتدل بمجلسه، أجابته بتعجب...

- مقتل رجل الأعمال، تلك الفتاة الَّتي حُكم ضدها بالإعدام ثُمَّ هربت!

- آه تذكَّرت، ما بها؟

- هناك شيء مفقود، كلُّ ما جاء عن تلك الفتاة، أنها أحد مخترقي المواقع الماهرين.

- إذًا!

تعجب بها، هبَّت واقفة، تُمسك بخصلة من شعرها...

- إن كانت بتلك المهارة الَّتي أقرها رجال الشرطة بأنفسهم؛ فلِمَ تذهب لسرقة **"العليمي"**؟

- ربَّما لأنها سارقة ولديها ملف جنائي!

سخر بها، فاغتاظت منه وعاودت الجلوس بمقابله...

- أيها الأحمق، أعني أن هؤلاء المخترقين يمكنهم سرقة بنك بأكمله، وهم جالسون على مقاعدهم؛ فما الَّذي يدعوها لاقتحام منزل **"العليمي"**؟ ومحاولة سرقته؟ وأيضًا قتله!

- ربَّما توقَّفت عن اقتحام المواقع، وقررت اقتحام المنازل.

زادت بها سخريته، غضبت واعتدلت نحو مكتبها...

- أتعلم؟ لن أتحدث معك ثانية.

أمسك بيدها وبنظرة اعتذار...

- لا تغضبي، أنا فقط أعني أنها ربَّما أرادت سرقة شيءٍ آخر، فليس كلُّ ما يُسرق أموالًا.

فالتفتت نحوه بنظرة لامعة...

- بالضبط.. ربَّما تلك الفتاة كانت تفتش عن شيء ما!

- لا يهم يا "**جميلة**"... بالنهاية هي اقتحمت منزله وقتلته.

- أتعلم أن هذا التقرير لم يأتِ على ذكر اقتحام فيلا "**العليمي**"!

قالتها وهي تُمسك بإحدى الأوراق أمامها، فتساءل بعدم فهم...

- ماذا؟ ما هذا؟

- هذا هو تقرير المعمل الجنائي، أكَّد أنه لم يكن هناك أي اقتحام لفيلا "**العليمي**"! من دخل الفيلا دخلها من بابها الرئيسي، وبمفتاحها الخاص!

- لا أفهم!

هتفت وهي تهبُّ واقفة، بنظرة مُتَّقدة بالحماس...

- بالضبط هذا ما أتحدث عنه، هناك شيء غير مفهوم بتلك القضية.

- أتريدين القول بأن "**العليمي**" هو من فتح لها الباب؟

أمالت رأسها وهي تعقد ساعديها...

- أخبرني أنت كيف دخلت؟ غير أن هناك شيئًا آخر هامًا جدًا، من الَّذي ضربها؟

- ضرب من؟

عادت تُمسك الأوراق، وتمدها باتِّجاهه...

– التقرير الطبي الأوَّل والثاني، أكدا تعرضها لضربة قوية على رأسها من الخلف بآلة صلبة.

– إذًا!

قالها ببلاهة، اغتاظت منه أكثر...

– ألا يعمل عقلك هذا قليلًا؟!

– يكفيني أنتِ.

هتف بغيظ، استرسلت باهتمام...

– هي اقتحمت الفيلا، فاجأها **"العليمي"** فقتلته.

– هذا بالضبط السيناريو الَّذي حدث، وأكدته النيابة والتحقيقات، وربَّما تكون قد سرقت المفتاح، فهذه ليست مُعضلة.

وقفت بمواجهته...

– ربَّما... لكن من الَّذي ضربها على مُؤخِّرة رأسها أيها الذكي؟

– حسنًا... **"العليمي"** على ما أعتقد!

اتَّكأت إلى حافة المكتب، تُمسك بذقنها...

– إن كان هو من ضربها تلك الضربة القوية، فكيف أنه هو الميت وليست هي! وإن قلنا هو ضربها ثُمَّ قتلته، فأين هي تلك الآلة الَّتي ضربها بها؟

– ماذا؟!

تساءل بها باهتمام، فزادت ابتسامتها المتحمسة...

– هذا التقرير ينفي التعرف على نوع الآلة الَّتي تمَّ ضربها بها، والأهم أنه لم يتم العثور عليها بمسرح الجريمة! وتم إلقاء القبض عليها قبل أن تُغادر الفيلا، فأخبرني أين اختفت؟

– هذا أمر غريب حقًا!

– أخبرتك، هناك حلقة مفقودة.

قالتها بلمعة انتصار، راح يُقلِّب التقارير بين يديه...

- لم تُخبريني كيف لك الحصول على تلك التقارير؟

ابتسمت بخبث لمع بعينها، فبادلها ذات النظرة...

- لا بد أنكِ دفعتِ الكثير لتحصلي عليها.

وضعت يدها على الأوراق، ونظرة فضول تغمر وجهها...

- وسأدفع أضعافًا وأعلم ما الَّذي حدث تلك اللَّيلة بفيلا "**العليمي**"!

- بالطبع أنتِ تمزحين!

نظرت نحوها "**شهد**" بنظرة جادة، هبَّت "**ريري**" واقفة...

- إذًا فقد فقدتِ عقلك تمامًا.

ابتسمت...

- حين أمتلك عقلًا أعدك أن أحرص على ألَّا أفقده.

- لا يمكنني فعل ذلك، ألا تفهمين! أنتِ الآن فارَّة من العدالة وليس هذا فقط، بل الأكثر أنك مطلوبة لتنفيذ حكم بالإعدام، أتفهمين ماذا يعني هذا؟

رفعت طرف عينها نحو "**ريري**" الغاضبة الَّتي ما زالت تسترسل...

- يعني أنهم إن لمحوا طيفك، لن تتحدث ألسنتهم بل أسلحتهم أيتها الحمقاء.

هبَّت "**شهد**" واقفة وبنبرة قطعية...

- بكلِّ الأحوال سأصل إليه، فليس لي سبيلٌ آخر.

- هذا طريق إلى الجحيم يا صديقتي!

صرخت بها بوجهها، فعقدت "**شهد**" ساعديها بنظرة لا تراجع بها...

- وهل أمامي طريق غيره؟ أستساعدينني أم لا؟

عاودت "**ريري**" الجلوس إلى حافة الفراش، وعينها مُعلَّقة بها وقد رأت بهما نظرة

تصميم على ما تريده، أمالت رأسها استسلامًا بالموافقة، جلست **"شهد"** مُقابلها وربتت على يدها بنظرة امتنان!

بأحد الطرق الزراعية الخالية من المارة، وسط هذا اللَّيل المرعب بسكونه، تجلس خلف مقود سيارتها المتواضعة، ترتعد خوفًا، ظلَّت هكذا كثيرًا، حتى توقَّفت سيارة بالقرب منها! انتفض قلبها وأمسكت بمفتاح التشغيل، عقلها يصرخ بها أن تُديره وتولي الفرار، حتى أضاء النور الأمامي للسيارة المقابلة لها مرَّة ثُمَّ مرَّتين مُتتاليتين كما هو المتفق عليه! هدَّأت من روعها وتركت المفتاح وراحت تتنفس الصعداء، ترَّجل قائدها واقترب من سيارتها، فتح الباب المجاور للسائق وجلس بجوارها، حين نظر لها وجد وجهها شاحبًا، فقال بصوت ساخر...

– أرأيتِ شبحًا؟!

– لقد تأخرت كثيرًا، وأنا أكره هذا المكان، خاصةً ليلًا.

نظر أمامه شاخصًا في هذا الظلام، أخرج علبة سجائره وأشعل واحدة، تساءلت بقلق ملأ صدرها قبل صوتها...

– ما الَّذي حدث يا **"أمجد"** بك؟ ماذا هناك يستدعي هذا اللقاء العاجل؟

– **"شهد"** هربت.

– أعلم، كافة الجرائد كتبت عن ذلك، وأنت أخبرتني أن نبتعد في الوقت الحالي لمصلحة الجميع؛ لذا ما الشيء الهام الَّذي حدث؟

– هي لم تحاول الاتصال بك؟

– كلَّا.

أمعن النظر بها، وقد رفع حاجبه بعدم تصديق، لتهتف...

– أقسم لك لم يحدث، هي حقًا لا تتذكَّر، فيوم المحاكمة لم تتعرف عليَّ؛ ولهذا صرت أخشى عليها كثيرًا.

– أعلم كيف سنجدها.

– حقًا، كيف؟

- فقط نفذي ما سأطلبه إليكِ.

أمالت رأسها موافقةً، ودون سابق إنذار قبض **"أمجد"** على عنقها بقوة، وبنظرة تشتعل غضبًا يتأجج أضعافًا بصدره...

- أتعلمين إن حاولتِ أن تتلاعبي بي أنتِ أو هي ماذا سأفعل بكلتيكما؟

حاولت أن تُبعد يده عن عنقها فلم تستطع، هزَّت رأسها إيجابًا، وعينها امتلأت بالدموع والخوف، وقبل أن تختنق تركها، أخذت تتحسَّس عنقها وتتشبَّث بأنفاسها، وترمقه بنظرة كره، لم يكترث لها فكلُّ ما بات يفكر به الآن كيف ينظف تلك الفوضى الَّتي لن يتركها تخرج من بين يديه؛ فتلك فرصته الذهبية لجمع الخيوط ثانية، وبعد أن يظفر بها سيغلق كلَّ دفاتره القديمة مع كلتيهما دُفعة واحدة، فما أرخص الرصاص بهذه الأيام! فلن يترك المجال لأحد يبتزه، انتبه فالتفت إليها...

- استمعي لي جيدًا يا **"نادين"**، ونفذي دون نقاش أو حتى تفكير، أهذا مفهوم؟

حركت رأسها موافقةً دون أن تنبس ببنت شفة!

في اليوم التالي بصباحه المُشرق، اعتلت شمسه كبد السماء، فلا تُنذر بأي نسائم بأفق يومه شديد الحرارة، جلس شاردًا خلف مكتبه، متَّجهًا بعينيه نحو الجدار الزجاجي من خلفه، تاركًا مكتبه وكلَّ أعماله خلف ظهره، شاخصًا في الأفق أمامه دون هدف، القلق يعتمل بصدره؛ فقد مر ما يُقارب الأسبوعين على هروبها وليس هناك أي مؤشر على مكانها، ما زال رئيسه غاضبًا بقوة، ناقمًا على هفوته الحمقاء، الَّتي بالحقيقة هي عثرة أحمق آخر! لم يستعده من شروده سوى طرقات خفيفة على باب مكتبه؛ فأجاب بالدخول، دلفت على مهل مديرة مكتبه...

- آسفة كثيرًا **"كامل"** بك، أعلم أنك لا تريد أي مُقابلات أو اتصالات، لكن صاحب هذه الورقة يُصر على مُقابلتك.

وضعت ورقة مطوية أمامه، التف بكرسيه، أمسك بها وحين فتحها وقرأ ما بها اشتعلت عينه غضبًا وقفز الحنق إلى صدره! إلا أنه تمسَّك بهيئته الأولى، وبابتسامته الباردة المعهودة، طلب إليها أن تُدخل صاحب الورقة، ولا تدع أحدًا يدخل إلى مكتبه مهما كانت أهميته؛ فنفذت، تبسَّم له **"سعد"** ببرودة، وهو يقترب منه بخطاه المتعجرفة

وغروره المفرط، وقبل أن يتخذ مجلسه، هبَّ فيه **"كامل"** من خلف مكتبه بضيق...

– أيها الأحمق... ألم أخبرك أنه لا يجب أن تأتي إلى هنا مهما حدث؟!

– الأمر لا يحتمل التأجيل، وأنت لا تُجيب هاتفك، فماذا يفترض بي أن أفعل؟

هدَّأ من غضبه أو هكذا تصنَّع؛ فقد أتى وقُضي الأمر، راح يرمقه بنظرة مُقززة، تجاهلها **"سعد"** واعتدل بمجلسه، وضع هاتفه ومفاتيحه أمامه فوق المكتب...

– أعلم كيف سأجدها لكن هناك عثرة صغيرة، وأحتاج المزيد من الأموال...

– أعتقد أن كلمة عثرة لديك، هي نذير سوء لي!

قاطعه بها بسخرية، وهو يُشابك يديه فوق المكتب، تخطَّى **"سعد"** تلميحه...

– لا يهم... سأجدها، هذا الضابط طريقنا إليها.

– طريقك وحدك!

قالها بصرامة ونظرة ذات معنى لـ**"سعد"**، ممَّا أثار بغضه، همَّ واقفًا وهو يضع يديه بجيبه، ينظر نحو النافذة من خلف كتف **"كامل"**، تقدَّم خطوات وهو يراه يعتدل ليفتح الخزينة على الأرض بجانبه، ليأتيه بما يريده من أموال، تمنى لحظتها لو أجهز عليه ليُنفِّس عن غضبه المُحتدم بصدره نحوه، إلا أنه آثر الإجهاز عليه من طريق آخر! شخص عينه نحو الأفق أمامه، أخرج علبة سجائره، سحب واحدة وأشعلها، تبسَّم من خلف دخانها بنصر خبيث...

– أتعلم؟ لم أكن لأحضر هنا اليوم فأعلم كم تكره هذا، بالحقيقة أردت محادثتك بالأمس حين كنت على متن تلك الباخرة، فأنا أيضًا كنت أتناول غدائي هناك.

توقَّفت يدا **"كامل"** حيث مكانهما! بدا القلق على وجهه، تعرق جبينه! رمقه **"سعد"** بنظرة خاطفة من ظهره، وهو يراه ساكنًا، فزاده...

– كم أعشق النيل! لقد كنت هناك وحيدًا، وقد رأيتك لكنك لم تكن وحيدًا مثلي! لذلك لم أشأ أ...

وقبل أن يُكملها انتفض **"كامل"** من كرسيه، أمسكه من ياقة قميصه ودفعه نحو الجدار الزجاجي خلفه، أحكم ساعده فوق عنق **"سعد"** حتى كاد يدقه!

كان هذا تصرفًا غريبًا منه بنظر "**سعد**"؛ لأنه منذ تعاملهما الأوَّل، وهو يعرف كم يستطيع "**كامل**" ضبط أعصابه جيدًا، كم يستطيع التحكم بردود أفعاله دومًا، فلا يمكنك معرفة ما يُبطنه حقيقةً! لكن في تلك اللحظة كان رد فعله خارج توقعات "**سعد**"! أمَّا الأغرب فكان رد فعل "**سعد**" الَّذي لم يُحرِّك ساكنًا! أو يتحرَّك قيد أُنملة لإبعاد "**كامل**" عنه! أو حتى إبعاد ساعده المستميت حول عنقه، أو حتى تخفيف حدته! على العكس استفزه بابتسامة باردة أثارت غضب "**كامل**" أكثر، فزاد بضغط ساعده...

- أتعتقد أن هذا مُسليًا؟!

- ما زلت تحتاجني.

قالها بنبرة مُختنقة وبنظرة فهمها "**كامل**" جيدًا، فأرخى ساعده، تراجع للخلف، أمسك "**سعد**" بقميصه وراح يُعدِّل هندامه، يتحسس عنقه المتألم على عكس داخله الَّذي غمره الفرح، فربَّما جاء بشكٍّ خامره، حين شاهده مع ضيفه العزيز على متن الباخرة! أمَّا الآن ومع هذا الغضب أمامه فقد باتت العلاقة بينهما حقيقة! هتف "**كامل**" بضيق...

- لا تحاول أن تلعب معي دور الذكي!

- أنا لا أحاول، هي فقط مُجرَّد صدفة جعلتني أكتشف أنك صديق مقرب من "**صادق رضوان**"، ذاك القرش الكبير.

رمقه بنظرة ممتعضة، ضحك "**سعد**" دون مبالاة...

- لا أقصد هذا النوع من التقرب.

جلس "**كامل**" إلى كرسيه، يحاول ترتيب أوراقه من جديد، اتَّجه "**سعد**" نحو المكتب، أمسك بالمُغلَّف الَّذي وضعه "**كامل**" قبل أن ينفجر غاضبًا، يحوي الأموال الَّتي طلبها...

- لكن أتعلم؟ لم أكن أعلم أن "**صادق**" يتنافس مع "**العليمي**" على بعض الأعمال الهامة.

قالها ورمقه بتلك النظرة الشيطانية، نظرة صياد أمسك بفريسته، همَّ متجها نحو الباب، رفع "**كامل**" طرف عينه نحوه بنظرة تريد حرقه...

- بعض الأمور من الأفضل للجميع أن تظلَّ مدفونة، ربَّما ما تعتقد أنه من مصلحتك

معرفته، هو ما سيقف بك على شفا الهاوية يومًا! فلا تُفتش خلف الأبواب المُغلقة؛ لأنها ستفتح عليك الجحيم.

تبسَّم "**سعد**" بحنق دون أن يلتفت، أدار مقبض الباب وغادر، ونظرة النصر تعتليه، فقد علم أخيرًا لصالح من تجري اللعبة، ربَّما مراقبة "**كامل**" لبضعة أيام لم تكن إهدارًا للوقت بأي حال من الأحوال.

أمَّا داخل مكتب "**كامل**" فكان الوضع مختلفًا، كان هناك عاصفة تجول داخله، عاصفة من الغضب ما كان ليستطيع أحد إيقافها، فـ"**كامل**" ليس الشخص الَّذي يتقبل التهديد من شخص يراه أقل منه، حشرة تعمل تحت إمرته! دوت صرخة غاضبة بداخله، وهو يُزيح بيده كلَّ ما كان فوق مكتبه، سقطت الأشياء دُفعة واحدة، أحدث صوت تحطُّم القطع الزجاجية منها، رنينًا عاليًا دوى بالحجرة الساكنة، لكنَّ عصف الغضب بصدره كان أعلى، سكن كلُّ شيءٍ بعد لحظات، ألقى بنفسه للكرسي من خلفه، وغضبه يأبى السكون، حتى همست له نفسه بشيء! فما زال كلُّ شيءٍ تحت يده، فقط يحتاج لترتيب القطع بشكلٍ جديد ومختلف! تبسَّم وهو يُخاطب ذاته - «ما زال بإمكاني إصلاح كلِّ شيء، وحين أنتهي من هذه الفوضى، ستكون نهاية "**سعد**" ذاك الأحمق بيدي، ذاك المُتعجرف الغبي!»

❊❊❊

بذات اليوم وبعد منتصف اللَّيل فتح باب مكتبه، يتحسس طريقه في الظلام، أضاء المصباح الصغير فوق المكتب، حينها أضاءت الغرفة إضاءة خافتة، كان نصف محني فوق المكتب، شعر بشيء أمامه! رفع طرف عينه أمامه ليتصنَّم مكانه للحظات! وقفت الحروف بفمه...

- "**شهد**"!

تجمد بموضعه، فهل حقًا هي من يقف أمامه؟ لتبتسم من جانبها...

- خشيت أن تكون نسيتني.

- أنتِ! ما الَّذي تفعلينه هنا؟

حاول تجاوز صدمته، كانت تقف بركنٍ قريبٍ كفايةً حتى يصل شعاع الضوء الخافت وجهها، وقبل أن يتحرَّك من خلف المكتب! وجَّهت مُسدَّسا بيدها اليُسرى نحوه، أمَّا يدها

اليمنى فكانت تُمسك بشيء آخر! لم يكن واضحًا له في هذا الضوء الخافت! توقَّف عن الحراك واعتلته الدَّهشة أكثر وسكنه بعض الخوف، استرسلت وهي تبتسم وتتراجع قليلًا لتُغلق باب المكتب...

- أوَليست تلك عيادة طبيب؟ لذا أعتقد أنني بالمكان الصحيح يا دكتور **"رياض"**!

ظلَّ **"رياض"** على حاله من الدَّهشة والتَّعجب، عاود التساؤل كأنه لم يسمع إجابتها...

- لماذا أنتِ هنا يا **"شهد"**؟

- أنت طبيب يا **"رياض"** بك وأنا مريضة... أحتاج لمساعدتك.

قالتها وهي تتقدَّم نحوه، وبنبرة هادئة عكس ما يركض بصدره...

- أنتِ قاتلة وفارَّة من العدالة، وربَّما تحاولين قتلي أنا أيضًا الآن؟

ابتسمت من جانبها، وهي ترفع حاجبها...

- ربَّما... فما زلت أفكر، يقولون من قتل مرَّةً يقتل ألف مرَّة.

- وماذا تنتظرين؟

عقد ساعديه فوق صدره، فخفضت المُسدَّس جانبها...

- أنتظر أن أتأكَّد أنني قتلت مرَّةً لأقتل الألف!

خيم السكون بينهما لحظات، ترفقت نظرات **"رياض"** الغاضبة بها، استرسلت بنبرة مُتعبة...

- كلُّ ما أريده أن أتذكَّر، وأنت من سيساعدني على هذا.

- ألا تخافين أن أُخبر الشرطة عنكِ؟!

- ربَّما.. لكن لا أعتقد أنك ستسلمني إلى الإعدام... وربَّما أكون بريئة.

قالتها وقد أصبحت أمام مكتبه مباشرة، انحنى قليلًا وهو يستند إلى مكتبه...

- وربَّما لستِ كذلك!

- ربَّما.

صمتت لحظة، جلس إلى مقعده وهمَّت أيضًا بالجلوس...

– أعتقد أنك كتبت بتقريرك الَّذي شكَّكت به النيابة، أنني مُصابة بفقدان ذاكرة مؤقت، وهذا يعني أنني سوف أتذكَّر... أليس كذلك؟!

– هذا صحيح... أعتقد هذا.

– إذًا مُد لي يد العون، وساعدني على التذكُّر.

اعتلتها نظرة رجاء، عقد أنامله بعضهما ببعض فوق المكتب...

– وما الَّذي يُجبرني على أن أُساعد مُجرمة فارَّة من العدالة؟

– لو أن هذه المجرمة ربَّما تكون بريئة، ليس سببًا كافيًا بالنسبة لك...

انتظرت لحظة، ثُمَّ ألقت بما كان بيدها اليمنى أمامه فوق المكتب، وبنظرة ماكرة...

– أعتقد أن رسالة الدكتوراه الخاصة بك، والَّتي موضوعها الفقدان الدائم والمؤقت للذاكرة... ستكون سببًا كافيًا لقبولك! فلا أعتقد أن طبيبًا طموحًا مثلك سيرفض نموذجًا حيًا ويُناسب مقاس رسالته تمامًا! فقد رأيتها بعينك منذ اللحظة الأولى في المشفى.

نظر نحو ملف رسالته، ثُمَّ عاود النظر نحوها وهو يتَّكئ بظهره للخلف...

– أعتقد أن العرض مغرٍ حقًا لكن... ألا تخشين أن أخونك وأُبلغ الشرطة عنك؟

– قبل أن تصل لنهاية بحثك لا أعتقد، وإن وصلت أنت لنهاية بحثك وصلت أنا لذاكرتي.

تبسَّمت بها بخبث أكبر منه، فرك لحيته...

– هذا عرض مُرضٍ للطرفين، أعتقد أن ذكاءك هذا نقطة لصالحك، وسيساعد كثيرًا في علاجك، لكنه سيكون مُضرًا جدًا إن حاولت التلاعب بي.

– أعتقد إن كان ينبغي على أحدنا القلق... فلن يكون أنت.

زادت بسمتها وهي تُطقطق بإصبعها فوق المكتب، نظر نحوها بنوع من القلق المتخوف...

- أخبرني والدي ذات مرَّة، أن الناس الَّذين يجب أن نخشاهم، هم أولئك الَّذين ليس لديهم شيء، والَّذين يجب أن نخشى عليهم هم مَن لديهم كلُّ شيء!

- عفوًا!

قام من خلف مكتبه، وجلس بالكرسي المُقابل لها، استرسل بابتسامته...

- مجتمعنا يا "**شهد**" ينقسم إلى طبقات، في الماضي كانت تلك الطبقات مُتقاربة نوعًا ما، فلم يكن هناك هذا الخوف الَّذي نحياه الآن، بالوقت الراهن المجتمع بات ينقسم إلى طبقتين فقط، نوعين من الناس، نوع يمتلك كلَّ شيء، حتى وإن كان لا يريده، وهم القلة، ونوع لا يمتلك شيئًا، أي شيء وإن كان في أشد الحاجة إليه، وهؤلاء الطبقة الأكبر، النوع الأوَّل لا تهابي منه مهما زادت قوته، أمَّا الثاني فيجب أن تخشيه وبقوة، أتعلمين لماذا؟

صمت لحظة، هزَّت رأسها نفيًا، وهي مُستغرقة بما يقوله، فعاود حديثه...

- لأن الثاني ليس لديه ما يخسره، أو يخشى فقدانه، هو بالأحرى فقد كلَّ شيء! لكن الأوَّل لديه أشياء كثيرة يخشى فقدانها! وأعتقد أنكِ أسوأ من بالنوع الثاني! فأنتِ لستِ فقط لا تمتلكين شيئًا! بل حتى الماضي والذكريات قد سُلبت منكِ!

ابتلعت ريقها، وتبسَّمت عنوة بدمعة اعتقلتها بعينها...

- أوَّل مقابلة لنا اعتقدت أنك لا تصلح طبيبًا نفسيًا، أمَّا الآن أعتقد أنك لم تكن لتصلح في شيء آخر غيره.

خيم الصمت لحظات، قطعته...

- لكن ما علاقة الطب النفسي بفقدان الذاكرة؟

- فقدان الذاكرة يندرج بالمقام الأوَّل تحت مسمى الأمراض العصبية والنفسية، وتقريبًا سبعون بالمائة من علاجه نفسي.

أجاب بها وما زالت ابتسامته تعتليه، فعاودت سؤاله...

- هل ستساعدني؟

- لا أعتقد أنكِ مشغولة الآن، غير أنه من البديهي أنكِ المريض المجهول الَّذي أتى

بي إلى هنا بمنتصف اللَّيل!

صمت لحظة، وانحنى للأمام وقال بصوت أشبه للهمس...

– حقًا انطلت عليّ الحيلة، وصدقت تلك المكالمة، بالمناسبة لم يكن هذا صوتك على الهاتف، فمن هي صاحبة الصوت الرقيق؟

انحنت قليلًا باتِّجاهه، تبسَّمت بنظرة خبث لمعت بحدقتيها، رفع يديه في الهواء مُستسلمًا بابتسامة اجتاحت تقاسيمه، همَّ واقفًا وهو يُشير نحو تلك الأريكة بالركن المظلم...

– هلَّا نبدأ؟

نظرت نحوها نظرة مضطربة، ممزوجة بقليل من الخوف وكثير من القلق، ولمحة من الأمل، اتَّجهت نحوها وجلست عليها، جلس بالكرسي المجاور لها، طلب إليها الاسترخاء قدر الإمكان، وهو ما لم تفلح به كثيرًا، فتخطاه **"رياض"** وهو يبتسم...

– من أين تفضلين أن نبدأ؟ تلك اللَّيلة في الفيلا!

– كلَّا... لحظة انقلاب السيارة.

قالتها بلهفة، فتعجب...

– أي سيارة؟!

– سأخبرك!

بصباح اليوم الثالث، كانت **"لُولا"** و**"ريري"** تجلسان بالاستقبال، تتحدثان بصوت مسموع، حين قالت **"ريري"** بجدية...

– أعتقد أن أفضل طريقة نُساعدها بها هي جعلها تترك البلاد، أن تهرب خارجًا.

– أعلم أنكِ جيدة بهذا.. لكن بالوقت الحالي هذا شبه مستحيل، فالجميع يُفتش عنكما وعنها هي بالأخص، وستكون جميع المداخل والمخارج تحت حراسة مُشدَّدة.

– لا أقول الآن... أعني أنه الحل الوحيد، لكننا سننتظر بعض الوقت حتى تهدأ الأمور.

تلك اللحظة ظهرت "**شهد**" من خلف كتف "**ريري**" وهي تتقدَّم نحوهما، وقد عُلِّقت عين "**لُولا**" بها، لتهتف...

- ومن أخبركِ بأنني أريد الهروب؟!

التفتت نحوها "**ريري**"...

- الأفضل لكِ أن تتركي هنا نهائيًا.

- ليس قبل أن أعلم أقتلته أم لا؟

جلست بمقابلهما، لتقول "**لُولا**" وهي تنقل نظرها بين كلتيهما...

- وكيف لكِ أن تعلمي وأنتِ لا تتذكَّرين؟ وهذا الطبيب أنا لا آمنُ جانبه! والأهم أنها لن تمثل فارقًا لديهم، فبكلِّ الأَحوال أنتِ مطلوبة لتنفيذ حكم بالإعدام.

- "**شهد**"...

هتفت "**ريري**"؛ فقاطعتها بنظرة صارمة...

- أنا لن أذهب إلى أي مكان، قبل أن أعلم من أنا.

عم السكون لحظات حولهن، لكن بداخل كلٍّ منهنَّ كان هناك الكثير من الضجيج، همَّت "**شهد**" واقفة وهي تحكُّ ذقنها، تتساءل بصوتٍ أشبه لحديث النفس...

- أعتقد أن السؤال الَّذي سيحل اللغز بأكمله، ماذا كنت أفعل بهذا المكان؟ لماذا كنت ببيته من البداية؟

- كلَّا... السؤال الأهم من هو القتيل؟

هتفت "**لُولا**"، التفتت نحوها "**شهد**" وقد تعلَّقت العيون بعضها ببعض، أمالت رأسها...

- إذا كنتِ ترغبين بالتفتيش خلف ما حدث لكِ، فعليكِ أن تُلقي السؤال بالطريقة الصحيحة، فماذا كنت تفعلين بتلك الفيلا؟ سؤال لن تجاوبه سوى "**الآس**" فقط! أمَّا أنتِ الآن فـ"**شهد**"، لذلك يجب أن تُعيدي تقييم سؤالك.

لتهتف "**ريري**" وقد التمعت بعينها نظرة خبث...

– "**لُولا**" محقة، أنتِ تفتشين بالمكان الخاطئ، ربَّما إن علمنا من هو القتيل تحديدًا، لوصلنا إلى ما يربطكما معًا.

– يقولون رجل أعمال مهم.

أجابت بها "**شهد**"، لتتساءل "**لُولا**"...

– ماذا عن مُحاميكِ؟

حينها توقَّفت بموضعها، كأن شيئًا اجتاح عقلها بقوة! تعجبت كلتاهما من ردة فعلها، فهبَّت "**ريري**" من مجلسها...

– ماذا هناك يا "**شهد**"؟ هل داهمتك إحدى ذكرياتك؟

– المحامي؟!

كانت نبرتها تساؤلًا أكثر منها إجابة، فتعجبت "**ريري**"...

– ما به؟

– أنا لم أطلبه للدفاع عني!

أجابت بها وما زالت تلك النظرة الشاردة تعتليها، لتُجيب "**لُولا**" بعفوية...

– ربَّما المحكمة هي من أحضرته، فيجب أن يحضروا لكِ محاميًا للدفاع عنك.

– كلَّا، هو من تطوع للدفاع عني.

راحت تُعيد ترتيب أفكارها، لتسخر "**ريري**" حانقة، وهي تعاود الجلوس...

– ليته لم يفعل.. لقد وضع رقبتك داخل حبل المشنقة، إن كان محاميًا مبتدئًا أو حتى أحمق، لادَّعى أنكِ مختلة عقليًا.

التفتت "**شهد**" نحوها بنظرة امتعاض ملأت وجهها، اعتقدت "**ريري**" أنها أهانتها، فحاولت التصحيح...

– لم أقصد أنك مُختلة، بل أقصد أن يحتال على المحكمة حتى يضمن أقل حكم ضدك، يتلاعب بكافة الأوراق لصالحك.

لم تُبدِ أي رد فعل لما قالته "**ريري**"، فلم يكن سبب امتعاضها! فكان عقلها يُفكِّك

كلَّ حرف من كلامها ويُمعن قراءته، حينها اعتدلت "**لُولا**" باهتمام وهي تجذبها من شرودها...

- بماذا تفكرين يا "**شهد**"؟

- لقد تبرع بالدفاع عني، حتى وصلت منصة الإعدام، أتعلمين أنه لم يقم بزيارتي ولا لمرَّة واحدة بالسجن؟ أو حتى فكر سؤالي إن كنت فعلتها أم لا؟ غير أن...

صمتت لحظة، وكلتاهما في شدة التركيز والاهتمام، فتساءلت "**ريري**"...

- غير ماذا؟

- في مرافعته أمام المحكمة لم يتطرق لتقرير الطبيب عن حالتي الصحية، أعني مسألة فقدان الذاكرة! أو حتى حاول تصويري كمختلة عقليًا كما قلتِ! أتعتقدين لماذا يا "**ريري**"؟

- لأنه محامٍ أحمق، ولا يعرف كيف يقوم بعمله!

قالتها بعفوية وهي تنظر نحو "**لُولا**"، فقاطعت نظراتهما...

- أو لأن هذا عمله!

قطبت "**لُولا**" حاجبيها بدهشة، فقد وصل إليها تمامًا المعنى الَّذي أرادته "**شهد**"، في حين ظلَّت "**ريري**" ترتسم على وجهها نظرة البلهاء...

- أنا لا أفهم شيئًا مطلقًا!

ظللن على وضعهنَّ لحظات، حين انتبهت "**شهد**" وجلست بجوارهما...

- ستفهمين فيما بعد، أمَّا الآن فأريد معرفة كلِّ المعلومات المتاحة عن هذا المحامي.

- ليس بالشيء الصعب، لكن لماذا؟

قالتها "**ريري**" وهي تهزُّ كتفيها بعدم فهم...

- ستفهمين كلَّ شيءٍ بوقته، لكنني أريد شيئًا آخر، أريد ملفَّ القضية الموجود بالمحكمة.

- سرقة ملف قضية من داخل المحكمة! في قضية قتل حُكم فيها بالإعدام! ليس

بالأمر الهين أبدًا يا "**شهد**"!

قالتها بقلق بدا واضحًا على وجهها، فبادرتها "**شهد**" بحماسة شديدة...

- ومن قال أننا سنسرقه! نحن فقط سنأخذ نسخة منه.

- أعتقد أنني يمكنني تدبُّر هذا الأمر لكِ، لكن ماذا ستفعلين به؟

هتفت "**لُولا**"، أمالت "**شهد**" رأسها بابتسامة أمل لاحت بين حدقتيها، ونظرة خبث علت مُحياها...

- الكثير!

بصباح اليوم التالي، كان يقف شاردًا أمام النافذة، شاخصًا نظره نحو الفضاء أمامه، نحو تلك الشمس الَّتي تُلقي بأولى سلاسل ضيائها على الأرض، ترفع ذلك الظلام المستبد بسكونه، حين استرده صوتٌ قلق...

- أتعتقد أنها ستأتي؟

لم يُجب "**شريف**" بشيء، بل ظلَّ شاخصًا في السماء لحظات، ثُمَّ التفت عن يمينه ورمق هذه الراقدة فوق السرير! بنظرة رغم قلقها فإنه تنهد بثقة...

- لا بد أن تأتي.

- أعتقد أنه يجب أن نضع بحساباتنا أنها ربَّما لا تأتي، ونُفتش بمكان آخر عنها.

- وأين هذا المكان؟

تساءل بها بنبرة بدت حانقة رغم هدوئها، لم يجب "**سمير**"، فاسترسل...

- لا شيء عن تلك الفتاة حقيقي، كلُّ ما لدينا وهم، كلُّ شيءٍ في ملفها يتحدث عن "**شهد**" ابنة مدير المدرسة، الطالبة المتفوقة والمحبوبة من الجميع، أمَّا "**الآس**" مخترقة المواقع والقاتلة! فليس لدينا عنها شيء، أوَتعلم ما الرابط الوحيد الَّذي يجمع "**شهد**" و"**الآس**"؟

نظر نحو السرير وهو يشير بيده ويزيد اقترابه من "**سمير**" بحنق...

– هذا هو الرابط الوحيد الَّذي يجمعهما وسيقودنا إليها! حتى ذلك الولد الآخر **"صلاح"** لم نصل له حتى الآن، ذاك العنوان لا يتواجد به، فلن نصل به لشيء، أمَّا هذا فهو خيطنا الوحيد، حتى وإن لم تأتِ هي، فحين تستيقظ هذه قد تخبرنا أي شيء يُوصلنا إلى **"الآس"**، فلا سبيل لنا غير ذلك.

عاود النظر من النافذة، وهو يستطرد بحنق...

– تلك الفتاة واحدة من اثنتين، إمَّا حقًا لا تتذكَّر كما تدَّعي، أو أنها ممثلة بارعة جدًا، وأنا أرجح الثانية بقوة، وفي كلتا الحالتين لا يهم، فسوف أُمسك بها، أوَتعلم؟ أنا من سيضعها على منصة الإعدام بيدي!

زفر غضبه بضيق، يحاول أن يملأ صدره بالهواء النقي، يُرتب ما يمتلكه من أوراق ربَّما هي قليلة، لكنها ما أُتيح له، ويجب أن يستغلها بموضعها الصحيح، يُخامره شعور قوي بأن اللعبة بدأت للتو، قام بحركته الأولى وألقى بأولى أوراقه على الطاولة، حرص على أن ينتشر الخبر كالنار بالهشيم! فيعلم أنه سيصل حيث يريده! سيرتد صداه لديها! وليس لديه الآن سوى أن ينتظر حتى تلتقط الطُعم! فقد رسم لها مسارين لن تحيد عنهما، وسوف يظفر بها إن لم يكن بقدومها إليه، فبمعلومة عن مكانها من تلك الراقدة خلفه، فلا مسار ثالث!

❦❦❦

بتمام الحادية عشرة والنصف من ذات الصباح، كانت **"ريري"** ما زالت مُستغرقة بنومها، رغم أن الوقت صار قرب الظهر فإنها لا تريد أن تستيقظ! جلست **"شهد"** أمام التلفاز تُقلِّب بين محطاته، حين توقَّفت يدها على صوت مُذيع يصرخ بحقوق البسطاء! جذب انتباهها رد الضيف الهادئ، وهو يردد بصوت رصين واثق – «لمَ ندعوهم البسطاء؟! وهم بالحقيقة أكبر بكثير من هذا الوصف، فبرأيي هم القوة الحَقيقية في هذه الدولة، هم وحدهم من يستطيعون تحريك المياه الراكدة وتحويلها لشلال جارف، لن يجلب لهم أحد حقوقهم غيرهم، فلن يُدافع عنهم سواهم». تردد صدى عبارته الأخيرة بأذنها بقوة، وصرخ عقلها – هو محق فلن يُدافع عن **"الآس"** سوى **"شهد"**. حتى إنها شردت عن متابعة باقي اللقاء بالتفكير بها، لم يستعدها سوى صوت **"لُولا"** حين أتت ممسكة بكوبين من الشاي، جلست بقربها لتُحسها شاردة، نظرت نحو التلفاز وهي تجذب أطراف الحديث بينهما...

– من هو؟

رفعت طرف عينها نحوها بعدم فهم، لتتساءل "**لُولا**" بسخرية ناقمة...

– هذا الأحمق الَّذي يتحدث عن الشلال الجارف!

تبسَّمت وهزَّت كتفيها بأنها لا تعرف، نظرت "**لُولا**" نحو الشاشة، وهي تُمعن النظر باسم الضيف المكتوب بأسفلها، لتزداد سُخريتها...

– "**رفيق الأسواني**"... أحد الحمقى، لا يهم... فجميعهم حمقى، لا تُصدِّقي هذا الهراء، فهم يهتفون به فقط، لأنه ليس بيدهم غيره، فهم أجبن من أن يتحول قولهم إلى فعل.

أغلقت التلفاز، تبسَّمت "**شهد**"، عم السكون لحظات بينهما، لتقطعه دون سابق إنذار...

– هل يمكنني أن أسألكِ شيئًا؟

أمالت "**لُولا**" رأسها إيجابًا، وهي ترتشف من كوبها، فتساءلت "**شهد**"...

– ما هي حكايتك؟

ضحكت "**لُولا**"، همَّت بوضع الكوب فوق الطاولة، ثُمَّ انفجرت ضحكًا حتى لاحت بعينها الدموع، ممَّا أثار دهشة "**شهد**"! وتبسُّمها من هيستريا الضحك الَّتي أصابتها...

– هل تفوَّهت بشيء مضحك إلى هذا الحد؟

حاولت تمالك نفسها، وهي تمسح الدموع عن عينها...

– كلَّا حبيبتي، أنتِ لم تقولي شيئًا مضحكًا على الإطلاق، أتريدين معرفة حكايتي؟

– أعتقد أنكِ تعلمين قصَّتي، وأعلم البعض عن "**ريري**"، أمَّا أنتِ فلم يقل أحد شيئًا عنكِ، فقط لدي فضول كي أعرف كيف وصلتِ إلى...

صمتت وأمسكت بكوبها ترتشف منه، راود عقلها أنها ربَّما لا تعرف تحديدًا ما هو عمل "**لُولا**"! إلا أن ملابسها الغالية وعملها طوال اللَّيل، ثُمَّ عودتها ترتدي ملابس تبدو مثيرة إلى حد كبير، ووجهها مليء بالكثير من مستحضرات التجميل، كان يُلمِّح بشيء واحد، شيء لم تتمكن من التفوه به! ربَّما لأنها لا تعلم له سوى كلمة واحدة! كلمة لم تتفوه

بها حتى لا تجرحها، قرأتها "**لُولا**" بعينها فاعتدلت بجلستها وابتسمت...

- أعلم ما يدور بذهنك، لكنني لست تمامًا كما تعتقدين.

- أنا لا أعتقد شيئًا.

ابتسمت بعذوبة بدت بها فاتنة، أكثر بكثير من كلِّ فتنتها وهي مُغرقة بمساحيق التجميل، وملابسها الفاضحة...

- اسمي الحقيقي هو "**ليلى**"، لنقل بأن قصَّتي هي قصَّة مُملة مُكررة، لا تختلف كثيرًا عن كلِّ الفتيات، اللَّاتي وقعن بنفس الشَرَك سابقًا، وسيقعن به لاحقًا.

أمالت رأسها باستفهام، فبادرتها "**لُولا**"...

- إنه الحب يا عزيزتي.

- الحب!

- نعم هو دائمًا الطُعم المناسب لهذا الشَرَك، أنا لا أعني الحب بذاته، فهو بالحقيقة شيء جيد... على ما أعتقد، لكنني أتحدث عن هذا الحب المُستهلك، الَّذي يصرخ به الجميع سرًا وعلانية، ويتخذونه طريقهم ووسيلتهم لاصطياد الحمقاوات أمثالنا باسمه.

أجابت بها بسخرية حزينة، فاعتدلت "**شهد**" بمواجهتها...

- هذا يعني أن من ألقى بك بهذا الطريق، رجل ظننتِ أنه يحبك.

زادت بسمة "**لُولا**" وهي تعبث بخصلاتها...

- أتعلمين أن مسألة الظن تلك هي أساس المشكلة؟! فقد ثبت بالتجربة أن أكثر ما يُهلكنا هو الظن! فنظن بالآخرين أشياء هي بالأساس ليست فيهم، نظن دومًا بهم الخير والصدق وكلَّ ما هو جميل، لكن بالحقيقة نحن المخطئون فدومًا ننسى أن بعض الظن إثم، وإن كان في زماننا هذا بات كلُّ الظن إثمًا وليس بعضه فقط.

صمتت لحظة ثُمَّ أردفت بضيق...

- لم يعد يهمُّ الآن... لنقل أن عملي بالحقيقة هو شيء يشبه المصيدة.

- عفوًا! لا أفهم.

اعتلت "**شهد**" ابتسامة بلهاء، فقالت "**لُولا**"...

- لنقل أنني أعمل بملهى ليلي بأحد الفنادق المشهورة، حقيقةً هو من أكبر الفنادق، أجلس مع رواد الملهى نثرثر ونضحك، وما إلى ذلك من أمور.

- فقط!

- أعلم أنك لا تستوعبين... الأمر أشبه بوردة جميلة تجذب كثيرًا من النحل نحوها.

- ما أتذكَّره عن النحل، أنه لا يترك الوردة قبل أن ينهم من عسلها.

- حسنًا حين نصل تلك النقطة... لنقل أن الوردة تُستبدل بأخرى.

فأغمضت عينها بعدم فهم، فضحكت "**لُولا**" بمرح من طريقتها...

- في ذلك الوقت يكون النحل تقريبًا شبه غائب عن الوعي، فأُستبدل بامرأة أخرى وهو لن يلاحظ الفرق كثيرًا، لأنه يكون منتشيًا من كثرة الخمر، لدرجة أنه لا يعي وجهه في المرآة لو رآه.

- هذا يعني أنكِ لم...

لم تُكمل فقاطعتها "**لُولا**" بزفرة ضيق...

- بلى أنا... لكنني أُقدم لدبابير خاصة، دبابير لا يستطيع أحد التلاعب معها أو إغضابها، لأنك لو فكرتِ بمُجرَّد المحاولة ستنتهين قبل أن تُنهي التفكير، أفهمتِ شيئًا؟

أمالت رأسها إيجابًا بشبح ابتسامة حزينة، بادلتها إياها "**لُولا**" بأخرى مُنكسرة، حينها حل السكون لحظات ثُمَّ تساءلت "**لُولا**"...

- هل أحببت سابقًا يا "**شهد**"؟

رفعت طرف عينها بتعجب، وهزت رأسها...

- لا أعرف! ربَّما.

صمتت لحظة، ثُمَّ استطردت بسؤال فاجأ "**لُولا**"...

- لماذا تُقدِّمون لي يد المساعدة أنتِ و"**ريري**"؟

صمتت "**لُولا**" لحظات، حتى تجاوزت مفاجأتها، نظرت نحوها بابتسامة...

- بالحقيقة أنتِ من ساعدت نفسك منذ البداية.

أمالت رأسها بدهشة غمرت تقاسيمها، فاسترسلت **"لُولا"** ببسمتها...

- أنتِ من قدمت يد العون أوَّلًا، فقد دافعت هناك بتلك اللَّيلة بالسجن عن **"ريري"**، أنتِ ساعدتِها دون أي سبب، ولا أحد غير اللّه يعلم لو كنتِ تركتِها لهم، ماذا كان سيحدث لها! وربَّما أنَكِ قدَّمتِ لها المساعدة لحظتها وأنتِ تعلمينَ أنها قد تودي بحياة كليكما، إلا أنكِ فعلتِ؛ لذا فأنتِ من قدمت يد المساعدة لنفسك.

ثم أمسكت بكوبها وارتشفت منه، وأردفت ببسمة لمع بها الخبث...

- غير أنكِ سبب وجودها هنا الآن!

تبسَّمت **"شهد"**، وضعت كوبها على الطاولة...

- تلك دوافع **"ريري"**، وأنا أفهمها، لكن أنــ...

- لذات الدوافع يا عزيزتي أنا أُساعدك، فأنتِ لا تعلمين كم هي مهمَّة لي، فقد كنَّا جيرانًا من بادئ الأمر وأصدقاء، والحياة جمعتنا منذ الصغر، فهي أختي بكلِّ معنى الكلمة، حتى وإن لم يجمعنا الدم، فقد جمعنا الأقوى منه.

قاطعتها بها؛ فرفعت **"شهد"** طرف عينها بدهشة أكبر، فأردفت...

- القدر وقسوة الحياة، هما أقوى الروابط على الإطلاق، وهناك سبب آخر.

فاعتدلت **"شهد"** باهتمام وبعينها نظرة منتظرة، فأجابت **"لُولا"** دون السؤال...

- إنني أشعر نحوكِ بأُلفة لا أعرف مصدرها، فحين أنظر إليكِ لا أراكِ غريبة عنَّا، كأنك كنتِ هنا منذ البداية، لا تسألي... هو مُجرَّد شعور غمرني منذ لحظة وقعت عيني عليك، صَدقي أو لا تُصدقي... فأنتِ تُشبهيننا كثيرًا **"شهد"**، ربَّما المجبورون بتلك الحياة، هؤلاء الَّذين طحنتهم بين فكي أوَجاعها، تربطهم جينات خاصة.

عم السكون حولهما لحظات، استغرقت **"شهد"** بتلك الجملة الأخيرة **"تُشبهيننا كثيرًا!"**

❧❧❧

الرابع

المُجازفة!

في المساء كان يجلس أمام مكتب صغير، بغرفة متواضعة كما الشقَّة الَّتي تحويها، فبالحقيقة ليست سوى مكان يُخفي به قاذوراته، ينظر باهتمام لكلِّ تلك الصور المبعثرة أمامه! فلم يتوقَّف **"سعد"** في تلك الفترة عن مراقبة **"كامل"** بكلِّ حواسه، ربَّما لم تُسفر مراقبته عن الكثير، أغلبها تعاملات عادية، لا تتخطَّى العمل وبعض الحسناوات؛ فقد كان **"كامل"** حريصًا بشتى الطرق على ألَّا يتبعه أحد، إلا أن **"سعد"** اقتنص صورًا لمُقابلة أخرى مع **"صادق رضوان"** على متن باخرة مختلفة بعيدًا عن العيون المُتطفلة، كانت كفيلة بتأكيد العلاقة بينهما، والأهم لديه تأكيد أن **"صادق"**، ذلك القرش الكبير بعالم السياحة بطوله الوافر ووزنه المتوسط وبشرته البيضاء، رجل تخطَّى ربيعه الخمسين، المنافس الأكبر والأهم لـ**"العليمي"**، هو البطاقة المُستترة أسفل الطاولة، ورغم أنه لم يتمكن من سماع ما تمَّ بينهما، فيكفيه ما بدا من انزعاج على وجه **"صادق"** وغضبه خلال تلك المُقابلة، الَّتي تبعت زيارة **"سعد"** لمكتب **"كامل"** مباشرةً! ومحاولات **"كامل"** المستميتة خلالها لاحتواء الوضع، فكان يقف كالطفل المُعاقب أمام أستاذه، كلُّ هذا كان يبعث في نفس **"سعد"** الارتياح فقد بات يعلم جيدًا كافة خيوط اللعبة، وباتت له الأفضلية على كليهما الآن، هكذا صور له شيطانه! اعتقد أنه يمكنه مُجاراة الشياطين بملعبها، وإن كان بحقيقة الأمر بجوارهم لا يتخطَّى كونه هاويًا، لاعبًا مبتدئًا على أقصى تقدير! لكن من حيث تقف قدماه فهو يرى أنه لا يختلف عنهم شيئًا! وكيف له ذلك وجميعهم ولد شيطانه من رحم واحد! رحم لا يعرف حقًا أو رحمة، لم يسمع بأخلاق ولم يمر بقاموسه عدل، بل كلُّ ما يعيه ويركض خلفه هو تحقيق أطماعه الدنيئة، الَّتي ليس لها سقف ولا يأتيها يوم لتقف عند حد، وإن كانت تتحقق فوق أشلاء الآخرين، ربَّما صار هذا هو سر نهمهم لها! ربَّما لدماء الأبرياء مفعول السحر في أفواههم، فلا تزيدهم إلا شراهة ملعونة له، فتُدر عليهم الربح الأوفر، ولا تكلفهم إلا أبخس الأسعار؛ حياة الأبرياء وأحلامهم وأبسط حقوقهم في الحياة. يا له من شيء لا يستحق! فلِمَ العمل وبذل الجهد! والأهم لِمَ عناء الضمير الَّذي سقط من جيناتهم قصدًا؟! منذ أزمان حتى قبل الولادة

المشؤومة!

همَّ "**سعد**" من مجلسه، يتجه نحو المرآة، يقف ينظر لذاك المبتسم على الجهة الأخرى، يتأمله بإعجاب واحترام غير مسبوق لذاته لمكرها وخبثها! الَّذي سيعود عليه بالكثير، يعلم أنه يمتلك من الخسة والدناءة ما يؤهله ليقف يومًا بين الصفوف الأولى! رمق تلك الورقة في يده نظرة المنتصر، راح يقرأ داخلها - «المشفى التخصصي الدولي، الدور السادس، غرفة تُسعمائة وستة». عاود النظر بمرآته، يتبسَّم بسمته الشيطانية «لننهِ تلك العثرة أوَّلًا».

***

بالصباح التالي وقبل دقات العاشرة، كانت ثلاثتهنَّ يجلسن.. "**ريري**" و"**لُولا**" تتبادلان بعض الذكريات المُضحكة الَّتي تجمعهما، "**شهد**" تكتفي بالاستماع ومشاركتهما الضحك، حين دق جرس الباب، انتفضت وتقلقلت بمجلسها! بدا القلق على وجه "**ريري**" هي الأخرى، طمأنتهما "**لُولا**" بابتسامة وذهبت لفتح الباب، لحظات وعادت وهي مبتسمة! لكن تلك الابتسامة لم تبعث بنفس "**شهد**" أي ارتياح، خاصة بعد أن ظهر من خلف كتفها شاب خمري طويل القامة، ذو شعر أسود قصير، وعينين سوداوين، مُنمَّق بطريقة مُلفتة للنظر، يبدو أنه تجاوز الثلاثين من عمره بقليل، تسمَّرت "**شهد**" بموضعها وربَّما جفت الدماء بعروقها! وطفا عرقها على جبينها، بينما "**ريري**" بدا على وجهها بعض الارتياح، بدا من تقاسيمها أنها رأته سابقًا! تقدَّمت "**لُولا**" نحوها وأمسكت بيدها، ربتت على كفها بحنو ونظرة مبتسمة مُطمئِنة إياها...

- لا تقلقي يا حبيبتي، هذا هو الأستاذ "**جلال**" المحامي الَّذي أخبرتك عنه سابقًا.

ثم رفعت طرف عينها نحو "**جلال**"...

- وتلك هي "**شهد**" مـ...

- لا تحتاج تعريفًا؛ فقد أصبحت من المشاهير، صورها تملأ كلَّ جريدة.

قاطعها بها، وتقدَّم نحوها بنظرة فضولية، تراجعت خطوة وما زالت مُرتبكة، ابتسم وهو يمد يده نحوها...

- لا تخافي... فأنا محامٍ ولست من ضباط المباحث.

تمسَّكت برباطة جأشها، ومدت يدها تُبادله المُصافحة...

- "**لُولا**" أخبرتني أنه يمكنك مساعدتي.

- بالطبع... فأنا محامٍ عزيزتي، أُساعد الجميع.

راح يُزيد ابتسامته، ويتخذ مجلسه بالأريكة، وضع حقيبة على الطاولة، لتبتسم "**لُولا**"...

- سأذهب لأحضر لكم شيئًا تشربونه.

جلست "**شهد**" بالأريكة المواجهة له، و"**ريري**" بجوارها، حين بادرها...

- أخبرتني "**لُولا**" بأنكِ تُريدين بعض المعلومات عن المحامي الخاص بك، وملف قضيتك!

أمالت رأسها إيجابًا، فتح حقيبته وأخرج منها ملفًا، مد يده به نحوها، وبنظرة اتَّقدت خبثًا ومكرًا...

- تلك نسخة عن كلِّ ما يخصُّ قضيتك لدى الشرطة، أمَّا بالنسبة للمحامي، فهو "**رشدي همام**"، ليس محاميًا مشهورًا، إلا أنه معروف عنه القضايا المشبوهة وعشقه للأموال والنساء، لقد تأكَّدت أنه من تبرع للدفاع عنك، حتى قبل أن تطلب المحكمة من النقابة توكيل محامٍ لأجلك.

شردت لحظة بما قاله، فاستعادها "**جلال**"...

- أحقًا لا تتذكَّرين شيئًا؟

رفعت طرف عينها نحوه، تجاهلت سؤاله، كأنها لم تسمعه...

- أريد عنوان منزله.

- هو بالفعل بالملف أمامك، فمنزله ومكتبه واحد، لكن...

وقبل أن يُكمل، قاطعتهما "**ريري**" بقلق، ومن خلفها "**لُولا**"، وقد استمعت لآخر الحوار، وهي حاملة لصينية القهوة، وضعتها فوق الطاولة...

- ما الَّذي تُخططين له؟

فالتفتت نحوهما "**شهد**" وبنظرة ضيق...

- أعتقد أنه يجب عليّ شكره بنفسي، لقد تبرع بالدفاع عني دون الحصول على أجر!

- ما الَّذي تفكرين به؟

هتف بها "**جلال**" فرمقته "**شهد**" بنظرة قلقة، لتقول "**لُولا**" وهي تجلس إلى جواره...

- لا تخافي من "**جلال**" يا حبيبتي، فقد أخبرتك سابقًا.. هو مِنَّا.

- بالوقت الحالي لا أفكر بالكثير، فقط أعرف لماذا تبرع بوضع رقبتي داخل حبل المشنقة!

ثم حولت نظرها نحو "**جلال**" تستطرد...

- أخبرتني "**لُولا**" أنك محامٍ جيد، ويبدو أنك قرأت المرافعة الَّتي قدمها للمحكمة، فما رأيك المهني بها؟

حكَّ ذقنه، وقد بدأ يتدارك ما تريد الوصول إليه...

- حتى وإن كان مبتدئًا، كان من السهل عليه أن يتلاعب بالتقريرين الطبيين الأوَّل والثاني، ويستغل التفاوت بينهما لصالحك، وخاصة مسألة فقدان الذاكرة، أن يُشكِّك المحكمة بقواك العقلية ليصل لأقل حكم ضدك، أو حتى إيداعك مستشفى للأمراض العقلية لفترة لا يعلم مداها إلا الله.

فصاحت "**ريري**"...

- ألم أخبركِ؟ ذلك الأحمق!

- ألم أقل لكِ؟ يجب أن أشكره شخصيًا!

هتفت بضيق، همَّت واقفة، تقدَّمت خطوات للأمام وبيدها ملف القضية، فاستوقفها...

- هناك معلومة أخرى جاءتني مُصادفة.

فتحولت نظرات الجميع نحوه، وتساءلت "**لُولا**" باهتمام...

- أي معلومة تلك؟

همَّ واقفًا، وتقدَّم حتى أصبح أمامها....

- **"هنا عزت"**!

أمالت رأسها بعدم فهم، فأردف...

- يبدو أن هناك ما يربط بينكما، فقد وضع **"شريف الزَّهَّار"**، الضابط المسؤول عن القبض عليكِ حراسة كبيرة حولها، يبدو أنها طريق الوصول إليكِ.

ثم رمق **"لُولا"** و**"ريري"** بنظرة ذات معنى...

- أو هكذا يعتقد هو.

صمتت، جالت بنظرها لحظات في الفراغ، وبصوت من يحادث نفسه...

- إن كان **"شريف"** هو من يضع حولها تلك الحراسة، فهي شخص هام، وأعتقد أنني أعرف أهميتها.

- تعرفين؟!

كانت تلك **"لُولا"**، فبادرهنَّ **"جلال"** وهو يمعن النظر بـ**"شهد"**...

- إنها تعرفك، وتعرف من أنتِ، وكيف تجدك!

أمالت رأسها تصديقًا على ما قاله، تساءلت **"ريري"** الَّتي اتَّجهت نحوها...

- وكيف سنعرف ما لديها عنكِ؟

رفعت لها حاجبها بطريقة فهمتها **"ريري"**، ممَّا جعلها ترتعد وتتراجع للخلف وتهتف...

- كلَّا، هذا لن يحدث، مستحيل!

- ماذا؟ ماذا هناك؟

هتفت بها **"لُولا"** وهي لا تفهم سر رد فعل **"ريري"**! عاودت **"ريري"** الحديث وهي تتقدَّم نحوها مجددًا...

- أجننتِ، ألم تسمعي ما قاله للتو؟ إنه فخ لك، يعلمون أنكِ ستذهبين إليها.

- لا بد أن أراها، أعلم أنها مُجازفة ويجب أن أتخذها، تلك الفتاة بالتأكيد تعلم

من أنا، "**شريف**" متأكِّد من أنني أدَّعي النسيان، لا بد أن تلك الفتاة تعرف عني الكثير، وربَّما يُوقن أنني سأذهب إليها.

صرخت بها وهي تنقل نظرها بين ثلاثتهم، فهتف "**جلال**" بها...

– ألم تسمعي ما قلته للتو؟! يوجد على ذلك المشفى حراسة تكفي لتأمين سجن بأكمله، وعلى باب تلك الحجرة وحدها، أربعة من أفراد الشرطة.

تقدَّمت "**شهد**" خطوة نحوه وهي تستوقفه بيدها، بنظرة مندهشة...

– أي مشفى؟ أنت لم تذكر شيئًا عن مشفى!

– تلك الفتاة، "**هنا عزت**"، موجودة بمشفى.

لتتساءل بقلق...

– ولماذا؟

– لا فكرة لدي.

أجاب بها، لتعاود شرودها، فهتفت "**ريري**" بحدة وقطعية صارمة...

– لا يهم، تلك الفكرة مرفوضة بكلِّ حال من الأحوال، إن كانت بمشفى أو حرة طليقة، أنتِ لن تقتربي من تلك الفتاة خطوة واحدة.

– ربَّما يمكنني تدبير طريقة اتصال بينكما دون مغادرتك إلى أي مكان!

قالها "**جلال**"، لتتساءل "**لُولا**" باهتمام، وقد اكتملت بوقفتها دائرتهم الرُباعية...

– حقًا يا "**جلال**"؟ يمكنك تدبير ذلك؟

– بالطبع، أنا أعرف بعض العاملين بذلك المشفى، ما دُمنا سندفع الثَّمن المناسب، فيمكن لأحدهم الاقتراب منها ومعرفة ما نريده دون أن نثير الشَّكَّ.

هتفت "**ريري**"...

– هذا جيد، جيد جدًا بالحقيقة، فهذا يُناسب الجميع، وأكثر أمانًا.

أمالت "**شهد**" رأسها إيجابًا، عمَّ الارتياح صدور الجميع، ولو كان ارتياحًا مؤقتًا!

كانت تركض بممرَّات الجريدة مُتلهفة! حتى وصلت مكتب **"أحمد"**، وقفت **"جميلة"** أمامه تُلاحق أنفاسها! تعجب منها وهو يتساءل...

- ماذا هناك؟! ماذا حدث لكِ؟

- لدي معلومة هامَّة جدًا، قد تُوصلنا لطريق تلك القاتلة!

- ما هي؟

- **"هنا عزت"**!

- ما المفترض بي أن أفهم من هذا؟!

قالها بنظرة اندهاش غمرته؛ لتجيب **"جميلة"** بنظرة لا تقل عنه تعجبًا...

- لا أعلم تحديدًا حتى الآن! لكن تلك الفتاة وُضِع حولها حراسة، تكفي لتأمين سجن بأكمله.

- وما علاقتها بالمتهمة؟

- لا أحد يعرف، لكن مصادري أكَّدت أن هناك علاقة تجمعهما، لكن لا أحد يعلم تحديدًا ما هي، ربَّما هما شريكتان؟

أخذ يحكُّ مُؤخِّرة رأسه بقلق بدا واضحًا، لتتساءل بدهشة...

- ماذا بك؟

- ألا ترين أن تلك القضية استحوذت على كلِّ تفكيرك واهتمامك؟!

- لأنني مؤمنة أن وراءها لغزًا كبيرًا يستحق.

أجابت بها بنظرة إصرار لمعت بين حدقتيها، ليتساءل باستسلام...

- ماذا يجب أن نفعل الآن؟

- نُقابل **"هنا عزت"** بأي وسيلة كانت!

- وكيف سنفعلها وكلُّ تلك الحراسة حولها؟

تساءل بها، لتلمع عينا **"جميلة"** بابتسامة ماكرة...

- أعتقد أن لدي خطة!

في هذا الصباح المُبكر النديّ بتألق شمسه الدافئة، قد مر يومان والجميع في ترقب، ما زالت الحراسة مُشددة على الفتاة الغامضة **"هنا عزت"**! فباتت بنظر الجميع حل اللغز برمته! أمَّا لـ**"شهد"** فالأمر كان مختلفًا! خامرها شعور بأنها ليست أكثر من بداية جديدة لطريق جديد، ككلِّ تلك البدايات الَّتي صارت تقف بوسطها، ولا تصل بها لأي شيء! لم تتوقَّف مُداهمة الذكريات المُشوشة لها، بدأت تشعر كأنها لعنة أرواح شريرة سُلطت ضدها، حاولت كلتاهما طمأنتها، إلا أن كلَّ ما بها رفض الاطمئنان، ربَّما هي فقدت شعور الأمان بحد ذاته، أو ربَّما هو ضمن ما اُعتقل بذاكرتها! كلُّ ما بها تخلَّى كليًا عن فكرة الاطمئنان عامة، كانت متوترة بشدة؛ فاليوم ستحصل على ما لدى تلك الفتاة عنها، وعن ماضٍ فارق الحياة تلك اللَّيلة، وتبذل كلَّ غالٍ ونفيسٍ لتبعثه من جديد!

وصل **"شريف"** إلى المشفى في تمام التاسعة صباحًا، بعد أن اتَّصل به **"سمير"** مُبكرًا، وأخبره أن المريضة أفاقت من غيبوبتها، كان مُتعجل الخطى، تكاد نبضاته تتوقَّف من فرط اللهفة لأنها أفاقت وسوف تخبره كيف يجد ضالته الَّتي باتت قاب قوسين أو أدنى من أنامله، يتبقى أن يُطبق قبضته عليها! انعطف مُسرعًا عن يمينه متجهًا نحو المصعد، اصطدم بظهر أحد المُمرِّضين الَّذي كان يدفع طاولة صغيرة مُتحرِّكة، عليها الكثير من زجاجات الأدوية الَّتي تمايلت وأصدرت صوتًا، فكادت تسقط من شدة الدفعة، وتسقط معها قبعته الرياضية الَّتي كان يعتمرها، إلا أن **"شريف"** لم يُعِره اهتمامًا، رفع المُمرِّض طرف عينه نحو **"شريف"** بغضب، إلا أنه لم يقل شيئًا، دلف إلى المصعد الخاص بالعاملين، يُعدِّل من وضع الزجاجات ومن قبعته، وقبل أن يُغلق الباب، أوقفه **"شريف"** بيده ودخل، كان مُتعجلًا فلم ينتظر وصول المصعد الآخر، رمقه المُمرِّض بنظرة ممتعضة من أسفل قبعته، وما زال مُبقيًا على صمته، وقبل أن يُغلق المصعد للمرَّة الثانية أوقفه أحدهم! شكر **"شريف"** بإيماءة من رأسه لإيقاف المصعد، ضغط **"شريف"** لوح التحكم إلى الدور السادس، وقف المُمرِّض بالزاوية اليسرى البعيدة، يُطبق يده على يد الطاولة أمامه، و**"شريف"** إلى الزاوية اليمنى، يمعن النظر بهذا العقرب على عنق الواقف أمامهما بالمنتصف! لقد سرق وشم **"سعد"** نظره للحظة! زادت بسمة **"سعد"**، فكم هو شعور رائع أن تعي خصمك ويجهلك! فـ**"شريف"** هو خصمه الحقيقي باللعبة، أمَّا هي فليست سوى الطابة الَّتي سيحرز بها هدفه! كانت عين **"شريف"** مُعلَّقة بلوح التحكم وهو يُضيء بكلِّ دورٍ توقَّف به المصعد، بدا الضيق على وجهه من الرائحة النفاذة لعطر الياسمين الَّذي كان يضعه **"سعد"**، الَّذي دبَّ شفتيه للأمام وأخذ يُصدر صفيرًا خفيفًا مُرددًا لحنًا حزينًا، ممَّا جعل **"شريف"** يهزُّ رأسه بضيق إلا أنه تجاهله،

زفر بارتياح مفاجئ، حين أضاءت الشاشة أخيرًا بالرقم ستة، وصل مصعد العاملين حيث وجهته، غادره **"شريف"** مُسرعًا، قابله **"سمير"** بعد خطوات قليلة، تقدَّما معًا بالرَّدهة، تبعهما **"سعد"** وما زالت ابتسامته تعتليه من مسافة ليست قريبة... كان **"سمير"** يُسهب بالحديث عن إفاقتها غير المتوقَّعة ببسمة ملأت قلبه قبل وجهه! وقف كلاهما أمام الغرفة تسعمائة وستة للحظات، لكنهما لم يدخلاها! بل تقدَّما إلى آخر الرواق، دلفا حجرة بنهايته! تمسَّك **"سعد"** بموقفه بالمنتصف، عينه مُعلَّقة بين الغرفة وأربعة رجال من الشرطة يقبعون أمام بابها، وتلك الحجرة الَّتي دخلها الضابطان بنهاية الممر! أمسك هاتفه وبدا لمن ينظر نحوه يتحدث بهاتفه في اهتمام... وبتلك الحجرة كان **"شريف"** ينصت باهتمام لما يقوله الطبيب...

- لست متأكِّدًا تمامًا من كونها ستفيق ثانيةً في القريب العاجل!

تساءل **"شريف"** باهتمام و**"سمير"** يجلس مُقابله...

- ألم تفق اليوم من تلك الغيبوبة؟ أوَليس ذلك مؤشرًا على كونها تتحسن؟

- ليس بالضرورة، فإنها على ذلك الوضع منذ سنوات.

- أنا لا أفهم وضعها الصحي تمامًا؟

تساءل **"سمير"** فأجاب الطبيب وهو يهم واقفًا...

- إنها أصيبت بنوع من الخلل في عمودها الفقري إثر حادث منذ كانت صغيرة، وبدأت تسوء حالتها حتى أصبحت لا تتحرَّك تقريبًا، والأسوأ أنها أصبحت تدخل في نوع من الغيبوبة لفترات طويلة، ربَّما لعدة أيام أو أسابيع، لا أحد يمكنه أن يحدد متى ستعود منها، ربَّما تفيق للحظات أو لأيام، هو شيء بعلم الغيب.

تبادل الضابطان نظرات الضيق، زاد غضب **"شريف"** فلقد اعتقد أنه ظفر بما يريد، والأهم أنه لا يمتلك تلك الأسابيع! خرجا من الحجرة وبجوارهما الطبيب، **"شريف"** يحاول استجداءه أن يقوم بكلِّ ما بوسعه لإفاقتها، ولو لدقيقة واحدة، لا يطمح في أكثر من دقيقة لإجابة سؤال واحد فقط! بآخر الممر من الجهة المقابلة أمام الحجرة، كانت تقف طبيبة وبجوارها طبيب آخر يتحدثان، يومئان برأسيهما للحراسة المحيطة بالباب، دلفوا إلى الحجرة بهدوء... تقدَّم ثلاثتهم بالرَّدهة وما زال **"شريف"** يحاول باستماتة الحصول على ما يريد، وما زال طبيبها يقنعه أن ما باليد حيلة... فتح المُمرِّض

المُناوب باب الغرفة فجأة ودون سابق إنذار! كانت تلك الطبيبة تقف هناك بجوار السرير تحاول إفاقة النائمة، ويقف الطبيب الآخر أمامها، يحاول التقاط بعض الصور! انتفض كلاهما حين أطل المُمرِّض ومن خلف كتفه أحد الحراس، اقتحم الحرس الغرفة وأمسكوا بكليهما وسحبوهما خارجًا... وصل الضابطان بعدما أسرعا الخطى على صوت الضجَّة بالمر ومن خلفهما الطبيب! أمعن **"شريف"** النظر بوجه الطبيبة فهتف بغضب...

- أنا أعرفك... أنتِ هي تلك الصحفية.

كانت هذه **"جميلة"** ومعها **"أحمد"**، وخطتها لمقابلة نزيلة غرفة تسعمائة وستة، الَّتي أفسدها عليها أحد المُمرِّضين وحارس! أخذ **"شريف"** يصرخ بوجهها كالمجنون، ربَّما كان يفتش عن أحد يصب جام غضبه عليه! أكثر من كونها اقتحمت الغرفة دون أوامره! فأحد طريقيه قد أُغلق أمامه، أراد احتجازها لولا أنها لمَّحت بكونها ابنة **"رفيق الأسواني"** وأن لهذا عواقبه! كان هذا سببًا كافيًا لتغير رؤيته، ليس ما أبداه من مسألة حقوق الصحفيين تلك والَّتي هتف بها **"أحمد"**، إلا أنه أصر أن يعلم بماذا أخبرتهما؟ أقسما أنها كانت نائمة، وهي الحقيقة الَّتي يُوقنها، لكنه فقط الأمل الَّذي يأبى مغادرته! فرسم نظرة عدم تصديق لكليهما! بوسط المَمر وقريبًا من موقع الأحداث كانت عينا **"سعد"**، الصياد الَّذي يتحيَّن فريسته، تتابع كلَّ هذا الصخب باهتمام... وبداخل الغرفة، بعيدًا عن كلِّ تلك الفوضى والصراع الدائر خارجًا، تقدَّم المُمرِّض على خُطى مُتمهلة نحو تلك الساكنة في فراشها، كانت فتاة لم تتخطَ العشرين بعد، حولها الكثير من الأجهزة الطبية، الكثير من زجاجات الدواء بجوار سريرها، زادت خطواته نحوها، بدت نائمة بشعرها الأسود الناعم المُسدل حول وسادتها، وجهها الأشقر ببعض النمش المُحبب مبعثر على وجهها المستدير، بدت رائعة الجمال رغم ما بدا على وجهها من ضعف، وإرهاق المرض، كملاك ساكن، اقترب أكثر حتى أصبح أمامها تمامًا، دبَّت الحياة بأناملها الصغيرة، فتحت عينيها فجأة لترى هذا الماثل أمامها، جفل للحظة وتراجع خطوة، ثُمَّ هدأت أنفاسه حين تبسَّمت له ببراءة، نزع قبعته الرياضية وهو يتبسَّم ويقترب منها... بالخارج ما زال **"شريف"** يستجوبهما بغضب فقط لإرهابهما، بعد دقائق كثيرة تركهما ليرحلا، بعدما أقسم على أنه إن رأى أيًا منهما ثانيةً فلن يرى الشمس مجددًا! وقف كلاهما بعيدًا بعض الشيء يستعيدان أنفاسهما الضائعة، في المسافة بين الغرفة وموقف **"سعد"**، لتقفز بعقل **"جميلة"** إحدى أفكارها! بأن تختلي بالطبيب بعد أن يُغادرهما! فتح الطبيب الباب ومن خلفه الضابطان، كان المُمرِّض يقف هناك بزاوية بعيدة، يُبدِّل بعض زجاجات الأدوية الفارغة، لم يُعره أحد اهتمامًا، خاصة أنها ما زالت

نائمة! أنهى ما كان يفعله ودفع طاولته خارجًا حين تعثرت بالباب، ساعده **"شريف"** ربَّما لما بدر منه سابقًا قُرب المصعد! وربَّما ليتخلص من وجوده بالغرفة! وقبل أن يُغلق باب الغرفة تنامى إلى سمعه...

- لا أعلم لكن أعتقد إن احتمال قدومها أصبح ضعيفًا، وإفاقة تلك صار أضعف.

تنهد بها **"سمير"**، بيأس تسلل إلى صوته، لم يجبه **"شريف"** فما زال بداخله ذاك العنيد الَّذي يأبى الاستسلام، خاصة وقد بات الاستسلام خيارًا غير مطروح! أغلق المُمرِّض الباب خلفه، رمقه **"أحمد"** و**"جميلة"** بنظرة ضيق، من خلفهما كان **"سعد"** ما زال ممسكًا بهاتفه، تقدَّم بالطاولة داخل الممر، الَّذي بدا كطريق لا نهاية له! ظلَّ يدفع عربته، وصل المصعد، وقف لحظات ينتظره... بداخل الغرفة كان يقف ثلاثتهم مُتحلِّقين حول سريرها، راح الأمل يُداعب قلب **"سمير"** بقوة حين عادت تُحرِّك أناملها ورأسها على مهل... وصل المصعد، اعتدل المُمرِّض بوقفته داخله وهو يرمق تلك الغرفة بالنظرة الأخيرة من أسفل قبعته الرياضية، أغلق المصعد وضغط لوح التحكم إلى الدور الأرضي... تبسَّم **"شريف"** فبعد كلِّ هذا الجهد صار الحظ حليفه، أوَلا يستحق لحظة نصر؟! وصل المصعد إلى دوره المنشود، فُتح المصعد وخرج منه! بدأت تفتح عينيها على مهل لتجدهم ماثلين أمامها، وقف طبيبها يفحص أدويتها... كان يتقدَّم بخطى واثقة بردهة الاستقبال نحو باب المشفى... فتحت عينيها، تبسَّمت من جديد للواقفين حولها، سألها **"شريف"** بلهفة...

- أين يمكنني إيجاد **"شهد"**؟ أين يمكن أن تختبئ؟

زادت بسمتها وهي تحاول قول شيء، لكن صوتها كان ضعيفًا خائرًا... وصل المُمرِّض إلى حديقة المشفى، تقدَّم حتى وصل بابها الخارجي، أمسك به لحظات، التفت بهدوء ورمق تلك الشرفة بالأعلى بنظرة من خلف كتفه... عادت تهمس بصوت ضعيف إلا أنه مسموع لهما، فزادا بانحنائهما نحوها، لتتساءل بعينين مجهدتين...

- أين **"شهد"**؟ أين ذهبت؟

- **"شهد"** ليست هنا، أعدك أن آتي بها إليكِ، فقط أخبريني كيف أصل إليها؟

أسرع المُمرِّض الخطى وهو ينعطف بشارع جانبي للمشفى حتى وصل سيارة كانت تقف على بعد أمتار... تبسَّمت باستنكار...

- "**شهد**"... "**شهد**" هنا... منذ لحظات كانت تقف هنا! تُمسك بيدي!

تعلَّقت عيونهما بها لثوانٍ، بل أقل، راحت تُشير نحو طاولة أدويتها! نظر كلاهما للطبيب والزجاجات بيده، وهو يحادث نفسه بصوت عالٍ - «أنا لم أكتب لها تلك الأدوية!» تمثلت بعين "**شريف**" لثوانٍ عين المُمرِّض! فقد لمحها من تحت قبعته منذ لحظات، هتف بصوت غاضب - «تلك العيون أعرفها!» بأقل من ثانية فُتح الباب، راح كلاهما يركضان بالممر! ركض "**شريف**" نحو المصعد، تبعته عيون "**جميلة**" و"**أحمد**" بدهشة! والأهم عينا "**سعد**"، أمَّا "**سمير**" فراح يصرخ بجهازه اللاسلكي كالمجنون - «أغلقوا كافة الأبواب.. أغلقوا أبواب المشفى الخارجية جميعًا.. إنها هنا.. امنعوا أي مُمرِّض من المغادرة».

تصنَّم "**سعد**" بموضعه، صعقته الحروف، أكانت هي المُمرِّض الَّذي عبر ناظريه منذ لحظات! من كان يقف بالمصعد خلفه على بُعد خطوة؟! راحت تركض صرخة مُفترس بري انسلت فريسته من أنيابه بين ضلوعه، دون أن يجرؤ على صُراخها! أمَّا "**جميلة**" و"**أحمد**" فلم يتحرَّك أيهما من فرط الدَّهشة... وصل المصعد إلى "**شريف**" الَّذي لم يكف عن ضغط لوح التحكم بغضب، فُتح الباب ليجد أمامه ذات العربة الَّتي حررها من الباب منذ دقيقة! ومُلقى بجوارها المعطف الأبيض الَّذي كانت ترتديه! انحنى وأمسك به بحنق، وقف يدفع بقبضته في الحائط حتى كادت تتهشم، وصل "**سمير**" ليجده ممسكًا به، والجحيم ينتفض بوجهه والدماء من قبضته! لم يقل أحدهما شيئًا، ألقى بالمعطف تحت قدمه؛ فهو يعلم أنها تبخرت من بين يديه! تسربت فرصته الذهبية دون رجعة! هبَّ عائدًا نحو الغرفة، يرمق "**جميلة**" بنظرة أحرقتها بموضعها!

اعتدلت "**شهد**" بمجلسها بالكرسي الأمامي، نزعت القُبَّعة الرياضية عن رأسها، نظرت نحو "**جلال**" الَّذي بادلها النظرة بابتسامة ارتياح، وبادلته إياها بشبح ابتسامة مقتولة! أدار مُفتاح السيارة وغادرا المكان وهما يشاهدان حالة الهرج والمرج، الَّتي تحولت لها الباحة الخارجية للمشفى، وأبوابه الَّتي راحت تُغلَّق بعد أقل من دقيقة من مغادرتها للباب الخارجي، تنفست الصعداء وزفرت أنفاس الخوف بقوة، ملأت صدرها بكثير من أنفاس الارتياح، ليس لمغادرتها فقط، لكن لما حملته تلك الدقائق القاتلة من ماضٍ راح يستيقظ! ألقت نظرة على المشفى من مرآة السيارة الجانبية، أخرجت مُغلَّفًا من جيبها، أمعنت النظر بالمكتوب فوقه - "**الآس**". فتحت المُغلَّف وابتسمت من جانبها لما وجدته داخله! رغم تلك العبرات المتقطعة على جبينها، حين استعادها "**جلال**"...

- من هي الفتاة؟

رفعت طرف عينها نحوه، فاض به العجب لتلك الدموع بعينها! تبسَّمت بحزن غمرها...

- "**هنا عزت**" أختي الوحيدة!

عاد "**شريف**" إلى الغرفة، بعد أن فقد كلَّ قدرة له على التفكير، كانت الصفعة على شرف كرامته المهنية والشخصية فوق احتماله! أمسك بالطبيب من ياقته ودفعه نحو الحائط، صرخ به وهو يضغط عنقه بساعده...

- لا يهمُّني ماذا تفعل بها... اجعلها تستيقظ... الآن.

لم يستطع الطبيب الإجابة، كاد يقضي نحبه تحت يد "**شريف**" تلك اللحظة، حاول "**سمير**" الحيلولة بينهما، بعد جهد مُضن نجح في دفع "**شريف**" بعيدًا، خرَّ الطبيب أرضًا يُمسك بأنفاسه قبل عنقه، وقف "**شريف**" قريبًا من سريرها يُمعن النظر بتلك الهاربة لكون آخر، الحنق يطير برأسه كألسنة النار المُلتهبة، فقد غُلق طريقاه بوجهه، وحفرت لها طريقًا لم يكن بالحسبان، شعر أنها هزمته بعقر داره، ما اتَّقد له عنده الحانق بداخله، فلم يعد الأمر لديه ضابط يُطارد مجرمًا هاربًا، بل صار كبرياؤه يقف بالمنتصف! اقترب منه "**سمير**" وهو ينقل عينه بين ثلاثتهم بقلق، أمسك بذراعه وهو يطلب إليه المغادرة؛ فلا جدوى من وجودهما بعد الآن، رمقه "**شريف**" تلك النظرة الموافقة بكبريائه المُتعالي رغم صرخات الخيبة الممزوجة بالغضب الَّتي رجَّت أركانه!

انسحبا من الغرفة بهدوء رغم الضجيج المُتَّقد بداخل كليهما، مع أوَّل خطوة خارجًا وقعت عين "**شريف**" على تلك الحمقاء وصديقها فزاد لهيب غضبه أضعافًا، كان إلهاء وجودهما لعقله كفيلًا بفرارها أمام ناظريه، أو هكذا حاول إقناع كبريائه المهدور دمه! صرخ برجال الحراسة باصطحابهما خارج المشفى، وإن رفضا يُلقى القبض عليهما، فآثرا الرحيل، غادر الجميع وهم يجُرُّون أذيال خيبتهم! الضابطان، وأمامهما الصحفيان، لكن آخر من غادر كان "**سعد**"! فلم يقبل الرحيل دون الحصول على أي صيد يُسكِّن به صفعته هو الآخر! وإن كانت معلومة أنهما أختان، قد رفعت من كبريائه المهدور، فهي تستحق الثناء، ورغم هزيمته بالجولة الأولى، فإن رحى الحرب ما زالت دائرة! ولا بد أنها نقطة لصالحه وضدها!

- أختك! كيف هي أختك؟ **"هنا عزت"** و**"شهد إسماعيل"**!

كانت تلك **"ريري"**، قالتها وكلُّ ما بها يفيض بالحيرة، أمالت رأسها لمسند الأريكة خلفها وهي تزفر بحزن...

- أختي لأمي... لقد كانت هي يا **"ريري"**!

- هي من؟

- الفتاة في الحلم.. ميزت صوتها الَّذي علق بأذني، حين أمسكت بيدي تشكَّلت صورتها أمامي، لم تعد باهتة ومشوشة، بل تذكَّرتها بوضوح، تذكَّرت الكثير ممَّا كان يجمعنا ونحن صغار كأنه البارحة.

صمتت، حاول **"جلال"** الركض بعيدًا عن هذا الحزن...

- ماذا وجدتِ داخل المُغلَّف؟

رفعت عينها نحوه، أعطته إياه، فتحه ولم يكن به الكثير، مبلغ من المال، ورقة واحدة مطوية، كُتب بها رقم هاتف، وجملة واحدة - «كلُّ شيءٍ سيكون بخير، أنا إلى جوارك». رفع عينه نحوها فبادرته وقد وصلها ما يصبو إليه...

- أخبرتني **"هنا"** أن أثق بها!

- وماذا ستفعلين الآن؟

تساءلت بها **"لُولا"**، صمتت **"شهد"** وشيء يجول بخاطرها، ركضت نحو الغرفة مسرعة، تركتهم بدهشتهم غارقين! لحظات وعادت بشبح الأمل يعتليها، وضعت الورقة الَّتي وصلتها بالمشفى بجوار الجديدة، كي تغمرها الخيبة ثانيةً! فليست يدًا واحدةً من كتبتهما! حينها أجابت سؤال **"لُولا"** وهي تدس الورقتين بكفها...

- الآن! أعتقد أنه حان وقت رد الجميل!

فتبادلت **"لُولا"** و**"ريري"** نظرات عدم الفهم، بينما ابتسم **"جلال"** من جانبه لمقصدها!

***

كان نائمًا بسريره، حين بدأت تترامى إلى أذنه أصوات! بدأ يستيقظ عليها، فتح

عينيه لينظر للساعة بجواره، كانت قد تخطت الواحدة بعد منتصف اللَّيل، عاود إغلاق عينيه، فعادت الأصوات لأذنه، همَّ من مضجعه على مضض، وهو يلعن ذلك القطَّ الَّذي يعبث بسلة مهملاته كلَّ ليلة؛ فيفسد عليه نومه، اتَّجه نحو الصالة، ومن ثَمَّ فتح باب الشقَّة، أفزع القطَّ المسكين الجائع؛ فولى هاربًا مذعورًا من أمامه، عاد وصفع الباب بقوة وما زال يلعن القطَّ وهذا البيت المُتهالك، والحارة الشعبية الَّتي يسكنها من زمان، يتمنى لو تهدَّمت على رؤوس سكانها أجمعين! تقدَّم نحو ردهة صغيرة تصل الصالة بالمطبخ والحمام، كانت بزاويتها ثلاجة قديمة، فتحها وأمسك بزجاجة ماء تجرَّع منها الكثير، حين أغلق بابها انتفض في موقفه، اتَّسعت عيناه عن آخرهما حين وجدها تقف أمامه.. تصنَّم دون حراك، لتبتسم له ابتسامة شيطانية...

– كيف الحال محاميّ العزيز؟

– شه... "**شهد**"... كيفـــ...

وقبل أن يُكمل شعر بشيء سقط على مُؤخِّرة رأسه فجأة، أفقده الوعي وخرَّ أرضًا تحت قدميها، زاغت عيناه وشبح شخص آخر يقف إلى جانبها، كانت ابتسامتها الحانقة هي آخر ما رآه، وأوَّل ما فتح عينيه عليه حين أفاق ودبَّت الحياة ثانية داخله، فتح جفنيه ليجد نفسه مقيدًا بإحكام إلى أحد كراسيه الخشبية البالية داخل مكتبه، "**شهد**" تجلس بمعاكسة الكرسي المقابل له، استشعر أحدًا خلفه! أمال رأسه للخلف قدر استطاعته، لكنه لم يرَ وجهه المُلثَّم! فقد كان "**جلال**" حريصًا على ألَّا يراه، عاود النظر إليها، قربت كرسيها قليلًا منه، وهي تُزيد بسمتها الحانقة...

– رغم أننا لم نتقابل سوى مرَّات معدودة بالمحكمة بالطبع... فإنني اشتقت إليك كثيرًا.

– ما الَّذي تفعلينه؟ أنتِ تُوقعين نفسك بالكثير من المشاكل.

أخذت تهزُّ رأسها بحنقٍ بدا جليًا في صوت ضحكتها...

– أتعتقد أن هناك مشاكل يمكنني الوقوع بها أكثر من الإعدام يا "**رشدي**" بك؟

– ماذا تريدين يا "**شهد**"؟

قالها "**رشدي**" وبدأ عرقه يبلل ملابسه، أجابت وهي تحرِّك رأسها...

– لا شيء.. أنا فقط أردت أن أشكرك؛ لأنك تبرعت بالدفاع عني دون مقابل، حقيقةً

حين نظرت بالمرآة شعرت كم أنا ناكرةٌ للجميل، وجاحدةٌ كثيرًا.

- كلَّا كلَّا أنتِ لست كذلك، بل أنتِ الأفضل على الإطلاق.

قالها بتلعثم وخوف، قطبت له حاجبيها...

- كيف ذلك؟ وقد جلبت لي حكمًا بالإعدام، ولا آتي بنفسي لشكرك؟!

نظر نحوها وقد أغرقه عرقه ببحر...

- أقسم لك لقد حاولت الدفاع عنك، لكنَّ كلَّ الدلائل كانت مُحكمة حولك، فلم يقبلوا بسماع شيء لصالحك، خاصة بظهور ملفك الجنائي السَّابق.

مالت نحوه، وهي تثبت عينها بعينه...

- أخبرني يا "**رشدي**" بك... أليس غريبًا على محامٍ مثلك، معروف بعشقه للمال، أن يقبل قضية خاسرة دون مقابل؟

- كلَّا، كان هناك مقابل.

تبادلت و"**جلال**" نظرات الاهتمام، فاسترسل...

- فكرت بالشهرة الَّتي سأنولها حين أحصل لك على البراءة، كنت واثقًا منها.

- ومن أين لك تلك الثقة؟ وأنت لم تسألني حتى إن كنت قتلته أم لا؟

- وما نفع السؤال وأنتِ لا تتذكَّرين شيئًا؟!

ابتسمت من جانبها بحنق، نظرت نحو "**جلال**" خلف كتفه...

- كم أنا حمقاء! لقد نسيت تلك النقطة.

عاودت النظر له بعين صلبة باردة...

- دعني أسألك عن شيء قانوني، فأنت محاميَّ وناصحي الأمين، إن عقوبة القتل هي الإعدام أليس كذلك؟ فإن قتل المرء مرَّة فإنه يُعدم مرَّة؟

أمال رأسه إيجابًا وقد جف حلقه، مالت نحوه أكثر، وبنظرة اتَّقدت كرهًا، أوقفت نبضاته وأنفاسه، زادته رعبًا...

- وإن قتل مرَّتين... فهل يُعدم كذلك مرَّتين؟

زاد الحنق بعينها، هرب الدم من عروقه، همَّت واقفة أمامه ليزداد صغره بعينها، وتزداد هي قوة أمامه، مالت نحوه وهي تتَّكئ بيديها لمسند الكرسي...

– دعني أنا أخبرك أستاذي العظيم، بكلِّ الأحوال سأُعدم مرَّة واحدة وإن قتلت ألف.

– شه... شهـــ

تلعثم بها برعب سكنه، وقبل أن يُكمل أغرقه شيء ما! غمرته رائحته بقوة! جحظت عيناه عن آخرهما...

– ما هذا؟!

– ربَّما صديقي هنا اعتقد أنك قذر، وتحتاج للاستحمام... لكن مهلًا ما هذه الرائحة؟

اقتربت منه، راحت تتشمَّم الرائحة المكبوبة فوقه، وهي تهمس بأذنه...

– إنني لا أتذكَّر الكثير... لكن رائحة الكيروسين شيء يصعب نسيانه.

توقَّفت الحروف بفمه، تهاوت نبضاته إلى قدميه، أيقن أن نهايته على بعد خطوة منه، تقدَّمت وهي تنحني فوق المكتب بجوارها وتبتسم...

– ربَّما لا أذكر عن نفسي شيئًا، لكن لدي رغبة مُلحة بتدخين تلك السيجارة الآن، فهلَّا تسمح لي؟

قالتها وهي تسحب واحدة من علبة سجائره، أمسكت بقدَّاحته، وضعت السيجارة بفمها دون أن تُشعلها، راحت تتلاعب بالقدَّاحة، ونبضه يخبو في كلِّ مرَّةٍ تُشعلها بها، وينتفض مع إطفائها...

– أرجوكِ... لا تفعلي... أرجوكِ... لا تقتليني... لقد أخطأت بحقك.

– أعطني سببًا واحدًا يجعلني لا أقتلك الآن!

– أي شيء... سأفعل أي شيء.

راح يصرخ بها كالمجنون، وهو يتوسل ألَّا تقتله، تساءلت بحنق...

– لماذا تبرعت بالدفاع عني؟

– أخبرتك.

رمقت "**جلال**" خلف كتفه بنظرة ساخرة، أشعلت القدَّاحة ثانية، انتفض "**رشدي**"...

– سأخبركِ... أتى إلىَّ شخص ما، وطلب مني أن أتولى الدفاع عنكِ!

– في مقابل؟

صمت لحظة، استعادته بصوت إشعال القدَّاحة، هتف في ذعر...

– دفع لي مائة ألف جنيه، وأخبرني أن هناك مائة أخرى، فقط إن حرصت على وصولك إلى منصة الإعدام.

– من هو؟

– لا أعلم.

زفرت بضيق وهي تهمّ بإشعال القدَّاحة، عاود هتافه، وقد أغرقه العرق والخوف، ولهاثه يُغرق فمه...

– أقسم لكِ.. إنها الحقيقة فلم يخبرني شيئًا آخر.. ولم أهتم أن أعلم! فقد تقابلنا المرَّتين بجبل المقطم بعد منتصف اللَّيل، بالمرَّة الأولى دفع لي المائة الأولى، وهي ما زالت بالحقيبة هناك تحت السرير، يمكنك التأكُّد بنفسك.

– والمائة الأخرى؟

كان ذلك صوت "**جلال**" الواقف بالخلف، وقد بدأ بالتقدُّم...

– لم يدفعوها لي بعد، في المرَّة الثانية أخبرني أنهم سيدفعونها لي بعد تنفيذ الحكم.

– هم!

كانت تلك "**شهد**" بتعجب، فاستطرد...

– أقسم لا أعرف من... هو استخدم صيغة الجمع بحديثه معي، وحين سألته كاد يقتلني؛ فامتنعت عن إلحاحي، فكُلَّما قلَّ ما أعرفه كان آمنٌ لي.

– أتريد إخباري أن لا وسيلة اتصال بينكما، أو أي ضمانات لديك ضده؟

كان ذلك صوت "**جلال**" ثانيةً، الَّذي أصبح أمامه، فنظر نحوه "**رشدي**"...

– هو من كان يتصل بي، وبكلِّ الأحوال لم يكن لدى بديل! غير أنه لو فرضنا ولم يعطوني المائة الثانية؟ فلا يهم فقد ربحت الأولى على كلِّ حال، فأنا شخص قنوع.

ربت "**جلال**" على كتفه بسخرية...

– هذا واضح كما الشمس! لكن أعتقد أنك نسيت أن تخبرني عن الضمانات الَّتي بحوزتك؟

– سيقتلني!

قالها وقد اعتلى وجهه الذعر، تبسَّمت وهي تلوِّح بالقدَّاحة أمام عينيه...

– لا تقلق بشأنه.

زادت قربها، وضعت يدها على كتفه وهي تمعن النظر في عينه، وبنبرة وقف لها نبضه...

– لأنني سأقتلك أوَّلًا.

– لدي تسجيل بداخل حقيبة المال لمقابلتنا الثانية، وبه كلُّ شيءٍ عن اتفاقنا، غير أن...

– ماذا؟

استحثَّته بها بحدة، ليُكمل باقي ما يُواريه داخله...

– كان لديه وشم عقرب على عنقه من الجهة اليسرى، وفي المرَّتين كان يضع عطر الياسمين برائحةٍ نفاذة.

شردت للحظة ثُمَّ اتَّسعت عيناها! علت أنفاسها حتى لاحظها "**جلال**"! قاطع سكونهما "**رشدي**" وهو يهتف بخوف...

– أقسم لكما هذا كلُّ ما أعرفه.

تقدَّم "**جلال**" خطوة، سحب من خلف كتف "**رشدي**" هاتفًا وأضاءه! وضعه أمام عينَي "**رشدي**" بعد أن انحنى نحوه...

– دعني أخبرك أن كلَّ ما حدث الآن، كلَّ اعترافاتك نحن أيضًا سجَّلناها.

جحظت عيناه وكادت تتوقَّف أنفاسه، لم تخجل عبراته من الهطول، استرسل **"جلال"** بذات النظرة المتوعِّدة...

- فإذا أردت يمكننا أن نذيعه أمام المحكمة، وفي نقابة المحامين، ومعه تصوير كامل لكلِّ قاذوراتك وأعمالك المشبوهة، فلِمَ لا تقل ذِع؟

انتفض **"رشدي"** وهو يتلعثم بدموعه قبل حروفه...

- أرجوك، أقسم لكما هذا كلُّ ما أعرفه.

- سنرى بهذا الشأن.

قالها **"جلال"** واتَّجه نحو الغرفة، سحب الحقيبة من أسفل السرير، فتحها، حصل على التسجيل، حرَّرت **"شهد"** وثاقه قليلًا، ثُمَّ غادر كلاهما، تركا **"رشدي"** غارقًا بخيبته القاتلة قبل دموعه، والأسوأ ذعره فقد صار يترقب نهايته من كلا الجانبين!

تمكن من حل وثاقه، أمسك بهاتفه، فتش عن رقم به! ضغط الاتصال، انتهى رنين الهاتف ولم يأته رد! زاد ضيقه، عاود الاتصال ثانية، تلك المرَّة لحظات وأجابه الطرف الآخر - «هيَّا استيقظ... لقد كانت هنا... **"شهد"**.. أتحدث عن **"شهد"** وهل بيننا شيء آخر... يجب أن تجد لي طريقة لإخراجي من البلد اللَّيلة... لن أنتظر حتى أجد الشرطة تقتحم بيتي... حسنًا أنتظرك، لا تتأخر نحن جميعًا في مركب واحد ولن أغرق وحدي». أغلق الهاتف دون أن ينتظر ردًا.

على الطرف الآخر كان **"سعد"** يعتدل بسريره، يهمُّ بارتداء ملابسه، يزفر بكره ملأه من تلك العشرة الَّتي تؤرِّقه بنومه قبل صحوه، ككابوس أسود تسكنه أرواح شياطين تُطارده، لا بد أن ينتهي! هو وكلُّ ما يتعلَّق به!

***

غادرا منزل **"رشدي"**، بذات السيارة الَّتي غادرا بها المشفى، الَّتي حرص **"جلال"** على استئجارها باسم مُزيف تحسبًا لأي شيء، انطلقا بها، كانت **"شهد"** شاردة بكون آخر، لم تعد منه إلا بعد توالي هتاف **"جلال"** باسمها كثيرًا...

- **"شهد"**.. ما الَّذي حدث هناك؟

قطبت عينها بتعجب، فبادرها...

- حين تحدث عن ذلك الرجل؟ تلك النظرة الَّتي اعتلتك!

- لقد كان هناك!

قالتها مباشرة وهي تعاود النظر للطريق أمامها...

- هناك! أي هناك هذا؟

- بالمصعد، بمصعد المشفى، يقف أمامي، لا يفصلني عنه سوى خطوة واحدة، كما كان "**شريف**" يقف إلى جواري بخطوة.

نظرت نحوه وهي تتبسَّم بحنق وألم يعتصرها، ولحظة تواجدها بالمصعد بينهما تغمر عقلها وعينها...

- هل تتخيل أن تقف على بعد خطوة واحدة من موتك، وهو يتربَّصك بكلِّ الاتِّجاهات؟

لم يُجب وطفت بعينه نظرة إشفاق نحوها...

- لكن كيف لكِ التأكُّد منه؟ ربَّما تشابــ...

- تلك الرائحة الَّتي تحدث عنها ربَّما يتشابه الكثيرون بها، لكن الوشم على رقبته لا أعتقد! لقد رأيته وأخافني للحظة، والأهم أنه كان هناك يقف بالممر، قريب من غرفة "**هنا**".

قاطعته بها، واعتلاها الخوف لكونه كان هناك قريبًا من أختها، صمت كلاهما للحظات، حين عاودت الحديث...

- لماذا تساعدني؟

التفت نحوها وقد فوجئ بسؤالها، أعادته بعينها، عاود النظر أمامه، قطب حاجبه بنظرة مبتسمة...

- إن أخبرتك الحقيقة فهل ستصدقينني؟

- فلتُجرِّب.

- صدقًا لا أعرف... لقد سألت نفسي ذات السؤال ولم أجد إجابة.

رفعت حاجبها بعدم تصديق...

- أنت تعرض مستقبلك المهني للخطر، بمساعدة فارَّة من العدالة، والآن وبعد تلك الزيارة، ربَّما تعرض حياتك بأكملها للخطر دون أن تعرف السبب! أليس هذا غريبًا بعض الشيء؟!

ابتسم بشدة وهو يهزُّ رأسه...

- ربَّما... لكن بالبداية كان لأجل **"لُولا"** خاصةً حين تأكَّدت أنكِ لا تتذكَّرين شيئًا، ثُمَّ تحوَّل الأمر لشعورٍ بالشفقة تجاه شخص فقد كلَّ شيءٍ بلحظة، وشارف على فقد حياته بسبب شيء مشكوك في قيامه به، أمَّا الآن وبعد تلك الزيارة أعتقد أن الأمور تحولت لشبه يقين بأنكِ بريئة، وخبرتي السَّابقة تنبئني بأن وراء كلِّ هذا شيئًا يستحق المخاطرة.

تساءلت وهي تنظر أمامها...

- بمناسبة الحديث عن **"لُولا"** أرى أنكما مقربان!

قطب حاجبه من مباغتة السؤال له، تلعثم قليلًا...

- كنَّا كذلك بوقت لم أعد أذكره، بدأ سريعًا وولى سريعًا حتى دون أن يلحظ كلانا، وانتهى بنا المطاف أصدقاء وشركاء عمل لا شيء آخر.

لم تُعلِّق بشيء حتى إنها تعجَّبت بداخلها لمَ سألت؟! تنهدت بضيق، زفرت بقوة أنفاسًا ملأت صدرها، بالخوف والرهبة والألم، اَستعادها بمشاكستها...

- غير أنني أرغب أن أنول تلك الشهرة، الَّتي لم ينُلها **"رشدي"** بك.

فخرجت منها ضحكة متألمة وهي تهزُّ رأسها، ظلَّ يسرق ضحكاتها رغمًا عنها بمزاحه عن رد فعل **"رشدي"** وفزعه الشديد منها.

بصباح اليوم التالي وقبل أن تعلن الساعة عن تمام العاشرة بقليل، كان يركض لاهثًا داخل طرقات دار الغد! وصل مكتب **"جميلة"** الَّتي وصلت هي الأخرى للتو، والَّتي أوقفته عن الحديث وهي تُشير إليه ليلتقط أنفاسه أوَّلًا، توقَّف **"أحمد"** لحظة ثُمَّ هتف بدهشة ملأت صوته...

- لقد قُتل **"رشدي همام"**!

تساءلت "**جميلة**" بعدم فهم...

- ومن هو "**رشدي همام**" تحديدًا؟

- إنه المحامي الخاص بـ"**شهد**" قاتلة "**العليمي**".

جلست بمقعدها، ولا يكاد يرفُّ لها طرف...

- متى حدث هذا؟

- علمت الخبر منذ أقل من ساعة، يبدو أنه قُتل اللَّيلة الماضية.

- كيف عرفت؟

- لست وحدك من يمتلك مصادرًا وسط رجال "**شريف الزَّهَّار**".

- وما علاقة "**شريف**" بتلك القضية؟

- أعتقد غير أنها داخل دائرة اختصاصه، كونه محامي "**شهد**" هذا سبب كافٍ له.

- أتعتقد أنها...

- ماذا؟ أنها من قتلته؟

تساءل بها وهو يحكُّ لحيته، أمالت رأسها وهي تُردد...

- ربَّما... فهي تمتلك جرأة لم أرَها سابقًا.

صمتت لحظة وقد عادت تهزُّ رأسها نفيًا...

- لا، لا أعتقد ذلك... تلك الَّتي رأيناها بالمشفى لا تبدو كقاتلة لي!

- إن لم تكن هي؟ فمن قتله؟

تساءل بها بتعجب، نظرت نحوه "**جميلة**" بنظرة يعرفها جيدًا...

- أعتقد أنه سؤال يستحق أن نفتش خلف إجابته! والآن أخبرني ما الَّذي وصلت إليه بخصوص الفتاة الأخرى الَّتي هربت معها؟

اعتدل بجلسته وقد شابك ساعديه...

- لا شيء عنها.

- كيف ذلك؟!

هتفت بها بدهشة، ليهزَّ رأسه بتعجب...

- ليس الكثير... اسمها "**ريهام علي حامد**"، متهمة بقضية سرقة، حُكم ضدها بالسجن المُشدَّد تسع سنوات، لديها ملف جنائي بقضايا تزوير، والداها توفيا وهي صغيرة، تنقلت بين منازل أقاربها، حتى استقرت ببيت عمِّها، والَّذي هربت منه منذ أربع سنوات ولا أحد يعلم عنها شيئًا من وقتها، المكان الوحيد الَّذي اهتدوا إليه هو ملهى ليلي كانت تتردَّد عليه لمقابلة زبائنها، والشرطة بالفعل تطوِّقه وتُراقب بعض العاملين به ترقُّبًا لظهورها.

- ربَّما لدى "**شريف**" معلومات أكثر! أو طريقة ليصل إليها!

- هذه المعلومات من ملفها لدى "**شريف الزَّهَّار**"، وقد كلف ضابط آخر بالقبض عليها، ولديهم أمل بأنهما ما زالتا معًا، وبأي حال فـ"**شهد**" هي الصيد الأهم لديه، فهي قاتلة "**العليمي**".

- كيف لهؤلاء الفتيات أن يُفضِّلن حياة كتلك على حياة أسرية هادئة؟ فتلك حتى ليست حياة ليخترنها!

تعجبت بها "**جميلة**" بنظرة غاضبة، ليُقطب حاجبه بسخرية حانقة...

- أتعتقدين أن أحدًا يُفضِّل حياة كتلك؟ أنتِ مخطئة يا صديقتي، تلك حياة يُجبرن عليها لا يخترنها، إن كان لديهنَّ من يحنو عليهنَّ لما وصلن إلى ما هُنَّ عليه الآن يا "**جميلة**".

تنهدت وهي تهزُّ رأسها مؤكدة كلامه.

***

بالحادية عشرة قبل الظهيرة، كان طرق باب شقَّة "**لُولا**" يُشابه رعدًا انتفض بالسماء، انتفضت ثلاثتهنَّ وكادت تتوقَّف قلوبهنَّ، لم يُهدِّئها سوى صوت "**جلال**" الَّذي جاءهنَّ من خلف الطرقات ورنين الجرس المتواصل، ركضت "**لُولا**" تفتح له الباب، كان يصرخ ولهاثه يسبقه...

- أين "**شهد**"؟

حين وصل بهو الاستقبال، والعيون قبل لسان **"لُولا"** تصرخ...

- ما الَّذي حدث؟

جاءت هنا إجابته صادمة للاثنتين لكن لـ**"شهد"** كانت كالصاعقة...

- **"رشدي همام"**... وجدوه مقتولًا بشقته هذا الصباح.

تصلبت الدماء بالعروق، تباعدت أنفاس **"شهد"**، خرَّت جالسة إلى الأريكة خلفها، عينها عُلِّقت بعين **"جلال"**، شاخصة في الفراغ خارج حدود كلِّ شيء، جلست **"ريري"** بجوارها، أمسكت بيدها وهي تتساءل...

- كيف حدث هذا؟

جلس **"جلال"** بالكرسي المقابل لهما، و**"لُولا"** إلى ساعد كرسيه...

- كنت بالمحكمة، حين سمعت الجميع يتحدث عن خبر قتله، وجدوا جثته محترقة بمكتبه.

أعادت تلك الكلمات الأخيرة **"شهد"** بقوة، فغر لها فمها قبل عينها، و**"جلال"** يبادلها ذات النظرة، لتتساءل **"لُولا"**...

- هذا يعني أنه قُتل بعد أن غادرتما؟

أسدل السكون ستائره حول أربعتهم، والضجيج بكلٍّ منهم حطَّم كلَّ ما في طريقه، لكن لـ**"شهد"** كان كافيًا ليُوقظ مدينة الأموات، انهمر بعقلها ألف سؤال وسؤال!

بتمام الواحدة بعد الظهر، كان **"شريف"** يجلس بمكتبه، يُمعن النظر بتلك الصور الَّتي التقطها رجال المعمل الجنائي لشقَّة **"رشدي"**، فلم تحترق جميعها، الجزء الخاص بالمكتب فقط، وسيطروا على باقي الحريق قبل أن ينتشر، استوقفته صورة لمبلغ كبير من المال وُجِد بحقيبة أسفل سريره! وعقله يتساءل - «كيف لمحام بمستواه المُتردِّي الحصول على مبلغ كهذا؟! غير أن ما جمعه من تحريات حتى الآن كان سببًا في زيادة الشَّكِّ بداخله، ربَّما **"شهد"** على صلة وثيقة به، فربَّما هو ليس مجرَّد محام بل شريك لها، وربَّما تلك الجريمة لا علاقة لها بها وإلا ما تركت تلك الأموال خلفها». أعاده من تدافع أفكاره صوت طرقات الباب فأجاب بالدخول، ليجد أمامه عسكريًا وبيده مُغلَّف وضعه

أمامه على المكتب...

- لقد وصل هذا المُغلَّف وعليه اسمك يا "**شريف**" بك.

- من الَّذي جاء به؟

- شخص سلمه عند الباب الخارجي باسم سيادتك.

أمسك بالمُغلَّف وكان مُغلقًا بإحكام، فتحه ليجد به شيئًا واحدًا فقط، أسطوانة صغيرة! قطب حاجبه بتعجب، قام بفتحها على جهاز الحاسوب أمامه، لتجحظ عيناه بقوة لما سمعته أذناه! أوقف الأسطوانة، رفع سماعة هاتفه ليطلب من "**سمير**" الحضور إلى مكتبه في الحال!

لحظات وفتح "**سمير**" الباب بعد الطرقة الأولى، أشار له بعدم الحديث؛ فجلس والدَّهشة تفيض به! أدار "**شريف**" الأسطوانة ثانيةً لتبدأ من جديد ببثِّ صوت "**شهد**" و"**رشدي**" وسط ذهول "**سمير**"، ولم يكن "**شريف**" يقلُّ عنه ذهولًا رغم أنه أعادها أكثر من مرَّة - «كيف الحال محاميّ العزيز... ماذا تريدين يا "**شهد**"؟ جلبت لي حكمًا بالإعدام ولا آتي بنفسي لشكرك! بكلِّ الأحوال سأُعدم مرَّة واحدة وإن قتلت ألف... رائحة الكيروسين شيء يصعب نسيانه... أرجوكِ... لا تفعلي... أرجوكِ... لا تقتليني... لقد أخطأت بحقك... أتعلم لماذا؟ لأنني سأقتلك أوَّلًا». توقَّفت الأسطوانة وسط سكونهما، حين بدأ كلاهما يتجاوز فرط دهشته ليتلعثم "**سمير**"...

- هذا يعني أنها...

- قتلته! نعم هي من قتلته، كنت أشُكُّ بها والآن تأكَّدت.

تحرَّك من خلف مكتبه، شرد "**سمير**" لحظات ثُمَّ هبَّ واقفًا واتَّجه خلف المكتب! أعاد التشغيل مرَّة ثانية، ابتسم "**شريف**" من جانبه فلقد مر بتلك اللحظة من قبله، أو هكذا اعتقد، إلا أن "**سمير**" أعاده لسبب آخر! ثُمَّ أعاده ثالثة! حينها علا التَّعجب وجه "**شريف**" وخاصة مع هذا الاهتمام الَّذي ارتسم بكلِّ ذرةٍ بوجه "**سمير**"! بعدما انتهى التسجيل هتف بصوت واثق...

- ربَّما لست خبيرًا لكنني أوقن أن هذا التسجيل مُجزأ.

تساءلت عينا "**شريف**"، فبادره وهو يهمُّ واقفًا...

– إن الحديث ليس جزءًا واحدًا كاملًا! قُطعت منه أجزاء بعينها، ودُمجت الباقية معًا في تلك الأسطوانة.

قطب حاجبه...

– وما الفرق؟ لقد كانت هناك... وقتلته، أنت سمعت هذا بأذنك.

صمت "**سمير**" وهو يتَّجه نحوه، يحكُّ مُؤخِّرة رأسه، وبعينه شيء يود قوله، زفر "**شريف**" فهو يعلم تلك النظرة...

– هيا... قُل ما تريده؟

تبسَّم "**سمير**"، جلس بجانب المكتب، وجلس "**شريف**" مقابله...

– لنقل أن هذا التسجيل حقيقي، وأنني مخطئ رغم ضعف هذا الاحتمال، وليس هناك من تلاعب بالأصوات، وأن "**شهد**" كانت بمنزل "**رشدي**" وبنظريتك قتلته، فمن كان حاضرًا ليسجله من الأساس؟! وأيضًا يرسله إلينا! وإذا كنت أنا مُحقًّا فلماذا تمَّ تقطيعه إن كانت هناك وقتلته؟ ما الَّذي كان به ولا يريدنا من أرسله أن نعلمه؟

أخذت كلمات "**سمير**" تموج بعقله، تُزيد قلقًا يعتمل بصدره، فيشعر بأن هناك شيئًا ليس بموضعه الصحيح، تلك الأموال وراءها شيء! أبدى عدم اهتمامه! وهمَّ واقفًا...

– وإن يكن، هذا لا ينفي أنها قاتلة، وهذا التسجيل أكبر دليل على ذلك! فقد كانت هناك وتهديدها صريح، أي شيء آخر مجرَّد كماليات، لا تُغيِّر شيئًا من الحقيقة.

استند إلى المكتب بكلتا يديه، وبعين ثابتة بعين "**سمير**" ونبرة غروره المعتادة...

– هي قتلت "**العليمي**"، وخططت للهروب من عربة الترحيلات، وقتلت "**رشدي**"، وفارَّة مطلوبة لتنفيذ حكم بالإعدام، تلك هي الحقيقة الوحيدة عنها.

استغرق "**سمير**" بهذا الكره بعينه وهو يتحدث عنها! لم يقاطعهما سوى طرقات على الباب، أعطى العسكري "**شريف**" بطاقة تعارف صغيرة! زفر بقوة حين قرأ الاسم المكتوب فوقها! بعد أن هبَّ في العسكري وطلب منه الإلقاء بصاحبة البطاقة في أوَّل مُستنقع للتماسيح إن وجد! هكذا قد سمعته خارجًا وزاد ضيقها منه؛ فتقدَّمت خطوات راحلة ليوقفها العسكري! أخبرها بأن "**شريف**" يريد رؤيتها! وحين رفضت أصرَّ على دخولها، تسلَّل إلى قلب "**جميلة**" الخوف إلا أنها أبطنته، كانت عازمة على أن تُلقنه

درسًا في الذوق! ليُقابلها أمام الباب ويُرحب بها بشدة أثارت دهشتها وأسكتتها! وما جعل نبضاتها كادت تتوقَّف، ابتسامته لها وحفاوته الشديدة بها! لم تقل دهشة "**سمير**" عن دهشة "**جميلة**" في شيء! ما هذا الانقلاب؟! جلست وعقلها يهمس لها بأنه أُصيب بجنون مفاجئ! وزادها "**شريف**" غرقًا ببحور الدَّهشة! حين بادرها وما زال قناع ابتسامته يعتليه....

- لدي عرض لكِ، لن تتمكني من رفضه.

رفعت حاجبها وهتف عقلها بسخرية - «أهو بخصوص مستنقع التماسيح!» وعينها تتساءل - «أي عرضٍ سيأتي من خلف رجل كهذا؟!»

بينما "**شريف**" يرمقها بنظرة رضا ليس عن وجودها بل عن الطُّعم الَّذي سيُلقيه من خلالها! فلقد أوحت له بفكرة تستحق المجازفة، فتلك جولة جديدة، سيربحها مهما حدث، فـ"**جميلة**" أفضل الطرق لديه للإلقاء بعظمة، يُوقن أنها ستلتقطها، فإن صدق "**سمير**" فهناك باللعبة أطراف جديدة، وهذا ما بات يستشعره بقوة رغمًا عنه، خاصة بظهور الشريط وتلك الأموال، فإن كانت قتلته لما خلفتها وراءها! فلا بأس ببعض التحفيز المُضاعف بأنه ابتلع الطُّعم! وإن لم يكن، فستصل حيث هدفها الَّذي يبتغيه!

الخامس

المُواجهة

بعد منتصف اللَّيل بقليل كان بعيادته، يقف بمطبخها الصغير يُعد فنجانًا من القهوة، وعاد إلى حجرة مكتبه، حاملًا إياه بحرص وعقله يُحادثه بسخرية - «إياك أن تفسد وجهها يا أحمق، فلا شيء بالكون يُعادل تلك الرشفة الأولى، لفنجان قهوة مُتقن الصنع». ليفاجأ بـ"**شهد**" تتَّكئ إلى حافة مكتبه، تنظر نحوه بشبح ابتسامة من جانبها، أجفل للحظة، اهتزَّ الفنجان بين أصابعه، كادت تضيع معه رشفته المفضلة...

- إن استمررتِ على هذه الطريقة... ستصيبينني بأزمة قلبية.

تبسَّمت بضيق...

- لا تقلق فعمرك ما زال يهمُّني.

جلس خلف مكتبه، يستمتع بتلك الرَّشفة من قهوته...

- كيف حال الصداع؟

- تقريبًا لا يفارقني طوال الوقت.

- هذا أمر طبيعي.

تقدَّمت نحو النافذة، تُنحِّي ستارتها قليلًا، عينها مُعلَّقة بنجمة تضيء بسماء عالية تتسع لكون آخر، أمَّا صدرها هي فلم يعد يتسع لها! التفتت نحو "**رياض**" بضيق...

- متى سأتذكَّر؟

- أنتِ بالفعل تتذكَّرين.

أجابها بابتسامة، فرمقته بنظرة فهمها، اتَّكأ إلى مسند كرسيه...

- أنتِ تأخذين دواءك باستمرار، في مواعيده المُحددة؟

أمالت رأسها إيجابًا وما زالت هالة الحزن الممزوجة بالغضب تُغلِّفها، استطرد...

- «متى».. هذا شيء لا يمكنني تحديده يا **"شهد"**، وقد أخبرتك ذلك منذ البداية، لكن أنتِ لديكِ استجابة كبيرة للعلاج، أنتِ تختلفين عن الحالات الَّتي تعاملت معها سابقًا، رغم أن فقدان الذاكرة لا يؤذي مستوى الذكاء، أو الثقافة العامة، أو الإدراك، أو الشخصية والهوية الفردية، فإن الكثير من المرضى يتأثرون من كافة الجوانب، تحت ضغط الاضطراب وسوء الحالة النفسية، وعدم التكيف مع وضعهم الجديد، أمَّا أنتِ فقد تخطيتِ الجزء الأسوأ بالسيطرة على عقلك من تلك الناحية، وأبديت تقدُّمًا في كافة اختبارات الانتباه والتركيز واستخلاص الاستنتاجات.

صمتت وهي تزفر بضيق يعتمل بصدرها، وقف واتَّجه نحوها...

- هل تذكَّرت أشياء جديدة في تلك الفترة؟

- أشياء كثيرة.

- هذا جيد.

قالها بابتسامة راضية، لتتحدث بنبرة يأس...

- لا أعتقد!

- جميعها بعيدة عن الحادث بالطبع، أكُلها عن ماضيكِ؟

أمالت رأسها إيجابًا، اتَّجه نحو النافذة، أزاح الستار عنها، ابتسم من جانبه...

- ربَّما أنتِ ترين أنه ليس تقدُّمًا، وأرى أنه أكثر من تقدُّم، أظلُّ عند رأيي بأنك حالة فريدة.

لم تقل شيئًا بل ظلَّت على يأسها وسكونها، تقدَّم منها، أمسك بيدها، وبابتسامته خطا بها نحو الأريكة ليُجلسها عليها، فجلست...

- كلُّ شيء سيكون بخير، كلُّ ما أريده منك الآن الاسترخاء، استرخي قدر الإمكان، واتركي العنان لكلِّ ما بكِ ليُحلق بسماء روحك يُفتِّش عنكِ.

أغمضت عينها، راحت روحها تركض خلف تلك الصور المتلاحقة برأسها كالفيضان؛ لعلها تظفر بشيء تأمله!

بالصباح التالي قرب التاسعة، استيقظت متعبة، لم تتوقَّف الصور والذكريات عن ملاحقتها طوال اللَّيل، أو بالأحرى ما بقي منه، كانت "**ريري**" بالمطبخ تعد طعام الإفطار، جلست إلى الأريكة، تتحسس رأسها المتألمة من فرط صراعها مع الصداع من جانب وكوابيسها من جانب آخر، رغم أنها استعادت الكثير من شتاتها بتلك الكوابيس والأحلام، فإن أكثره بعيد عما تريده! عزاؤها الوحيد أنه يتعلَّق بأختها والقليل عن والديها، اصطدمت يدها بالصحيفة جانبها فوق الأريكة، لتقع عينها على اسم الغد المشرق يتوسط المقدمة، أمسكت بها وهي تُلقي بها فوق الطاولة أمامها، لتصطدم عينها بصورتها على الصفحة الرئيسية! أمسكت الصحيفة باهتمام، لتتسع عيناها عن آخرهما! وهي تمر على العنوان الرئيسي - مقتل "**رشدي همام**" المحامي على يد قاتلة رجل الأعمال "**باهر العليمي**". أخذت عينها تجري على تفاصيل الخبر، الَّذي نشر جزءًا من التسجيل الخاص بها و"**رشدي**"! وتفاصيل أخرى عن توعدها قتله أثناء المحاكمة! وعن كونها إحدى أعضاء عصابات المافيا الَّتي يجب إبادتها، وإعدامها ألف مرَّة لخطورتها على الأمن العام! وعن سجل إجرامي حافل بالقضايا الَّتي أُدينت بها! انتهت عينها بصورة صغيرة خُطَّ تحتها اسم "**جميلة الأسواني**"، ظلَّت مُمسكة بالصحيفة وعقلها يضمر الحنق لكلِّ ما حولها في تلك اللحظة، ربَّما لا تتذكَّر ما حدث بفيلا "**العليمي**" إلا أنها تتذكَّر جيدًا ما حدث بمنزل "**رشدي**" وتلك الجريمة لم ترتكبها! لكن السؤال الَّذي استحوذ على عقلها في تلك اللحظة، ليس من هو قاتل "**رشدي**" لأنها تقريبًا تعلم الإجابة عن هذا السؤال، إن لم تكن متأكِّدة، فمن غير صاحب العقرب فعلها؟! لكن السؤال الأهم بالنسبة إليها، من أين ظهر التسجيل؟ التسجيل الوحيد كان بحوزتها! حتى "**جلال**" لم يمسه! عادت لغرفتها، أمسكت بملف القضية والتسجيل الَّذي حصلت عليه من "**رشدي**"، وبعض الأوراق الَّتي دوَّنت بها الملاحظات الَّتي سهرت الليالي الماضية تستخلصها من هذا الملف بين يديها، وضعتهم جميعًا أمامها على المكتب وبجوارهم الصحيفة، عقلها يمتلئ بألف فكرة وفكرة، وجميعها تندفع في آنٍ واحدٍ وباتِّجاهٍ واحد!

فتحت "**ريري**" الباب لتخبرها بأنها أعدت الطعام، وجدتها على تلك الحال لتقترب منها، تراها مُستغرقة بتلك الأوراق أمامها، نظرت للصحيفة، الَّتي سبق ووقعت عينها عليها صباحًا فلم تقل شيئًا، تراها غارقة بألمها الساكن إلى هذا الحد، إلا أنها حاولت استعادتها...

- ما الَّذي تفكرين به الآن؟

رفعت عينها نحوها، قطبت حاجبها بنظرة هتفت لها **"ريري"**...

- كم أكره تلك النظرة، فدومًا يليها شيء يُخيفُني!

على الجانب الآخر كان يجلس إلى مكتبه يُنظف مُسدَّسه الَّذي كان مُفككًا أمامه، وعينه تعبر تفاصيل خبر قتل **"رشدي"** بصحيفة الغد، تعتليه نظرات الرضا عن ذاته! يشعر بطرب يملأ داخله لتفوقه على الجميع! ليس فقط هي، لكن على الشرطة، فهذا هو الصيد الأحق بالفرحة، فلقد بات يوجههم حيثما يريد! وها هي الآن كما الفأر المُحاصر، فلم تعد مطلوبة لجريمة قتل بل لاثنتين، كان يزداد رضا **"سعد"** عن نفسه مع كلِّ حرفٍ يقرأه خاصة أنه كان مُحقًّا حينما وضع جهاز تنصت بمكتب **"رشدي"** منذ هربت. ورغم أن احتمال ذهابها إليه كان ضعيفًا، فإنه لم يشأ أن يترك شيئًا للصدفة! وقد صدق، ولحسن حظه أنه قتله بنفس الطريقة الَّتي هددته **"شهد"** بها، كما قصها له **"رشدي"**، بعدما أفقده وعيه وقيده إلى ذات الكرسي، ربَّما كان خطؤه الوحيد أنه غادر قبلما يستمع إلى التسجيل ويعلم ما الَّذي أخبرها به الأحمق، وذاك التسجيل الَّذي كان يمتلكه لمقابلتهما بالمقطم، فيبدو أن **"رشدي"** كان له بضعة مخططات خاصة، لكنه لم يهتم لحظتها لأن مسألة قتله كانت محسومة منذ البداية، مجرَّد بيدق آخر أُزيل من فوق الطاولة، لكن لا بأس فقد تدارك هفوته سريعًا بتلاعبه بشريط التسجيل، وإرساله إلى **"شريف"** كي يتأكَّد أنه لن يمنحها مُتنفسًا للدفاع أو حتى الحديث، ومقابلتهما بالمقطم لا تدينه بشيء واضح، بقي لديه شيء واحد يؤرِّقه.. فمن هو صاحب الصوت الآخر على الشريط؟ يرى أنها قد نالت بعض المساعدة، لكن لا بأس فبعد جريمتي قتل لن تذهب بعيدًا، فما زال لديه الوقت لتصحيح كلِّ شيءٍ والتَّخلُّص من عثرته الصغيرة!

بالتاسعة والنصف صباحًا، اقتحمت **"جميلة"** مكتب مدير تحرير الجريدة دون استئذان! كان الغضب ينتفض بحدقتيها والجريدة تتكوم بيدها، هبَّ مدير التحرير واقفًا بعدما فاجأه اقتحامها مكتبه! عندما رآها على تلك الحال، أمر من كان يجلس معه بالانصراف، وقفت ثابتة حتى غادر الآخر وأغلق الباب، انفجرت بوجهه وهي تلوِّح بالجريدة...

- من الَّذي تلاعب بالمقال الخاص بي؟

نظر نحوها بهدوء فاتر زاد من غضبها، جلس بكرسيه وهو يحكُّ ذقنه...

– لمَ أنتِ غاضبة إلى هذا الحد؟ من المفترض أن تسعدي! فقد احتل موضوعك الصفحةَ الأولَى، وهذا شيء نادر مع الصحفيين الصغار.

ألقت الصحيفة فوق المكتب، انحنت نحوه...

– هذا إن كان حقًا موضوعي! لكنكم تلاعبتم به، بترتم الموضوع الأساسي وتم وضع كلام أنا لم أكتبه! أنا لم أكتب أنها إحدى أعضاء المافيا، ويجب إعدامها ألف مرَّة، أنا لم أكتب كلَّ تلك الأكاذيب عن حياتها الإجرامية السَّابقة!

– لم أستطع نشر موضوعك على حاله الأساسي، أنت متعاطفةٌ بشكلٍ واضح مع قاتلة! غير أنك تؤوِّلين الجريمة الثانية لدوافع غير حقيقية، أنتِ تهذين عن وجود شخص آخر بالجريمةَ! تُشكِّكين حول ارتكابها الجريمة الأولى والثانية، تهتمِّين كثيرًا بتقاريرها الطبية، كأنكِ تطلبين من الرأي العام التعاطف مع قاتلة!

قالها ببرود زاد سُخطها، ليزداد حنقها...

– هذه هي الحقيقة، كلُّ أدلة الشرطة ناقصة، وهناك أسئلة كثيرة حول الجريمتين...

– هذا لا يهمني... وليس عملي... كلُّ ما يهمني هو ارتفاع نسبة المبيعات.

قاطعها بغضب بدأ يتسلل لصوته، أمسك بالصحيفة وهو يشير لعنوانها الرئيسي...

– هذا هو ما سيرفع مبيعاتنا، وليس تعاطفك مع قاتلة، أو حتى الحقيقة الحمقاء الَّتي تركضين خلفها، تلك المؤامرة الوهمية لا تهم أحدًا، ولا توضع بالصفحة الرئيسية يا أستاذة، تلك الحقيقة الوحيدة الَّتي تضعك بالصفحة الأولى وليس غيرها.

– وأنا لا أريد حقيقتكم الكاذبة.

صرخت بها بوجهه بكلِّ ما يعتمل بصدرها، وقبل أن تكمل حرفًا آخر، هتف...

– لأجل والدك فقط سأتغاضى عن تصرفك... إلى مكتبك الآن.

خرجت وصفعت الباب خلفها، بعد أن رمقته بنظرة امتعاض، فقد صغر بعينها أضعاف ما كان عليه سابقًا، كانت تعلم بأنه لا يمتلك الكثير من الأخلاق لكن ليس إلى هذا الحد!

بعد منتصف اللَّيل كانت تقف بشرفة عيادة **"رياض"**، تنظر خارجًا شاردة! تلاحق عينها نجمة تسبح بسماء صافية، استعادها وهو يعطيها كوبًا من العصير...

- ما بكِ يا **"شهد"**؟

- تعبت من كلِّ هذه الفوضى.

تنهدت بها، ابتسم لها...

- اعتقدت أن لديكِ نفسًا أطول من ذلك، أعتقد أن الأمر يتعلَّق بمسألة قتل المحامي؟

- أنا متأكِّدة أن صاحب الوشم هو من قتله.

- ما من أحد لديه مصلحة من موته الآن غيره، وهذا يؤكد بأنه يجب أن تحترسي أكثر.

أمال بها رأسه تأكيدًا، وزادت بسمته وهو يشير لشعرها...

- تعجبني قَصَّة شعرك الجديدة، ولونه أيضًا يناسبك تمامًا، أرى أن مظهرك الجديد تنكُّر بموضعه، سيُسهِّل عليكِ التنقل قليلًا.

أمالت رأسها بابتسامة، وعقلها يُخاطبها - «اشكري **"لُولا"** فهي صاحبة الفكرة ومن نفذتها»، عادت وتنهدت بضيق...

- أشعر بأن كلَّ شيءٍ ناقص، ولا يوجد شيء بمكانه الصحيح.

- هذا طبيعي، شعورك بنقص ذاكرتك يجعل كلَّ شيءٍ ناقصًا، لكنك بالفعل بدأتِ تتذكَّرين الكثير والصورة قاربت على الاكتمال.

- إلا أنها ليست الصورة الَّتي أبحث عنها، لا شيء يخصُّ تلك اللَّيلة.

اتَّجه نحو المكتب، جلس إلى كرسيه، أمسك بقلمٍ وأخذ يُحرِّكه على غير هدى...

- دعيني أخبرك شيئًا عن الذاكرة، هي ليست بالحقيقة جزءًا واحدًا، فهناك ثلاثة أجزاء منها... الذاكرة قصيرة الأمد وهي عبارة عن الذاكرة المؤقتة، فعلى سبيل المثال، قد نبحث عن رقم في دليل الهاتف ثُمَّ ننساه بعد الاتصال به، بمعنى آخر، بمجرَّد أن ننتهي من استعمال المعلومات، ننساها تمامًا، كأنها لم تكن موجودة، وهناك الذاكرة القريبة وهي ذاكرة تحفظ الماضي القريب، مثلًا ماذا أكلت في فطورك اليوم، أو ماذا

ارتديت من ملابس بالأمس، أو بأي موضوع تحدثتِ مع صديق على الهاتف منذ أسبوع، وهناك الذاكرة البعيدة الأمد وهي ذاكرة تحفظ الماضي البعيد، كذكريات الطفولة، وهذه سليمة ومتعافية تمامًا، وهذا واضح من استعادتك لأكثر ذكريات طفولتك؛ لذا نحن الآن نفتش عن الذاكرتين الأخريين، وهذا ليس بالشيء الهين.

أمالت رأسها بعدم استيعاب، رفع "**رياض**" حاجبه بجدية...

– لنقل أن الحادثة بالنسبة لك هي الخط الفاصل، النقطة الَّتي انقلبت عندها حياتك، وليس من السهل أن تعودي إليها، كما الدوَّامة الَّتي سحبت كلَّ ما قبلها داخلها، وكلُّ ما نحاوله الآن هو سحب تلك الذكريات إلى خارجها؛ لذلك نبدأ بسحب آخر طرف من الخيط، من الأبعد إلى الأقرب، بعض الذكريات غير المُتمسِّكة جيدًا ستسقط منا، لكن الأغلبية ستظلُّ وستعود إليكِ، لكن الدوامة بحد ذاتها...

صمت لحظة مترددًا، اقتربت "**شهد**" من المكتب وهي تنحني فوقه....

– ماذا؟

– لن أكذب عليكِ، ربَّما لا يمكنك الاقتراب منها، فهي آخر ما تكون لديكِ، لحظة الانقلاب، وقد يكون من المستحيل أن يظلَّ هذا الجزء مُتمسِّكًا بالخيط.

خبطت المكتب بكلتا يديها بضيق وغضب...

– لا أرغب في أن أتذكَّر سواها، أتنازل عن كلِّ الماضي والمستقبل في مقابل تلك اللَّيلة!

هم واقفًا وهو يُمعن النظر بها ويتجه نحوها...

– كلَّا... كلُّ ما ترغبين به هو لحظة واحدة من تلك اللَّيلة، تلك اللحظة الَّتي قُتل بها "**العليمي**".

أمسك بيدها وهو يمعن النظر بعينها...

– أن تتأكَّدي إن كانت تلك اليد هي الَّتي ضغطت الزناد أم لا!

شردت لحظة وقد تعلَّقت عينها بيدها ثُمَّ فغرت فاهها قبل عينها! وصور متلاحقة تسري كشريط أمامها، لحظة إفاقتها الأولى، حين كانت بالحبس، لحظة عراكها، لحظة رفعت المُسدَّس بوجه "**رياض**" للمرَّة الأولى، لحظات كثيرة إلا أنها محددة، معنية بشيء واحد! ابتسمت فجأة والابتسامة تحولت إلى صرخة فرحة...

– أنت مُحق، أنت عبقري، أنت أعظم طبيب في التاريخ!

– ماذا؟ ما بكِ؟

– ذكِّرني أن أتزوجك.

راحت تقفز فرحًا كالطفلة الصغيرة، ثُمَّ وثبت خارجًا، و"**رياض**" ما زال واقفًا مكانه تجتاحه الدَّهشة من رد فعلها الغريب، عقله يسأله ماذا حدث؟!

بصباح اليوم التالي، كان يقف بشرفة مكتبه، ينظر نحو الشمس الساطعة وبقلبه نار لا تقل عنها وهجًا، وهو يصرخ بغضب...

– لم يكن هذا اتفاقنا يا "**كامل**"!

راح "**كامل**" يرسم ابتسامته الباردة المعتادة...

– "**صادق**" بك، أخبرتك أن كلَّ شيءٍ سيكون على خير ما يرام.

– أحمق، لا شيء على ما يرام، تلك الأرض هي ما جعلت بيننا الصفقة منذ البداية، إن لم أعثر على تلك الأوراق، فلا فائدة من كلِّ هذه الفوضى الَّتي سببتها بحماقتك.

هتف بها "**صادق**" وهو يلتفت نحوه والغضب يركض بوجهه، أحنى "**كامل**" رأسه...

– تلك الأرض لك، لا شيء سيغير هذا، وموت "**العليمي**" كان نافعًا للجميع، وإلا ما كنت لتحلم بالحصول على تلك الأرض الجديدة، تحت أي ظرف من الظروف.

جلس "**صادق**" إلى مكتبه وهو ينظر نحوه بامتعاض...

– لا يهمني ما لم أحصل عليه بعد، بل يهمني ما بين يدي الآن! وهذا خطؤك وإن لم تنهِ هذه المهزلة بالقريب العاجل لن يكون جيدًا لك، أفهمت؟!

أمال رأسه إيجابًا وهو يتصنَّع ابتسامته، التفت نحو الباب لينزع عن وجهه تلك الابتسامة المزعجة، وتتراقص نظراته الغاضبة بوجهه!

في تمام الحادية عشرة والنصف قبل منتصف اللَّيل، دلف إلى منزله وهو مُتعب

وتكاد عينه تُغلق من شدة الإرهاق، خلع حذاءه ونزع سترته، ألقى بها إلى جانب الكرسي بالاستقبال، نزع "**شريف**" غمد مُسدَّسه والأصفاد ووضعهم فوق الطاولة بجواره، تمدد فوق الأريكة لا يكاد يشعر بكلِّ ذرةٍ به، أُغمضت عيناه رغمًا عنه في هدوء وسلام، لم يدم سوى دقائق! حين شعر بشيءٍ يوخز قدمه فتح عينيه بين الإفاقة والسكر، ليجد شخصًا مُلثَّمًا يقف أمامه وبيده مُسدَّس موجهًا فُوَّهته نحوه! وكأوَّل رد فعل لضابط، امتدت يده للطاولة بجانبه لمُسدَّسه الَّذي تركه منذ دقائق، لكن أنامله عانقت الفراغ! لاح له صاحب اللِّثام بمُسدَّسه بيده الأخرى، وضع المُسدَّس الَّذي كان يحمله بخصره، أمسك بمُسدَّس "**شريف**" ووجَّهه نحوه، أشار له بأن يعتدل في مجلسه ففعل بامتعاض، أشار له بوضع يده على الطاولة ففعل، ألقى إليه بالأصفاد وأشار له بالمُسدَّس أن يُوثق نفسه إلى أسطوانة معدنية تلف طاولته بشكلٍ جمالي، ربَّما لم تكن بالقوة الكافية لاحتجازه! إلا أنها كانت كافية لاحتجاز يديه إلى الطاولة حيثٍ يمكن رؤيتهما، خضع تحت تهديد السلاح الموجه إلى رأسه، وبعد أن فرغ من تنفيذ ما أُملي عليه تساءل بغضب...

- من أنت؟ وما الَّذي تريده؟

سحب كرسيًا من أمام طاولة الطعام، وضعه أمام "**شريف**" على الطرف الآخر من الطاولة الموثق إليها، جلس وهو ينزع اللِّثام، وبصوت صدمه حد السكوت...

- لا أعتقد أنه مر وقت طويل يا "**شريف**" بك، أم أنك أُصبت بفقدان ذاكرة مثلي؟!

ظلَّ "**شريف**" لحظات مشدوهًا! فغر عينيه وفمه، اعتقد لوهلة أنه لم يعد من نومه! عالق بحلم بها! بل أن كابوسها راح يطارده بنومه كما صحوه، أنها ليست هنا وتجلس أمامه موجهة فُوَّهة مُسدَّسه إلى رأسه! أغمض عينيه ثُمَّ فتحهما لمرَّتين مُتتاليتين لا إراديًا، ربَّما جرأة قدومها إليه كانت أكبر من استيعابه، ربَّما تكون حقًا فاقدة للذاكرة كما تدعي، إلا أنها باتت فاقدة لعقلها بالكامل لتأتي حتى منزله وتهدده. هكذا همس له عقله الحانق، حاول السيطرة على دهشته الغاضبة فبالنهاية، وصلتها رسالته، وقد تلقت دعوته، إلا أن المكان هو ما فاق توقعاته! لملم أفكاره المشدوهة وراح يتلعثم...

- "**شهد**"!

أمالت رأسها لتؤكد أنه بكامل وعيه، وأنها حاضرة أمامه، ليهتف بها وما زالت نظرات التَّعجب تجتاح وجهه...

- كيف أتتكِ الجرأة لتأتي إلى هنا؟!

- ربَّما غلبني شوقي إليك، فلم أحتمل.

سخرت بها بحنق، وبنبرة تهديد منه ...

- لقد تخطيتِ كلَّ الحدود.

رفعت حاجبها، وبنبرةٍ أكثر هدوءًا زادته ضيقًا...

- يجب أن نتخطاها كي نعلم أنها كانت موجودة منذ البداية؛ فربَّما تلك الحدود ما هي إلا وهم، نضعه لإبقاء الآخرين خارجًا.

- ماذا تعتقدين أنكِ تفعلين يا "**شهد**"؟!

هدَّأ من نبرته أكثر، وبابتسامة غريبه ألقى بالطُّعم...

- حقًا تعتقدين أن الهروب هو الحل؟! مهما ابتعدتِ سأجدك كما وجدت أختك، وكما وجدت شريط التسجيل.

كزَّت أسنانها وهي ترمقه بنظرة من الجحيم، لِمَ أتى على ذكر أختها؟

- أنا لم أقتل أحدًا.

- أنتِ قتلتِ، وليس مرَّة واحدة، بل اثنتين.

- ولِمَ أنت واثق إلى هذا الحد؟

هتفت بغضب بدأ يتسلل إلى صوتها، أجابها بما يزيد عنها...

- ولِمَ أنتِ واثقة أنكِ لم تقتلي؟

- على الأقل أنا واثقة بأنني لم أقتل "**رشدي**"، رغم أنني أتمنى لو فعلت.

تسمَّرت العيون لحظات، يحاول كلٌّ منهما قراءة الآخر، دون فائدة! أخرجت من جيبها جهاز تسجيل صغير، راحت تعبث به لحظة ثُمَّ وضعته على الطاولة بينهما، تعلَّقت عينه به، بدأ يبثُّ الحوار الَّذي دار بشقَّة "**رشدي**"، لكن تلك المرَّة كان كاملًا ليس مبتورًا منه شيء، حتى صوت "**جلال**" كان هناك! ما لفت انتباهه بشدة، لكنه ظلَّ يستمع باهتمام عكس ما كان يحاول رسمه على وجهه، وأطرب داخله فقد حصل على ما يريد، اكتملت لديه القطعة الناقصة، ما لبث الشريط أن توقَّف؛ فنزعته، وقبل أن يتفوَّه بشيء، أشارت له بأن يصمت! وضعت آخر! كان يبثُّ صوت "**رشدي**" وشخص آخر! حول اتفاق

بأنه لن يحصل على باقي أمواله قبل أن يتم تنفيذ حكم الإعدام بها! وهنا لم يستطع السيطرة على ملامحه المشدوهة؛ فقد أوشكت الصورة برمتها على الاكتمال في رأسه وخاصة مسألة الأموال، ورغم هذا ما زال كبره يعتليه، ويتصنَّع لها الغباء، فهو يُوقن أنها هي القطعة الأكبر وحل اللغز برمته! مالت "**شهد**" نحوه، رفع طرف عينه لها...

- هذا ليس دليلًا على براءتك.

- لكنه دليل في صالحي! لِمَ يريدون قتلي إن كنت بالفعل قاتلة؟ غير أنه يبرئني من تهمة قتل "**رشدي**".

- ما الَّذي تحاولين الوصول إليه؟

- أخبرني أنت.

- لنقل أنني أصدق أنكِ لم تقتلي "**رشدي**"، وما زلت أشكُّ بهذا، لكنكِ قتلتِ "**العليمي**"، كلُّ الأدلة ضدك، كنتِ بالفيلا حين وصلنا، بصماتك تغطى سلاح الجريمة، ملابسك مُخضَّبة بدم القتيل، كلُّ شيءٍ يؤكد أنكِ الجاني، أنتِ القاتلة.

صرخ بتلك الأخيرة بوجهها بغضب يجتاحه، ظلَّت لحظة تنظر بعينه وهي تهزُّ رأسها بابتسامة يائسة من جانبها، عم السكون لحظات حولهما، وقفت خلف كرسيها ترتكز إليه بيديها، تتلاعب بمُسدَّسه، عينها بعينه، تتساءل بهدوء عاودها...

- كيف وصلت إلى مكان الجريمة يا "**شريف**" بك؟

- عفوًا!

قطب بها حاجبيه دهشةً، استرسلت...

- أوَلست أنت الضابط الَّذي ألقى القبض عليَّ بمكان الجريمة؟! فحسبما أذكر وصحح لي إن كنت مخطئة، أنت ورجالك أوَّل من وصل... أليس كذلك؟

ظلَّ على صمته لا يعلم ما الَّذي تحاول الوصول إليه، فلا يحتمل تشتيتًا جديدًا! لكنه يعلم أيضًا أنها العُقدة الَّتي تجمع جميع الخيوط معًا، وأن كلَّ معلومة لديها تساوي كنزًا لديه، أوَليست تلك المُقابلة ما كان يرجوه؟! استردَّته بنظرة مبتسمة...

- لن تخسر شيئًا إن جاريتني باللعبة، فربَّما تروقك، وتصل إلى ما تريد.

- ولِمَ لا؟! فبالفعل بدأت تروقني... نعم نحن أوَّل من وصل.

- كيف؟

هز كتفيه...

- تلقينا بلاغًا عن إطلاق أعيرة نارية داخل الفيلا.

- ربَّما أكون فاقدة للذاكرة لما حدث قبل وقوع الجريمة، لكنني أتذكَّر جيدًا أن ذلك المُسدَّس الَّذي استيقظت لأجده بيدي، والَّذي أكَّد المعمل الجنائي أنه السلاح المستخدم في ارتكاب الجريمة، والَّذي انطلقت منه ثلاثة أعيرة نارية، أودت بحياة المجنى عليه، بالحقيقة كان به عازل للصوت يا "**شريف**" بك!

تسمَّر عقله لحظات، كالَّذي ألقيت به داخل مُكعب ثلج دون سابق إنذار! توقَّفت عينه عن الحركة، رفع رأسه نحوها دون أن ينبس بحرف، فزادته...

- غير أن ذلك البلاغ الَّذي أتيت على ذكره، تمَّ الإبلاغ به تحديدًا عن دويّ أربعة أعيرة نارية، غير أنهم بالحقيقة كانوا ثلاثة فقط! وهذا ما أكَّده تقرير المعمل الجنائي، فلم يعثروا بداخل تلك الفيلا سوى على فارغ ثلاث طلقات فقط! وهي ذاتها الَّتي تمَّ استخراجها من الجثة، فهلَّا تخبرني أين اختفت الرابعة؟

حاول الخروج عن صمته، ومجاراة اللعبة الَّتي اكتشف للتو أنه ما زال يقف بأعتابها، فلم يطرق الباب بعد...

- ما الذ... ما الَّذي تقولينه أنتِ؟

- أقول ما كُتب بالتقارير الموجودة بدرج مكتبك يا "**شريف**" بك!

فغر عينه، حين اقتربت من الطاولة، انحنت قليلًا نحوه، مع حفظ مسافة تبعده عنها، زادته من الدَّهشة بحورًا...

- غير أن ذلك البلاغ تمَّ في الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة، وتقرير الطب الشرعي أكَّد أن الوفاة حدثت بين الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة وبين تمام الثانية عشرة، وأنت وصلت على ما أتذكَّر في الثانية عشرة وخمس عشرة دقيقة، فهلَّا أخبرتني أيها الضابط المخضرم كيف له أن يسمع دويَّ الأعيرة قبل أن يحدث؟! هذا إن تغاضينا عن عازل الصوت الَّذي لم يعزل شيئًا!

كانت الدَّهشة والحيرة تفيض بكلِّ تقاسيم عقله قبل وجهه، ظلَّ كثيرًا لا يعي وربَّما لا يفكر، تذكَّر أنه لم يُعِر أيًا من تلك التقارير اهتمامًا، فقط تأكيد بصماتها على سلاح الجريمة، غير ذلك لم يكن ذا أهمية! ولِمَ ولديه جريمة مُكتملة الأركان؟! نظر نحوها وهو يتساءل بتلعثم أفكاره الغارقة...

- كيف لكِ أنــ...

- أن أعلم كلَّ هذه المعلومات؟!

عادت لمجلسها إلى الكرسي، ما زالت تُطبق على المُسدَّس، وبهدوء مبتسمة...

- أخبرتك.. أنا فقط فعلت ما لم يكن لديك الوقت لفعله، اطَّلعت على ملف القضية المُلقى بدرج مكتبك كاملًا، بداية من البلاغ المقدم ومرورًا بتقرير المعمل الجنائي، وتقرير الطب الشرعي، وانتهاءً بمرافعة محاميَّ، وأعتقد أنني في النهاية استطعت فك طلاسم تلك الشعوذة كاملة، بالمناسبة.. من أبلغت عن الجريمة كانت امرأة! وهذا غريبٌ بعض الشيء بالنسبة لفيلا بمكان نائي!

زادت بسمتها الحانقة، وبنظرة شماتة باتت واضحة...

- لقد كان يقف أمامك بذلك المصعد.

أمال رأسه بعدم فهم، زادت بسمتها وهي ترفع حاجبها...

- إن لم تكن تنتبه فمن قتل **"رشدي"**، ويريدني فوق منصة الإعدام، هو صاحب وشم العقرب ورائحة الياسمين، الَّذي أوقفت له المصعد في المشفى.

اتَّسعت عينه بدهشة ألجمت صوته! عبر عقله شبح تلك الدقائق بالمصعد فكان لديه الوشم والرائحة كما وصفهما **"رشدي"**! وكان يقف بالممر هناك قريبًا من الغرفة، استعادته بصوت به نبرة وعيد وعين غاضبة...

- رجاءً أن تُزيد الحراسة على أختي؛ لأنني أعدك أنه لن يكون جيدًا لأحدٍ إن مسها مكروه.

همت واقفة، سحبت ملفًا من فوق طاولة الطعام، ألقت به فوق الطاولة أمامه بجوار شريطي التسجيل، تبسَّمت من جانبها...

- اعتبر تلك النسخة من ملف القضية، والتسجيلات، هدية، يمكنك الاحتفاظ

بكليهما، لكن تأكَّد تلك المرَّة أن تقرأ تلك الشعوذة بشكلٍ أفضل.

مالت نحوه وهي تمعن النظر بعينه بغضب تمالكته...

- دعني أخبرك سرًا يا "**شريف**" بك، صدِّق أو لا تصدِّق... أنا لم أقتل "**العليمي**"! هل تعلم لماذا؟

أشارت للملف أمامها وهي تُقطب حاجبها...

- لأن أوراقكم أكَّدت أن القاتل يستعمل يده اليمنى.

مالت نحوه وهي تهمس بنبرة واثقة وتُحرِّك مُسدَّسه بيدها اليُسرى...

- إن لم تكن تُلاحظ... فأنا عَسْرَاءُ!

جحظت عينا "**شريف**" عن آخرهما، همَّت معتدلة، وضعت مُسدَّسه فوق الكرسي ووضعت الرصاصات بجانبه، فزاد ذهوله بحرًا أغرقه فقد كان المُسدَّس فارغًا منذ البداية! غمزت له وهي تلف اللِّثام حول وجهها ثانية...

- حتى نلتقي بالمرَّة القادمة يا "**شريف**" بك.

خرج عن صمته وبنظرة وعيد لها أربكتها من الداخل...

- مهما اتَّسعت الأرض سأجعلها لكِ أضيق من ثُقب إبرة... تأكَّدي من ذلك.

انتفض داخلها، رفعت حاجبها دون مُبالاة مُصطنعة، ألقت بمفاتيح الأصفاد على مقربة منه، اتَّجهت نحو المطبخ واختفت، بعد عدة محاولات للوصول إلى المفاتيح استطاع الحصول عليها، أمسك بالهاتف للاتصال بأصدقائه ثُمَّ عاد ووضعه! أمسك بالملف، أوَّل شيء صدم عينه هو صورة من البلاغ المقدم عن الجريمة، وتقرير الطب الشرعي، أمسك بكليهما وعينه تركض خلف الكلمات والأرقام وهي تُقارنهما، كافة الفروق صحيحة، عدد الأعيرة، فارق التوقيت بين موعد تلقي البلاغ والموعد المُقدر للوفاة عشر دقائق كاملة، عازل الصوت، القاتل استخدم يده اليمنى، صرخ عقله قبل لسانه بحنق طار بصدره - «تبا لكِ يا "**شهد**"... لم تكن تكذب، كيف الإبلاغ عن قتيل لم يكن قُتل بعد! وبمُسدَّس به عازل للصوت؟!» هذا بات فوق استيعابه!

على الجانب الآخر من المدينة، بجوف ليلها الساحر، كانت تجلس بأحد النوادي اللَّيلية، مضطربة تقضم أظافرها وتنظر بساعتها! تجاوزت الواحدة بعد منتصف اللَّيل، تتلفَّت عن يمينها وعن يسارها، عقلها يُعيد تلك المكالمة الهاتفية الَّتي وردتها من **"شهد"** في العاشرة مساءً، تطلب منها مقابلتها في الواحدة بعد منتصف اللَّيل، ولأن **"شهد"** لا تتذكَّر وما زالت لا تعلم من يجب أن تأمن جانبه ومن لا! اتَّصلت بالرقم الَّذي أعطته لها أختها، وحددت مكانًا مزدحمًا بوسط المدينة، اختاره لها **"جلال"**، الَّذي كان حاضرًا من بعيد يرقُب **"نادين"**، الَّتي تعرف عليها من الطاولة الَّتي حُجزت مُسبقًا باسمها، حضرت وهي ترتدي القُبَّعة الرياضية، نزعتها ووقفت تتحدث إلى **"جلال"** على بعد كافٍ، يُمكِّنها من رؤية **"نادين"** وسط كلِّ هذا الزحام والصخب، حين وقعت عينها عليها بدت مألوفة لعقلها، لقد رأتها سابقًا بمنامها، إلا أنها كانت متوترة ومضطربة فلم تتذكَّر أكانت بأحلامها أم بكوابيسها؟! لم يمر على لقائها و**"شريف"** سوى القليل، ربَّما بدت قوية وصلبة أمامه، إلا أنها بالحقيقة كانت ترتجف بداخلها! دماؤها كانت تنتفض بشرايينها ونبضاتها سالت بين ضلوعها، إلا أنها أوتدت كلَّ هذا داخلها، وحين وجدت **"جلال"** أمامها انفرط عقد تظاهرها! أحس ارتعاشات يدها، نظر بعينها وهو يمسك بيدها الَّتي كانت تنتفض وسألها...

- لِمَ أنتِ متوترة إلى هذا الحد، ولماذا تأخرتِ هكذا؟

- كان هناك زيارة يجب أن أقوم بها.

أمال رأسه تساؤلًا بدهشة، أجابته قبل السؤال بما انتفض له نبضه...

- كنت بمنزل **"شريف الزَّهَّار"**.

تراجع خطوتين للخلف فقد كان وقع ما قالته كبيرًا عليه، توقَّفت أنفاسه ولم يستطع النطق بحرف؛ فهي لم تخبر أحدًا عن نيتها بتلك الزيارة أو حتى ألمحت لها، فاض بعينه ألف سؤال لم يعبر لسانه أي منهم، أغمضت عينها بصوت قارب الانفجار، يريد الصراخ دون توقُّف...

- كان لا بد أن يعلم أنني لم أقتل **"رشدي"**، ولا تخبرني أنه لن يُصدِّق، فلا سبيل آخر أمامي.. أنا لم أقتل أحدًا.

تقدَّم نحوها، اعتصر يدها في يده، اقترب منها وهمس بأذنها...

- أنا أوقن أنكِ لم تقتلي أحدًا.

نظر بعينها، وقطب حاجبيه بغضب...

- إياكِ أن تجرؤي على فعلٍ مجنونٍ كهذا ثانيةً دون إخباري.

تبسَّمت رغمًا عنها، وهي تهزُّ رأسها إيجابًا، فاستطرد...

- هيَّا الآن لأنها بدأت تمل الانتظار، وستفعلين ما اتفقنا عليه، لا شيء آخر.

عاودت الإيماء برأسها، ارتدت القُبَّعة، اتَّجهت صوب طاولتها، جلست إليها دون سابق إنذار، التفتت نحوها **"نادين"** بغضب، عندما أمعنت النظر بوجهها من أسفل القُبَّعة، تبسَّمت بفرح بدا جليًا عليها وهي تهتف...

- **"شهد"**... **"شهد"**... **"شهد"** أهذه حقا أنتِ؟!

أمالت رأسها بأن تخفض صوتها، انتبهت وأمسكت بيدها والفرح يتراقص بحدقتيها...

- لا أصدق أنك هنا.

هبَّت واقفة وأشارت لها بأن تتبعها ففعلت، اندست بها وسط الزحام حتى خرجتا إلى شرفة بعيدة بعض الشيء، كان **"جلال"** ينتظر داخلها متواريًا عن الأنظار، حينها لم تصمد **"نادين"** أكثر واحتضنتها بقوة وعينها تدمع، تسمَّرت **"شهد"** لحظات ثُمَّ تبسَّمت من جانبها، أحست للحظة أنها تعرفها وأن بينهما الكثير، عبر بعقلها القليل من لحظات تجمعهما، وقفت للحظة تمعن النظر بتلك الفتاة الخمرية أمامها بشعرها الأسود القصير، وقامتها المتوسطة، وعينها العسلية المبتسمة، حين استردتها **"نادين"** وهي تُمسك بيدها...

- لقد أتيت إلى المحكمة طوال فترة محاكمتك، لكن لم أستطع الاقتراب منك.

- لم يعد يهم الآن.

- أنتِ حقًا لا تتذكَّرين شيئًا؟!

أمالت رأسها إيجابًا، لتتساءل **"نادين"** بحزن غمرها...

- ولا حتى أنا؟

– القليل.

تنفست الصعداء وعاودت احتضانها، وباهتمام...

– هل تعرفين ماذا كنت أفعل بتلك الفيلا؟

– كلَّا، لقد تحدثنا ليلتها، أخبرتِني أن هناك عملًا ما ستقومين به، وحين سألتك عنه قلتِ أنك ستخبرينني حين تعودين، أغلقتِ هاتفك، انتظرت طويلًا بمنزل **"صلاح"** لكنك لم تأتي.

– **"صلاح"**!

– خطيبك... حسنًا أنتما لستما مخطوبين رسميًا، لكن هناك مشروع زواج بينكما.

لم تهتم **"شهد"**، أمسكت بذراعيها...

– دعينا نعود لتلك اللَّيلة.

– لم تأتي؛ فعدت إلى المنزل، حاولت كثيرًا الاتصال بك لكن دون جدوى، حتى غفوت وحاولت مجددًا بالصباح، إلا أن هاتفك ما زال مُغلقًا، فقلقت كثيرًا، لم أعلم عنك شيئًا حتى قرأت الحادث بالصحف ورأيت صورتك، وكان بيننا اتفاق إن وقع أحدنا لا يقترب منه الآخر، ويساعده من بعيد.

– هل حاولتِ الاتصال بي في المشفى، إرسال رسالة من أي نوع؟

– كلَّا... فلم أعرف بما حدث إلا بعد نقلك إلى السجن.

– المحامي؟

– هو من تبرع بالدفاع عنك، لا أعرف عنه شيئًا.

زادت أمواج الحيرة برأسها، هتفت **"نادين"** بشيء تذكَّرته...

– هناك شيء آخر حدث تلك اللَّيلة!

– ما هو؟

– حين استيقظت بالصباح، وجدت رسالة على هاتفي منك، يبدو أنكِ أرسلتها ولم أنتبه لها سوى صباحًا.

- ما الَّذي كُتب بها؟

- لست متأكِّدة فحين حللت شفرتها، لم أجد سوى كلمتين - «العقرب، التوليب».

شردت للحظة، قالت بصوت أشبه لمن يُحادث نفسه - «أعتقد أنني أعرف ما يعنيه العقرب، أمَّا التوليب؟» قالت "**نادين**" وهي تهزُّ كتفها...

- حاولت كثيرًا فهمها لكن دون جدوى.

- قلتِ حللتِ شفرتها!

تساءلت بها، تبسَّمت "**نادين**" باهتمام...

- ذلك كان الجزء الأغرب... أنتِ بعثتِ لي برسالة مشفَّرة يا "**شهد**"! وكان تأمينها عاليًا جدًا! حتى إنني استغرقت كثيرًا من الوقت في حلها، اعتقدت أن بداخلها شيئًا مهمًا قد يساعدك بذلك، لكن لم أجد شيئًا غير هاتين الكلمتين - «العقرب، التوليب».

- هل ما زلت تحتفظين بها؟

- بالطبع فما زلت أوقن أنكِ كنتِ تعنين بها شيئًا يخصُّ تلك اللَّيلة، وبذلك التأمين فأعتقد أنه شيء هام جدًا، شيء أنتِ توقنين أنه لن يفهمه أحد غير "**الآس**".

تنهدت بضيق ويأس...

- هذا سيئ لأنه ليس هنا سوى "**شهد**".

- إذًا علينا استحضار "**الآس**" بأي طريقة كانت.

قالتها بعين لامعة وابتسامة لم تفهمها "**شهد**"، أمسكت بالهاتف وهي تمعن النظر بالرسالة، اقتربت منها "**نادين**"، انتبهت "**شهد**"، لتُمسك "**نادين**" بيدها...

- أنتِ لم تقتلي ذلك الرجل.

- ولماذا أنتِ واثقة من ذلك؟

- لأن "**شهد**" صديقتي الَّتي أعرفها جيدًا، لا يمكن أن تقتل تحت أي مسمى كان.

- و"**الآس**"؟

صمتت "**نادين**" ولم تجب، تنهدت "**شهد**" بحرقة، عاودت النظر بعينها...

- حتى "**الآس**" لن تفعل شيئًا بتلك القسوة.

عم السكون حولهما، وقبل أن تتحرَّك هتفت "**نادين**" بشيء...

- ماذا سنفعل مع "**أمجد المسيري**"؟

رفعت حاجبها بعدم فهم، كذلك "**جلال**" المختبئ فهذا اسم له وقع جديد باللعبة، قطبت "**نادين**" حاجبيها بزفرة ضيق...

- نسيت أنكِ لا تتذكَّرين، أو أنكِ تتذكَّرين عن "**شهد**" فقط!

ارتكزت للخلف وعقدت ساعديها...

- حسنًا يا صديقتي إليكِ ما لا تتذكَّرين عن "**الآس**"!

عادت قُرب الفجر إلى "**لُولا**" و"**ريري**" اللَّتين ما زالتا مستيقظتين، جلست وإلى جوارها "**ريري**" صامتة، تساءلت "**لُولا**"...

- ما الَّذي حدث ولِمَ هي هادئة هكذا؟

رغم أنه ليس بجديد عليها، فإن سكونها تلك المرَّة بدا مُقلقًا، ليُجيبها "**جلال**"...

- لنقل أن تلك اللَّيلة كانت عاصفة بما يكفي! بدءًا من زيارتها لـ"**شريف الزَّهَّار**"، إلى ما علمته عن نفسها!

انتفضت "**لُولا**"...

- أتعني "**شريف**" الضابط؟

أمال رأسه إيجابًا، أمعنت "**ريري**" النظر بها، وهي تشدُّ على يدها...

- هل فقدتِ عقلك؟! لتذهبي إلى الضابط الَّذي يريد رأسك، وتُقدِّمينها له على طبق من ذهب؟!

لم تجب، فما زال ما قالته "**نادين**" يغمر كلَّ شريانٍ ووريدٍ بها، استعادها "**جلال**"...

- "**شهد**"، لنُعِد ترتيب أوراق اللعبة، فقد صار لدينا الكثير منها الآن.

انتبهت له وقد عادت من غرقها، اعتدل أربعتهم وقاد "**جلال**" زمام الحديث...

– تلك الفتاة "**نادين**" قالت أنكِ بالفعل من مخترقي المواقع، إن لم تكوني أفضلهم على الإطلاق، كنتِ تدرسين الحاسبات والمعلومات حتى تمَّ فصلك من الجامعة بالسنة الثالثة لضربك أحَد أساتذتك، الَّذي بالحقيقة حاول التحرش بك، ولأن والده عميد الكلية؛ تمَّ التلاعب بالأمر وفصلك أنتِ، احترفتِ بعدها مهنة اختراق المواقع (الهاكر) لأجل المال، كنتِ تفتشين عن أموال كثيرة بأقل وقت ممكن من أجل علاج أختك، حاولوا الإيقاع بكِ كثيرًا لكن فشلوا، حتى توصَّل "**أمجد**" لسر أختك الَّتي خبأتيها بعيدًا، ساعدكِ على ذلك أنكما لا تحملان نفس الاسم، بدأ بالضغط عليكِ لأجل اللعب لصالحه، وليس لصالح الشرطة كما يدَّعي، على حسب ما قالته فهو كان يستغلك للحصول على معلومات تخص رجال أعمال معروفين، ثُمَّ ابتزازهم بها بعد ذلك قدر استطاعته.

همَّ واقفًا وهو يستطرد...

– هذا يعني أنه إن كنتِ أنتِ بمنزل "**العليمي**" لأجل صفقة من أي نوع...

– فلا بد أن "**أمجد**" يعلم عنها كلَّ شيء، وهذا يعني أنه ربَّما صاحب الرسالة الأولى بالمشفى.

أكملت له بها "**شهد**" ما يدور بخلده؛ فاسترسل...

– هذا مؤكد، وإن كانت هي تقول الصدق! فحتى الآن لم تخبره شيئًا عن الاتصال بينكما حتى تُرتبا أوراقكما أوَّلًا، وهذا برأيي لصالحك.

– غير أمر الرسالة المشفَّرة.

– أي رسالة مشفَّرة؟

قاطعتهما بها "**لُولا**"؛ فقصَّ عليهما "**جلال**" أمرها، هتفت "**ريري**"...

– جميعنا يعلم ماذا يعني العقرب، لكن التوليب تلك ماذا تعني؟

لتتساءل "**لُولا**"...

– أليست نوع زهرة ما؟

أمال "**جلال**" رأسه إيجابًا، لتتساءل "**شهد**"...

– كيف يبدو شكل تلك الزهرة؟

أمسك "**جلال**" بهاتفه، لحظات من البحث على الشبكة العنكبوتية، ظهرت صورًا عديدة لها، أمسكت بالهاتف وهي تنظر نحوه باهتمام، بدأت تُمرِّر إصبعها على الشاشة لتعرض المزيد من الصور، حتى توقَّفت أمام صورة بعد أن مرَّرتها عادت إليها ثانية! بها ثلاث زهرات لم تتفتح بعد، مُتراصة بعضها فوق بعض من الأطول للأقصر، لون أوراقها برتقالي زاهٍ بحواف تميل للحُمرة، خلفيتها بلون أسود قاتم، أمعنت النظر بها كثيرًا، حين هاجمت عقلها بقوة إحدى ذكرياتها الغابرة، لكن تلك لم تكن غابرة تمامًا! اتَّسعت حدقتاها فجأة! لتسألها "**ريري**" باهتمام وجميع العيون ترقبهما...

- ماذا هناك يا "**شهد**"؟

- لقد رأيت تلك الصورة سابقًا!

تساءلت "**لُولا**" باهتمام...

- أين؟

نظرت نحو "**جلال**" الَّذي ما زال مُبقيًا على صمته، وبنظرة العائد من الموت توًّا...

- هذا هو الجزء الأسوأ على الإطلاق!

بصباح اليوم التالي، وقبل تمام العاشرة، داخل منزل "**نادين**" ذي المساحة المتوسطة على الطراز الأمريكي، شقَّة بألوان هادئة وأثاث بسيط بالدور الرابع، كانت تقف بوسط الاستقبال الخاص بها عاقدة ساعديها، مُقطبة حاجبيها بضيق!

- ماذا؟ ما الَّذي تقولينه؟

صرخ بها شاب ببداية الثلاثينات من عمره بوجهها، طويل القامة، ذو شعر أسود ولحية خفيفة، وعينين بنيتين لا تنمان عن ذكاء يجب أن يتمتع به مقتحم مواقع، فأجابت "**نادين**"...

- ما سمعته يا "**صلاح**"... لقد التقيت "**شهد**".

- كيف؟ ومتى؟ وأين؟ وكيف لم تخبريني كي آتي معكِ؟

- هلَّا تهدأ قليلًا؟

- أهدأ!

تركته خلف ظهرها، تقدَّمت خطوات نحو الشرفة وهي تزفر بضيق...

- **"صلاح"** توقَّف، **"شهد"** الآن بحالة سيئة، لم يكن ليحتمل عقلها كلَّ هذا دفعة واحدة.

- يحتملك أنتِ... أمَّا أنا فلا!

قطبت حاجبها بضيق وهي تلتفت نحوه، فاستطرد...

- أين هي الآن؟

- لا أعرف.

- ماذا؟!

عاود الصراخ بها بوجهها، فاحتدت نبراتها كما نظراتها...

- لا أعرف، حاولت إقناعها بالعودة معي، لكنها رفضت، يبدو أنها لا تتذكَّرني بشكلٍ جيد، أو أنها تخشى مني... لا أعرف، غير أن هذا أفضل، فـ**"أمجد"** يضعني تحت مراقبةٍ مستمرة فلا يصدق أنها لم تتصل بي حتى الآن.

- ألم تخبريه أنكما تقابلتما؟

- كلَّا... لقد غيرت الخطة الَّتي كان يضعها، أتعتقد أنني سأنصاع لذلك الأحمق، وهو أساس الوقوع في كلِّ تلك المشاكل؟! كان لا بد أن تتذكَّر **"شهد"** من هو ذلك الثعبان أوَّلًا، أو على الأقل تعلم مع من تتعامل.

تقدَّم نحوها بنظرة غضب تزداد بوجهه لأنها تحاول إقصاءه خارج اللعبة أو هكذا يعتقد...

- كيف يمكنني الاتصال بها؟

- لن يمكنك... هي من ستتصل.

رفع حاجبه لها بعدم تصديق، وهو يُحرِّك راحتيه بغيظ...

- هل ستخبرينني أنها اختفت من أمام ناظرك، دون أن تلحقي بها؟! أنتِ **"نادين"**

أكبر مُتلصص وسارق صور فضائح، الشبح الَّذي لا يدركه أحد، انسلت "**شهد**" من بين أصابعك دون أن تلحقي بها!

– رغم هذا التهكم فإنه نعم... هذا ما حدث، لا أنكر أنني حاولت اللحاق بها، لكنها ضاعت مني على الطريق، ربَّما لا تتذكَّر من هي، إلا أنها تتعلم سريعًا، غير أنها...

– ماذا؟

– لست متأكِّدة... لكنني شعرت أنها ليست وحيدة!

قالتها وهي تهم بالجلوس إلى الأريكة، دنا منها بضيق...

– عن أي شيء تتحدثين؟

– لا أعلم هو فقط إحساس.

أخذ يزفر بضيق اجتاح نفسه، راح يرمق "**نادين**" بنظرة عدم تصديق، فهو لا يأمن لقولها! اعتدلت بجلستها وأناملها تتلاعب بحبات عقد ترتديه، دون أن تهتم لغضبه، وبابتسامة من جانبها همس لها عقلها – «لا بأس يا صديقتي، تعتقدين أنكِ وصديقك الجديد هربتما مني، لكن يكفيني أن أحتفظ وحدي بامتياز الوصول إليك بالوقت الحالي!»

❀❀❀

مع مغيب شمس ذلك اليوم، طرق "**سمير**" باب مكتب "**شريف**" عدة مرَّات مُتتالية دون إجابة رغم وجوده بالداخل! حادثه عقله عن غرابة تصرفه! لكن الأغرب له ألا يُغادر مكتبه طوال اليوم! بعد أن يأس من إجابة "**شريف**" لطرقاته، فتح الباب على مهل، وقف فجأة على باب المكتب وقد اجتاحته الدَّهشة! حين رآه يجلس متربعًا أرضًا مُلقيًا بسترته جواره، غارقًا بين أوراق وملفَّات كثيرة مبعثرة من حوله! نظراته شريدة مشتتة، كمن يُفتش داخل كومة قش، أغلق الباب خلفه وما زالت الدَّهشة تعتليه فلا يفهم شيئًا! تلك المرَّة الأولى الَّتي يرى بها "**شريف**" على تلك الحال، حاول استعادته من غرقه...

– "**شريف**" بك... "**شريف**" بك.

التفت نحوه وقد أجفل للحظة، لم يعِ طرقاته أو دخوله حتى تلك اللحظة، نظر نحوه للحظة كأنه شاخص إلى الفراغ، اعتدلَ ورفع رأسه وأشار له بالجلوس؛ ففعل، وما زال

على حيرته، ليتساءل "**شريف**" بذات الهيئة المُشردة ذهنيًا...

– هل يمكن لأعسر أن يُطلق النار بيده اليمنى؟ بنفس الثبات والكفاءة لشخص يستخدم يده اليمنى؟

– عفوًا!

تعجب بها "**سمير**" بدهشة، أشار له...

– لا تهتم... أريدك أن تعلم كلَّ شيءٍ يخصُّ "**العليمي**".

أخذ يرددها وهو يفتش بين أمواج الأورق المحيطة به، أمسك بإحداها...

– إليك قائمة بكلِّ من كان في تحرياتنا الأولى وأهملناهم سابقًا.

– أوَليست لدينا القاتلة وهاربة من العدالة وتنفيذ حكم ضدها؟

تساءل بها وقد بدأ بمجاراته، فوجئ "**شريف**" بالسؤال، تلعثم...

– ربَّما كنَّا ننظر بالاتِّجاه الخاطئ!

وقبل أن يتساءل، والدَّهشة تغزوه، أردف "**شريف**"...

– ربَّما لديها شركاء يساعدونها على الهروب، هم من لهم مصلحة بقتله، ربَّما هي ليست سوى أداة بيد شخص آخر! فإن وجدناهم وجدناها.

أمال "**سمير**" رأسه إيجابًا رغم تعجبه، هبَّ "**شريف**" واقفًا وهو يُلملم أوراقه...

– أريد كلَّ شيءٍ عن "**العليمي**"، من هم أصدقاؤه، أعداؤه، منافسوه، كلُّ مَن له مصلحة في اختفائه تحت التراب، كلُّ مَن كان يتردَّد عليه بشركته، وفيلته، وفيلته الَّتي قُتل بها، لا تترك هفوة مهما صغرت خلفك.

عاود إمالة رأسه إيجابًا، وهو يُساعده في لملمة أوراقه ويضعها فوق المكتب، ليقول "**سمير**" بصوت متردد...

– لقد تأكَّدت أن الشريط تمَّ التلاعب به.

أمال "**شريف**" رأسه بدهشة، فأردف بتردد أكبر...

– أعلم أنني تخطيت حدودي، لكنني أشعر بشيء ناقص، كان لا بد أن أتأكَّد.

«ربَّما الحدود ما هي إلا وهم، وضعوه لإبقائنا خارجًا». ردد جملتها بصوت أشبه لحديث النفس، ليميل "**سمير**" رأسه بتعجب من هدوئه فلم يثُر ضده كما توقع...

- ماذا؟

- لا يهم... ماذا عن مراقبتك لـ"**أمجد**"؟

- الأوقات الَّتي نراقبه بها يقوم بأموره المُعتادة... لكن بكثير من الأحيان يختفي من أمامنا كأنه يتبخر!

مسح "**شريف**" عن جبهته بضيق...

- علم أننا نراقبه، "**أمجد**" ليس أحمق وبالطبع سيعلم كيف يُخفي آثاره... توقَّف عن مُراقبته بالوقت الحالي، وعلى كلِّ حال لن نصل معه لشيءٍ ما دام توخَّى حذره.

رن الهاتف الداخلي، هبَّ "**شريف**" للإجابة، لحظة وأغلق الهاتف، قبل أن يرد بشيء! وهو شاخص بعالم آخر، ليتساءل "**سمير**"...

- ماذا هناك يا "**شريف**" بك؟

- لا شيء، فقط نفذ ما طلبته منك.

خرج كلاهما كلٌّ بوجهته! رحل "**سمير**" وما زال لا يفهم شيئًا، لكن هناك شيئًا واحدًا فقط يعيه! أن إحساسه بمحله، والانقلاب الواضح في موقف "**شريف**" تجاه القضية يؤكِّد له ذلك! صعد "**شريف**" للدور العلوي، تقدَّم خطوات متعجلة بالرَّدهة! حتى وصل نهايتها وقف أمام الباب! عدَّل من هندامه ووضع ملابسه، فرك عينيه المجهدتين، طرق الباب ودخل، وقبل أن ينطق بشيء، انفجر به رئيسه الجالس خلف الكرسي بغضب...

- لقد أصبحت مُقصرًا بعملك يا "**شريف**" بك.

أمال "**شريف**" رأسه مستنكرًا؛ فلم يكن يومًا مقصرًا أو على الأقل هذا ما يراه، وقبل أن يحاول الدفاع عن نفسه، وقف رئيسه من خلف مكتبه، ألقى بعدد من الصحف دفعة واحدة! لتظهر أمامه صورة "**شهد**" على غلافها! وهتف فيه بحنق...

- إن القبض على تلك الحمقاء هو مهمتك أيها المتخاذل.

- أنا أفعل كلَّ ما أستطيع لكـــ...

– لا مبررات لتخاذلك، أريد أن أسمع خبر القبض عليها قريبًا، ولا يهمُّني إن استعنت بكلِّ مَن في المديرية لإيجادها!

قاطعه بها بحدة، للحظة فكر بأن يبوح له بكلِّ ما لديه من معلومات جديدة، وقبل أن يفتح فمه، تقدَّم نحوه رئيسه، وبنبرة تهديد طار لها حنق "**شريف**"...

– إن لم تعد ذا فائدة كما كنت في السَّابق، وفتاة كتلك تتلاعب بك كما حدث بالمشفى، وتجعلك تبدو كالأحمق، فتنحَّى جانبًا وسأجعل غيرك يتولى تلك القضية.

فغر فاهه وعينه من شدة الدَّهشة! كيف عرف ما حدث بالمشفى؟! فلم يعرف به أحد! فأمسك لسانه، وأطبق صدره على ما لديه؛ فالآن ما عاد يدري من باللعبة ومن خارجها! تجاوز دهشته وهو يتلعثم...

– أحاول سيادتك... أحاول.

– ما من «أحاول»، ستجدها بأي طريقة كانت، ثماني وأربعون ساعة، وتكون تلك القاتلة هنا أمامي... وإن قاومت اقتلها.

هتف بها بضيق أكبر، فرفع "**شريف**" حاجبه، وقد صدمته الجملة الأخيرة! ليسترسل رئيسه، وهو يعاود جلوسه خلف مكتبه...

– هي خارجة عن القانون وهاربة من حكم بالإعدام.

– لكن هـــ

– ما من «لكن»، لن أحتمل كلَّ تلك الضغوط والتهديدات لأجل أنك مهمل بعملك.

صرخ بها دون وعي في وجه "**شريف**"، الَّذي راح يتساءل بإصرار تملك عينه ونبرته، وهو يتقدَّم نحو المكتب...

– أي ضغوط تلك؟ ومن هم؟

– انتهى الحديث أيها الضابط، إلى مكتبك الآن.

أنهى بها الحديث، أمال "**شريف**" رأسه، انسحب وأغلق الباب خلفه، زاد عصف أفكاره، راح عقله يصرخ وخطواته تتقدَّم بضيق – «يبدو أن خيوط اللعبة تمتد لأبعد **ممَّا**

تصورت، ولها أيد ذات سطوة أكبر! تبًا لكلِّ هذا الهراء، هناك يد خفية وراء كلِّ هذا، وسأصل إليها بأيٍ ثمن!»

في صباح اليوم التالي، جلست "**لُولا**" تحتسي الشاي بمواجهة "**شهد**" الغارقة بين أوراق لعبتها، الَّتي لا تتوقَّف عن الهطول حولها، كما المطر من كلِّ اتِّجاه، دون أن تُكمل أي منها نهر الأخرى، أو تصل بها إلى أي نهاية! التقطتها "**لُولا**" من دوامتها...

- أريد أن أخبركِ شيئًا!

انتبهت "**شهد**" ووضعت الأوراق من يدها...

- قولي ما شئتِ يا "**لُولا**"!

- أخبرتِني أن علاج الطبيب يأتي معكِ بنتيجة؟

تنهدت بحزن...

- نعم.. غير أنه ليس ما أنتظره.

- جميعها طرق وبالنهاية لا بد أن تصل بكِ لمكان ما.

تبسَّمت بها بهدوء، فأمالت "**شهد**" رأسها تفهمًا، عادت "**لُولا**" لجديتها...

- هو أمر مهم... هناك شيئان لا تخبري أحدًا بهما، أوَّلهما أين تختبئين...

- لا تخافي "**لُولا**" أنــ...

وقبل أن تكمل، قاطعتها "**لُولا**" وهي تنتقل للجلوس بجوارها إلى الأريكة...

- كلَّا ليس هذا غرضي، أنا لا أتحدث عن نفسي، هلَّا تنتظرين للنهاية؟

أمالت رأسها إيجابًا، فاسترسلت "**لُولا**" وما زالت على جديتها...

- الشيء الأوَّل لا تخبري أحدًا أين تختبئين، أو أي شيء يخصُّ "**جلال**" أو مساعدته لكِ.

صمتت لحظة فتساءلت "**شهد**"...

- والثاني؟

– إياكِ أن تتحدثي لأحد عن كونك تتذكَّرين، أو أن ذاكرتك في تحسن، أو عن الطبيب والاتفاق بينكما، وما يقدمه لكِ من مساعدة.

زادت نظرة الاهتمام بعينها، وضعت **"لُولا"** يدها على كتفها...

– وأعني أي شخص مهما كان قربه أو اعتقدتِ أنه قريب أو كان بوقت سابق!

– أنتِ تعنين **"نادين"** و**"صلاح"**!

استرسلت **"لُولا"** بهدوء وهي تضغط على يدها...

– استمعي لي جيدًا... حتى تتذكَّرين كلَّ شيء، وتعرفين ماذا حدث في تلك اللَّيلة، إياكِ أن تثقي بأحدٍ أو تصدقي ما يقال لكِ؛ فأنت لا تعلمين من أين ستأتيكِ الضربة!

ظلَّت عينها مُعلَّقة بها، راحت **"لُولا"** تُسهب في طرح مخاوفها...

– ما دام الجميع يعتقدون أنكِ لا تتذكَّرين هذا يجعلكِ بأمان! لو كانوا حقًا أصدقاءك فلم تخسري شيئًا، وإن كانوا غير ذلك فيمكنك اكتشاف ذلك، لدى شعور ينبئني أن هناك من غدر بكِ! والغدر دومًا يأتي من المقربين، وهذا آمنُ للجميع فأنت لا تعرفين ما الَّذي تعرفه الشرطة؟ ولا بأي مكان تفتش عنكِ؟ ذاك الضابط الَّذي حدثتني عنه لن يكف عن البحث عنكِ، زيارتك له لن تمر مرور الكرام، سيحاول إيجادك حتى وإن ضرب باطن الأرض، وهؤلاء الآخرون الَّذين دفعوا كلَّ تلك الأموال لإعدامك وقتلوا المحامي، سيفعلون كلَّ شيءٍ ليصلوا إليكِ، و**"نادين"** و**"صلاح"** هما هذا الجسر الواصل إليكِ.

صمتت لحظة و**"شهد"** غارقة بكلِّ ما قالته، والَّذي لاقى صداه بروحها المُتصدِّعة، لا تعلم بأي شخص تثق ومَن تُصدِّق! شدَّت **"لُولا"** على كفها...

– اقطعي ذلك الجسر حتى تتأكَّدي أنه لن يصل بكِ إلا حيث تريدين أنتِ، وليس حيث يريد الآخرون، كلانا يعلم أنهم يريدونك في قبرك!

أمالت **"شهد"** رأسها تأكيدًا، كلُّ ذرة بروحها تُؤيِّد عن اقتناع كلَّ حرف تفوَّهت به **"لُولا"**، تخوُّفًا من ماضٍ لا تعلم كيف وصل بها إلى هذا الحاضر الضَّبابي! بلونه الرمادي المتأرجح على حافة الخيانة والغدر والدم!

السادس

قبر!

مع دقات الثالثة فجرًا، راحت تصرخ كطفل رضيع فقد أمه! انتفضت "**ريري**" من نومها على صوت صراخها! دلفت "**لُولا**" هي الأخرى وهي تهتف...

- ما الَّذي حدث؟ ما بكِ يا "**شهد**"؟

- لا بد أنه كابوس.

كانت تلك "**ريري**"، دنت منها "**لُولا**"...

- بسم الله الحافظ، "**ريري**".. اجلبي لها كوبًا من الماء.

أعطتها كأسًا من ماء كان بجوار السرير...

- اشربي حبيبتي.

- ما الَّذي رأيته في هذا الكابوس؟

تساءلت بها "**ريري**"، أجابت "**شهد**" بصوت لاهث...

- قبر!

- ماذا؟ أي قبر هذا؟

- كنت بداخله.

- ثُمَّ ماذا؟

عاودت بها السؤال، هتفت "**لُولا**" بضيق...

- توقَّفي "**ريري**"... لا تكملي شيئًا يا حبيبتي، لترمي كلَّ هذا خلف ظهرك، استعيذي بالله وعودي إلى نومك.

أعادتها "**لُولا**" إلى استلقائها بالسرير، دثرتها بالغطاء وهي تسمي الله عليها، عادت "**ريري**" إلى سريرها، أغلقت "**لُولا**" الضوء وغادرت إلى نومها، أمَّا هي فلم تجرؤ على النوم فقد فاق كلَّ كوابيسها!

- هل يتكرر هذا الحلم كثيرًا؟

تساءل بها "**رياض**" وهي جالسة أمامه، مُعلَّقة بعقارب الساعة الَّتي كانت تقترب من الحادية عشرة قبل منتصف اللَّيل، لتجيبه وعينها لا تُفارق عقاربها....

- أكثر بكثير من أي شيء سبقه.

- لماذا تعتقدين أنه حلم أو كابوس؟

- ربَّما لأنني أكون نائمة.

قالتها بسخرية، ليُجيب "**رياض**" وهو يعتدل بمجلسه...

- ربَّما هو ليس حُلمًا يُطاردك، بل هي ذكرى تريد الخروج! أَوَليست معظم ذكرياتك العائدة كانت في صورة أحلام؟!

- لكن هذا مختلف... أنا أموت بهذا... ولا أتذكَّر أنني أموت في ذكرياتي السَّابقة.

قالتها بذات النبرة الساخرة، ليبتسم "**رياض**" بهدوئه المعتاد...

- لنقل أن هناك نوعين من الذكريات تُطارد مرضى فقدان الذاكرة، الأولى ذكريات مُختلقة ربَّما يكون جزء منها حقيقيًا لكن هالتها أو ما يحوطها كاذب، وقد تكون ذكريات كاذبة وملفقة كليًا ولا تمت للحقيقة بصلة، وفي كلتا الحالتين يخلقها العقل ليتعلَّق بها، وعلى كلِّ الأصعدة لا تتخطَّى كونها سرابًا، فلا يمكن للعقل الاستفادة منها؛ وعلى الجانب الآخر هناك النوع الثاني، مجموعة من الذكريات تكون حقيقية بالكامل، لكنها غير مُرتَّبة بشكلٍ صحيح في الحيز الزماني الَّذي حدثت فيه، كأن تختلط ذكريات الطفولة بذكريات المراهقة في ذكرى واحدة، رغم أنها مُشتتة وغير منطقية فإنها حقيقية كليًا.

صمت لحظة وهو يمعن النظر بعينها المُعلَّقة بالساعة أمامها!

- هناك شيء آخر! ليست كلُّ الأشياء تبدو على حقيقتها! فربَّما ما تشاهدينه بهذا

الحلم تحديدًا، ما هو إلا مزيج! مزيج من الماضي والخوف من المستقبل، امتزجا معًا ليشكلا صورة ربَّما ترينها مختلة لكنها صحيحة، بها جزء كبير من الحقيقة، جزء منها حقيقة مضت، والآخر غير حقيقي. ورغم ضعفها وعدم حدوثها، فإن عقلك يراها تترنح بقوة على خيط رفيع بطريقه نحو ما يريده، أرى أن القبر خير محفز لخلط كليهما بعقلك.

رفعت "**شهد**" طرف عينها نحوه...

- لا أفهم شيئًا!

- لمَ لا تكون تلك ذكرى لقبر رأيته سابقًا بالفعل، لكن الخوف داخلك من الموت في المستقبلِ، يربطهما معًا داخل لوحة واحدة!

- أنا لست خائفة من الموت.

ابتسم وهو يهمُّ واقفًا...

- جميعنا نخاف الموت، لكن هناك من يخاف الموت ويتقبله، كحقيقة مسلمٌ بها لا يستطيع تغييرها أو الهروب منها، وهناك من يخافه ولا يتقبله.

نظر نحوها، وهو يمشي على غير هدى بالغرفة...

- أخبرتني أنكِ بذاك الحلم كنتِ تحفرين قبرًا! ثُمَّ ضربكِ شخص بالنار من ظهرك!

- نعم.

- أنتِ لم تدخلي قبرًا سابقًا؟!

تبسَّمت من جانبها، وهي تعتدل عن الأريكة...

- لا أعلم... لكن الأكيد أن هذا ليس مكانًا للتنزه!

علت ضحكته من رفعة حاجبها، وطريقتها الساخرة، فاستطرد...

- ما هي أخبار المعلومات الَّتي تحاولين جمعها عن ماضيكِ؟ ربَّما هي تربط بين ماضيكِ وحاضرك وتلك اللَّيلة!

- كلُّ شيءٍ بها مستقلٌّ بذاته، فلا يرتبط اثنان بخيطٍ واحد.

قالتها وهي تهمُّ واقفة، وتضع كلتا يديها بجيبيها، لتزداد ضحكته...

– هل تعلمين أن لا شيء في هذا الكون مستقلٌّ بذاته؟! حتى إن الكون نفسه دائرة مرتبطة بعضها ببعض، كلُّ شيء دائمًا مرتبط بشيءٍ قبله أو شيءٍ بعده، دومًا نهايات الأشياء ما هي إلا بدايات لأخرى، برأيي هذا يزيد من قوة ارتباطها لأنه لولا النهاية ما كانت البداية! كلُّ ما نحتاجه أن نضع القطع بترتيبها الصحيح جنبًا إلى جنب! حتى نحصل على لوحة كاملة، نضع قدمنا على البداية لنعلم أين تقع النهاية، والعكس صحيح، وفي حالتك هذه – النهاية هي البداية لكلِّ شيء!

– هل أيقظتك من نومك؟

قالتها وهي تُمسك بالهاتف، وتنظر لساعة يدها الَّتي تخطت الثانية عشرة منتصف اللَّيل، لتُجيب "**نادين**" على الطرف الآخر بصوت ناعس...

– لا بأس.

– أريد رؤيتك في الحال؟ إنه أمر هام.

– لا بأس.. لكن... "**شهد**" هل أنتِ بخير؟

– أعتقد أن هذا آخر سؤال بالكون يمكنني الإجابة عنه.

– حمقاء لأنني سألت.

قالتها وأغلقت كلتاهما الهاتف، رمقت "**شهد**" نافذة "**رياض**" للمرَّة الأخيرة وغادرت، لكنها لم تكن وحيدة بالكامل كما كانت تعتقد!

انتظرت بأحد الشوارع الجانبية، عينها مُعلَّقة بالقمر في السماء وكان هلالًا، وصلت "**نادين**" بعد حوالي نصف ساعة، دلفت "**شهد**" سيارتها، لكنها لم تجئ وحيدة هي الأخرى! قبل أي كلمة تساءلت "**شهد**"...

– ما الَّذي تعرفينه عن «قبر»؟

تعجبت برفعة حاجبها...

– قبر!

- نعم.

- قبر من تحديدًا؟

لتهتف "**شهد**" بضيق...

- لا أدري.. أي قبر قد أكون تحدثت عنه سابقًا أمامك، أنتِ أقرب شخص لي ولـ...

- أتعنين قبر والدك ووالدتك!

- أبي وأمي؟

تساءلت بها، لتُجيب "**نادين**"...

- هذا هو القبر الوحيد الَّذي أخبرتني عنه، كنتِ تزورينه على فترات متقطعة.

- هل تعرفين طريقه؟ كيف يمكنني الذهاب إليه؟

- أعتقد أنني اصطحبتك إلى هناك ذات مرَّة.

- اكتبي لي العنوان بهذه الورقة.

قالتها وهي تخرج ورقةً وقلمًا من جيبها، قالت "**نادين**" بتلعثم...

- هذا سيكون صعبًا؛ فهو بمكان شعبي، وأنا لا أذكر التفاصيل، فربَّما تضيعين، لا أتذكَّرها جيدًا، كانت شوارعًا كثيرة متداخلة.

- أعطيني العنوان الرئيسي وسأجد طريقي.

- يمكنني اصطحابك إلى هناك، فأعلم الطريق حين أراه.

- حسنا هيَّا بنا.

انتفضت بمجلسها، وهي تلتفت إليها...

- الآن؟

- نعم.

- نحن بمنتصف اللَّيل يا "**شهد**"!

قالتها وهي تُمسك بساعد "**شهد**" وتنظر بساعتها، هتفت بضيق وإصرار...

- إمَّا أن تكتبيه لي... أو تذهبي بي إلى هناك... الآن يا "**نادين**".

- ذكريني أن أقطع صداقتنا بعد هذه اللَّيلة.

قالتها وهي تُدير محرك سيارتها، فهي تعلم تلك النظرة جيدًا، وتعلم كم هي عنيدة! تحدثت "**نادين**" عن "**صلاح**" وعلاقتهما معًا، لم تنتبه "**شهد**" لأي شيء قالته، حتى وصلتا وجهتهما، منطقة تبدو قديمة، مساكنها متلاصقة غير منظمة، لا يفصلها عن المقابر سوى طريق ضيق، لم تستطع السيارة الدخول أكثر، لوهلة شعرت "**شهد**" بأنها كانت هنا سابقًا، استردتها "**نادين**" بصوت مرتعب...

- إنني خائفة جدًا.

- انتظريني هنا.

أمسكت بمعصمها قبل أن تفتح باب السيارة بخوف...

- "**شهد**".. لِمَ لا نذهب الآن ونعود بالصباح؟ أنا حقًا مرتعبة، إنها المقابر!

ربتت على يدها بنظرة مطمئنة، وهي تفك يدها عن معصمها...

- انتظري هنا، ولا تتحرَّكي من داخل السيارة، أغلقي الزجاج والأبواب جيدًا، اتركي المحرك يعمل، إن حدث أي شيء... أي شيء.. اذهبي دون تفكير.

- "**شهد**"...

- نفذي ما أقوله.

قاطعتها بها بصرامة، هبطت من السيارة، وهي تنظر لـ"**نادين**" الَّتي كانت تنتفض بمجلسها، وتقول بتلعثم ذعرها...

- أشعر أن هذا سيكون سيئًا، سيئًا جدًا يا صديقتي.

ابتسمت لها "**شهد**" وغمزت بطرف عينها، غلَّقت "**نادين**" السيارة وهي ترتجف، ترى "**شهد**" تختفي بين ظلام اللَّيل ومدخل المقابر!

احتفظت بابتسامتها لحظات حتى التفتت للاتِّجاه الآخر، لكنها لم تكن تبتسم استخفافًا! وإنما تبتسم خوفًا من أن تبكي فزعًا! كانت ترتعد من داخلها لمجرَّد التفكير

بتواجدها بهذا المكان، لكن ما قاله "**رياض**" عن الذكرى الَّتي تسعى للخروج، وتكرار ذلك الحلم بأدق تفاصيله في كلِّ مرَّة دون أن يختلف به شيء! أثار بنفسها يقينًا بأنه قد يصل بها إلى شيء! ربَّما يضع قطعة ناقصة باللَّوحة المُختلة، وهو ما فاق خوفها من التواجد بالمقابر بعد منتصف اللَّيل! وهل بيدها سوى الركض خلف أحلام ذكرياتها؟! أحكمت خوفها بداخلها كما أحكمت يديها بجيبيها، تقدَّمت بخطى خائفة حتى وجدت نفسها تقف بمفترق طرق! بين شوارع ضيقة مليئة بالقبور في كلِّ اتِّجاه، شردت لحظة.. أي اتِّجاه يجب أن تختار؟ حين سمعت صوتًا يأتي عن يمينها، جفلت منه بقوة كادت تُوقف قلبها...

- من أنت؟ ما الَّذي تفعله عندك؟

تسمَّرت بمكانها، على عكس قلبها الَّذي قفز في تلك اللحظة إلى قدمها، الَّتي انغرست بالأرض ولم تقدر على انتفاضة واحدة، اقترب صوت الخطوات أكثر حتى أصبح بجوارها، عادت تستجمع أنفاسها الهاربة، تُلملم دقات قلبها السائلة بين الضلوع، رفع صاحب الصوت مصباح زيت بيده ناحية وجهها، راح يُعدِّل من وضع نظارته الطبية السميكة على عينه، يُمعن النظر بها، بدا لها كوجه شبح تخطَّى الستين بقليل، كان يزيد طوله عنها كثيرًا، عالي القامة، لا تكاد قدماه تحملان وزنه الثقيل، دقق النظر بها، ليرتفع صوته بقوة زادت من إفزاعها...

- أستاذة "**شهد**"، كيف حالك؟

قالها وهو يزيد من تقدُّمه ومن بسمته، أم هي فلا حياة لمن يبتسم! جفت دماؤها تمامًا، شحب لونها، أصبحت كقطعة ثلج بيضاء متجمدة العروق، ربَّما في تلك اللحظة تحديدًا تذكَّرت القرآن بأكمله، خاصة بعد تلك البسمة الَّتي ارتسمت على وجهه ودوت بين أسنانه المتكسِّرة، وعينيه الحمراوين بشدة، دارت "**شهد**" بعينها تتأمله بروية خائفة، حاولت رسم ابتسامة أبت أن ترتسم، هزَّت رأسها، كأنها تعرفه كما عرفها، إلا أن عقلها أبى أن يتذكَّر أي شيء يخصُّ الشبح المبتسم...

- لم أقصد إخافتك بُنيتي، لكنني لم أتعرفك، فأنتِ مختلفة بعض الشيء، ولم تأتي منذ زمن في هذا الوقت المُتأخر.

شرد ذهنها في تلك العبارة، أهذا يعني أنها دخلت هذا المكان ليلًا سابقًا! ما الَّذي يدعوها للدخول بوقت كهذا إلى المقابر! ظلَّت لحظة مُطرقة، عاد ورفع مصباحه عاليًا

وتقدَّم على جانبها الأيسر، كأنه يتقدَّمها ليُعلن لها عن وجهة يعلمها وتجهلها! ما كان منها إلا أن تبعته، تحاول تصنُّع أنها تعلم الطريق، سألته بتردد...

– هل آتي إلى هنا كثيرًا؟

– على الأقل مرَّة كلَّ أسبوعين، وفي الفترة الأخيرة كنتِ تحضُرين كلَّ أسبوعٍ تقريبًا.

عاودت التساؤل، وما زالت تتبعه وهي تتحسس طريقها...

– هل أتيت إلى هنا ليلًا سابقًا؟

ضحك دون أن يلتفت، يتحسس طريقه غير المُمهَّد بين أحواش القبور، على ضوء مصباحه الواهي يُسانده ضوء القمر الضئيل، كانت بقايا الأخشاب في كلِّ مكان، بعض الجدران المُنقضة على جوانب الطريق...

– لا أذكر أنكِ أتيت نهارًا، سوى بضع مرَّات معدودة، فدومًا تأتين ليلًا.

تصنَّمت بموضعها، الإجابة كانت فوق استيعاب عقلها، راح يُكمل هو الطريق والحديث...

– إلا أنكِ لم تأتي منذ مدة! فاعتقدت أنكِ سافرتِ، فلعل المانع خير!

عاودت المشي خلفه، لكن تلك المرَّة ورغم أنها كانت مُطرقة، فإنها شعرت بأنها تعرف الطريق! قدمها تعرف وقع خطواتها! بدأت تنهمر بحنايا عقلها كثير من الصور تجول بها بين تلك الطرقات! ثُمَّ توقَّف هو فجأة! وقد أصبحا أمام مدخل أحد المدافن...

– ما بكِ يا بنيتي؟

– لا شيء، فقط متعبة قليلًا؛ فلقد تعرضت لحادث.

– لا بأس عليك، فليعافكِ الله.

مد يده إلى جيبه وأخرج مجموعة مفاتيح، وضع أحدها بالقفل الموثق بسلسلةٍ حديدية حول الباب وفتحه، أشار لها بالدخول...

– دائمًا أسقي الزرع كما طلبتِ، فلا يمر يومان دون أن أسقيه، ليت الجميع يهتمون بقبور آبائهم كما تفعلين.

أنهاها وغادر، ترك لها المصباح أرضًا حتى يُنير لها، عاد يتحسس خطاه على ضوء

القمر الخافت، فهو يحفظ وجهته عن ظهر قلب، ردد لها وصوته يخبو كما خطواته...

- إن احتجتِ شيئًا تعلمين أين تجدينني.

أمالت رأسها بأنها تعلم أو بالأحرى تتذكَّر! وقفت لحظات دون أن تُحرِّك ساكنًا، التفتت نحو القبرين خلفها وبدأت بفعل المألوف والطبيعي بمكان كهذا، في وقت ليس طبيعيًا! بدأت بترديد الفاتحة، توجهت صوب القبرين، تحمل المصباح بيدها، وبدأت بفعل غير المألوف! وقفت تنظر بكلِّ ركنٍ وزاويةٍ داخل الحوش، عينها تحاول الإمساك بشيءٍ تألفه، لكن دون جدوى، كلُّ ما يحيط بها بقايا أخشاب بأحد الأركان، والكثير من أغصان يابسة تغمر الأرض حولها، كادت تيأس من إيجاد ضالتها، إلا أن عقلها ما زال يتساءل - «ما الَّذي يأتي بها ليلًا للمقابر؟ ما السر بوجود هذا المكان تحديدًا بأحلامها؟!» أمسكت عينها المجهدة شيئًا ربَّما ألفته! شجيرة الصبار تلك كانت بحلمها! نعم تلك الشجيرة بفرعها المُنكسر دون غيرها من باقي الثلاث شجيرات الأخرى علقت بذاكرتها، لكن السؤال لمَ هي دون غيرها؟ اقتربت منها أكثر وهي ترفع المصباح نحوها، جال بخاطرها أن تحاوَل إعادة حلمها! تقدَّمت خطوتين ووضعت المصباح من يدها بجوارها للأمام قليلًا، جلست على ركبتيها كما كانت بحلمها أمام الشجيرة مباشرة، حينها أمعنت النظر بشيء مُلقى خلفها له لمعة خافتة! زحفت قليلًا لتجد أمامها معولًا! أمسكت به ودار بخلدها شيء واحد! بالحلم كانت تحفر بيدها أسفل الشجرة، فاعتقدت أنها تغرسها أو تقلعها، لكن بالواقع هذا المعول هنا لسبب ما ربَّما لم يكن أيهما! لاحظت أن الأرض خلف الشجيرة غير مستوية وتعلو بعض الشيء! قررت أن تحفر حولها، وتبدأ من الخلف، راحت تحفر وبعد دقائق اصطدم المعول بشيء ما! تهللت أساريرها وغادرها الخوف تمامًا، ألقت بالمعول وجلست تحفر بيديها، حتى ظهر ما كان بباطن الأرض! كانت حقيبة ظهر مُغلَّفة بكيس بلاستيكي! أخرجتها وكانت لا تزال جاثية على ركبتيها، وقبل أن تفتحها...

سمعت الأغصان اليابسة خلفها تتحطم، وقبل أن تلتفت شعرت بجسم صلب بارد يحكُّ مُؤخِّرة رأسها بقوة! رائحة الياسمين تُعبئ المكان من حولها! فحيح صوت خافت...

- قِفي بروية وإن حاولتِ التنفس...

حقيقةً "**سعد**" لم يكمل بفمه بل أكمل بسحب قيد المُسدَّس المستقر بمُؤخِّرة رأسها، هزَّت رأسها إيجابًا، اعتمدت على ركبتها بيدها اليمنى وهي تهم واقفة بروية، وبيدها

اليسرى ترتكز إلى المصباح، وقبل أن تنهض منتصبة عاود...

- ارفعي الحقيبة.

انحنت، أمسكت الحقيبة بيدها اليمنى، وما زالت مُرتكزة باليُسرى إلى المصباح، هبَّت مُنتصبة الجذع، كلاهما بيديها، التفتت نحوه على مهل كما أمرها، بدأ يتراجع بضع خطوات لحفظ المسافة بينهما، وفُوَّهة مُسدَّسه باتِّجاهها، بتلك اللحظات القليلة اعتمل بصدرها إحساس مؤكد - «إن كان هو من قتل **"رشدي"**، ويُريدني على منصة الإعدام فأنا بالفعل ميتة!». لكن ما دار بخلدها كان شيئًا آخر! فاستعادها...

- أتعلمين كم أنتِ عثرة مزعجة؟

رفعت حاجبها بصمت، ظلَّت تمعن النظر بعينه فلم يظهر من لثامه غيرها، ولم تكن أمعنت النظر به في المشفى، عاود حديثه ويده تُطبق على المُسدَّس...

- كان يجب أن أتأكَّد من موتك تلك اللَّيلة، لكن لا بأس سأحرص عليه الآن.

التمعت تلك النظرة الشيطانية بعينه، لتهمس بصوت وصله...

- أتعتقد أنك ستفلت بفعلتك؟ هناك قانون وعدل وستنال عقابك.

تبسَّم بقوة وراحت تتعالى ضحكته الساخرة، حتى اهتز المُسدَّس بيده....

- تلك القوانين وضعت للسيطرة عليكم! أمَّا نحن فلسنا فقط من نصنع القانون! بل صرنا نحن القانون! نحن من يمسك الميزان! أوَلم تفهمي بعد؟! تلك هي قوانين اللعبة.

تبسَّمت بقوة أثارت دهشته، أمال رأسه بتعجب! رفعت حاجبها...

- أنت من لا يفهم، أنا لا أتحدث عن ذلك الميزان المُختل!

زادت حيرته إلا أنه تجاهل ما لم يفهمه! انتصب بوقفته، عادت تتجمد تقاسيمه، ويده على المُسدَّس وأشار به...

- ألقي لي بتلك الحقيبة... الآن.

- لِمَ قتلت **"العليمي"**، و**"رشدي"**، وتريد قتلي؟

- ما من شيء شخصي، **"العليمي"** لم يكن سوى عمل، أمَّا أنتِ فتواجدتِ بالمكان الخطأ، أخبرني الأحمق أنكِ عشيقته، لا يهم، بكلِّ الأحوال كنتِ ميتة! كان يجب أن تكون

هي! لكن لا بأس فلقد تبعته بذات اللَّيلة! و"**رشدي**" لم يكن سوى خنزير مختل لن يفتقده أحد، وبالطبع حرصت على أن تحظي بشرف قتله، والآن أنتِ صرتِ عشرة يجب أن تنتهي.

صمت لحظة وعدَّل من وضع مُسدَّسه بين عينيها، وبنظرة أرعبتها...

- والآن... الحقيبة.

راحت تُمعن النظر بالحقيبة، يُخالجها شعور قوي بأن كلَّ ما تُفتِّش عنه بين يديها، أخذ عقلها يُعيد ترتيب اختياراتها بتلك اللحظة، الَّتي لم تتخطَ اختيارين فقط في هذا الوضع، إمَّا أن تُعطيه الحقيبة ويعطيها طلقة برأسها، أو أن يأخذها بعد أن يمنحها رصاصة بقلبها! لذلك فقد آثرت الاختيار الثالث! إن كان لا بد من الموت؛ فلِمَ لا نموت ونحن نحاول الحياة؟!

بدأ نور المصباح يخفت بين يديها ويخفت معه وجه المُلثَّم، لكن عينيه ظلتا تبرقان بلمعة شيطانية زادت الرهبة بقلبها، ألقت بالحقيبة تحت قدمها، أشار لها بأن تركُلها نحوه؛ ففعلت، لكنها ركلتها ببطء فوقفت بمنتصف المسافة بينهما! تقدَّم خطوتين، هبط يفتح الحقيبة، انتفض بضيق وما زال بموضعه...

- أين هو؟ أين ذاك الحاسوب؟

تعجبت للحظة! عاود هو النظر داخل الحقيبة، يده تفتش عن بُغيته! صرخ بها وما زال يُفتش...

- ضعي هذا المصباح أرضًا.

بتلك اللحظة الَّتي انحنت بها لتضع المصباح، ارتكز هو على ركبته ليهم واقفًا، عينه تنتقل بينها وبين الحقيبة، ومُسدَّسه المضطرب موجه نحوها، ومع نظرة له نحو الحقيبة ليلتقطها، وقبل أن يرتد طرفه نحوها، فاجأته بضربة قوية من المصباح على جانبه، تهشم زجاجه فوق رأس "**سعد**" بقوة ترنح لها جسده للخلف وسقط، وقد دوت على إثرها صرخته الَّتي أيقظت الموتى قبل الأحياء! اشتعلت نيران زيته من حوله، خلع سترته وأخذ يصفع بها ألسنة النار قبل أن تزداد من حوله، وقبل أن يعي ولت الفرار بعدما اختطفت الحقيبة.

راحت تركض على ضوء القمر الخافت، الَّذي لم يكن قويًا إلا أنه كان كافيًا حتى ترى تحت قدميها، تحاول تفادى طلقات الرصاص الَّتي راح يُمطرها حولها بعشوائية، وأيضًا

كافيًا كي ترى الشخصين الآخرين اللَّذين راحا يركضان باتِّجاهها، بعدما دوت صرخة **"سعد"** وطلقاته بالمكان! ما لم تكن تضعه بالحسبان أنه لم يأتِها وحيدًا! كانوا ثلاثة تفرقوا للبحث عنها، لكنه من وجدها أوَّلًا وأراد أن يظفر بغنيمته قبل أن يصلا، سبق ركضها نبضاتها الَّتي كادت تتوقَّف، كانت المسافات بين الأحواش ضيقة والشوارع كثيرة ومتداخلة، لملم دماءه وصوته، وحرقًا كبيرًا ألمَّ بساعده الأيمن، إلا أنه لم يُلملم حنقه الَّذي راح يركض بصدره أسرع من قدميه اللَّتين كانتا تركضان خلفها، صرخ بداخلها صوت واحد - «هيًّا استيقظي، أرجوكِ استيقظي الآن». اعتقدت للحظات أنه لا يتخطَّى كابوس ذكرياتها! كان تمنيًا ورجاءً يصرخ داخلها، إلا أن صدى عقلها أجابها بدوي طلقات الرصاص، الَّتي راحت تُحلق خلفها ويزداد صُراخها - «هذا لم يكن جزءًا من الحُلم». راحت تركض أسرع من أنفاسها، ارتطمت أكثر من مرَّة بجدران الأحواش، حتى وصلت لبقايا جدار مُنقض أغلق الطريق، وثبت فوقه دون تفكير؛ فسقطت والتوى كاحلها، تأوهت له بصرخة مكظومة، لكن تدفق الأدرينالين من الفزع بدمها كان أقوى من ألمها، ظلَّت قدماها تُسابقان أقدام **"سعد"** ورجاله، الَّذي كان يركض خلفها كالمجنون، يصرخ بموتها المحتوم على يدِه، ممَّا زاد ذُعرها، وصدى صُراخه يتردد بين ضلوعها قبل جدران المقابر من حولها، حتى وجدت نفسها تركض خارجًا بقدم ونصف! إلا أن الطريق الَّذي خرجت منه كان مختلفًا تمامًا عن الَّذي دخلت منه في البداية! اكتشفت لحظتها أنها كانت تركض بالاتِّجاه المُعاكس!

فلم تكن **"نادين"** تنتظرها، وقبل أن تفكر، ركضت سيارة نحوها! أتت مُقابلة لها يلهث صوت محركها بقوة! تضيء أنوارها الأمامية بهالة أعمتها عن رؤية قائد السيارة، الَّذي ظهر فجأة من العدم! كأنها خرجت من بين أشباح المقابر هي الأخرى، دوى صوت عناق إطاراتها للأسفلت بقوة كي تتوقَّف أمامها دون سابق إنذار! حتى كادت تصدمها، فارتمت **"شهد"** بنصفها العلوي على مقدمة السيارة! ممَّا أوقف الأنفاس، فأين لها المهرب الآن وقد بات الموت يسبقها خطوة! حينها فُتح باب قائد السيارة، أطل قائدها بنصف وجه وما زال مُتشبِّثًا بمقوده، صرخ بقوة تجمدت لها دماؤها الهاربة...

- هيًّا الآن يا **"شهد"**... اصعدي، إنهم خلفك.

أعادها **"جلال"** بصرخة أعلى ليستعيدها من صدمة مفاجأته لها! لتصطدم عيناها به وهو يعاود الجلوس خلف مقود سيارته، يميل بجذعه العلوي على الكرسي المجاور ليفتح بابه على مصراعه، عادت أنفاسها المُرتعبة ثانيةً إلى صدرها، لم تدرك الثانية التالية

إلا وهي داخل السيارة، الَّتي تنطلق بأقصى سرعة مُبتعدة عن ذاك الجحيم، تُلاحقها الطلقات من ثلاثتهم، لم تظفر أيٍ منها بهدفها! كانت مفاجأتها بوجود **"جلال"** بتلك اللحظة الفارقة، هي ما أخمد قليلًا من بركان الخوف الَّذي ثار داخلها، بتلك الدقائق الطويلة الَّتي فاقت السنوات، كادت تُوقف كلَّ ذرةٍ بها لولا اندفاع شلالات الأدرينالين بعروقها.

الخوف أشرس إحساس مُفترس يمكن أن تجابهه! عندما يجتاحنا الغضب والسُخط دائمًا ما نسأل اللّٰه الموت! نعتقده هدوءًا وراحة، أغلب الأوقات نتحدث بفخر عن أننا لا نخشى الموت ولا نخاف مجابهته، هذا حديث جيد جدًا لكنه لا يتعدى كونه حديثًا! لكن الحقيقة مختلفة تمامًا! عندما لا يفصلنا عن الموت سوى بضع خطوات! نكتشف أن الحياة ثمينة جدًا ربَّما هي أثمن ما نمتلك! عندما يركض الإنسان وموته بنفس الاتِّجاه! فإننا نُصارع بكلِّ قوتنا كي نغير اتِّجاهنا بعيدًا عنه، نتشبَّث بآخر أنفاسنا بكلِّ ما أوتينا من قوة، فلو اجتمع الموت والحياة بحلبة المصارعة ستكون كافة الاحتمالات راجحة! لكن الحقيقة الوحيدة المُؤكدة أن الإنسان لن يكون بمقاعد المتفرجين! سوف يُسارع إلى الحلبة ويُجاهد بكلِّ قوته أن يساند الحياة لتتغلب على الموت! ورغم أن الموت هو أحد الحقائق القليلة المؤكدة، إن لم يكن الحقيقة الوحيدة بعد وجود اللّٰه عز وجل، فإن الإنسان لن يتخاذل يومًا عن نُصرة الاحتمال! والتمسُّك بالحياة، والتشبُّث بها بكلِّ ما آتاه اللّٰه من قوة وضعف.

❦❦❦

قبل بزوغ الفجر عاد إلى منزله، يلعن ويسب كلَّ ما يقف أمامه أو يعبر بعقله، تلك العثرة الحمقاء الَّتي تحولت إلى أزمته الكونية، نزع عنه قميصه وجلس يُضمد جرح رأسه، أمسك **"سعد"** بالضمادات يضمد بها حرق ساعده، تكاد عروقه تنفجر غضبًا، يكزُّ على أسنانه ليس من ألم جراحه! لكن من صفعة هروبها الثانية، كيف لحمقاء مثلها لا تتذكَّر اسمها تنسل من بين أصابعه للمرَّة الثانية؟! وقف ينظر في المرآة لنفسه، رمق هذا الجرح بجبهته وساعده، بنظرات اغتل بها الكره والحقد في سهام، إن اخترقت مرآته لهشمتها كما فعل هو، حين لم يحتمل غضبه فدفع بقبضته المرآة أمامه، جلس إلى الكرسي وقد بدأت نيران حقده تخمد قليلًا، نظر نحو قبضته الَّتي تقطر دمًا! وعقله يصرخ – **"أيها الأحمق كيف تنسل من بين أناملك! كيف لم تُردِها قتيلة لحظة وقعت عينك عليها؟!"** لم يُقاطع شيطانه سوى رنين هاتفه، التقطه ونظر إليه ليجد

اسم **"كامل"** أمامه، فقذف به بالجدار المقابل له، ألقى بجسده على السرير، دقائق وغط في نوم عميق!

❀❀❀

على الجانب الآخر ومع أوَّل إشراقة لضوء الفجر، وصل بسيارته إلى منزل **"لُولا"**، ترجل كلاهما من السيارة و**"شهد"** تُطبق راحتها على الحقيبة، كانا كمن عاد من الجحيم، كانت **"ريري"** و**"لُولا"** تنظران إليهما بعيون مشدوهة! من تلك الحالة المزرية الَّتي يبدوانِ عليها وبالأخص **"شهد"**؛ فملابسها مُتسخة كما يديها، ووجهها مُغطى بالتراب، ولا تستطيع الوقوف على قدمها، أمسكت بها **"ريري"**، أجلستها إلى الأريكة، جلست بقربها، جلس **"جلال"** إلى الكرسي المُقابل لهما، جلست **"لُولا"** إلى الكرسي المجاور له، حلَّق السكون فوق الرؤوس، حين قاطعته **"ريري"** بقلق وهي تنظر نحوها...

- ما الَّذي حدث؟ وأين كنتِ حتى الآن؟ ما الَّذي فعل بكِ هذا؟

- هل كنتما معًا؟

أكملت بها **"لُولا"** الأسئلة باندهاش، فبدأ **"جلال"** بالحديث، أمَّا هي فلم تكن قد استردَّت باقي أنفاسها بعد، بدأ يقصُّ عليهما ما حدث، وسط انقباضات قلبيهما وشهقات أنفاسهما، هتفت **"ريري"** وهي تحتضنها...

- كيف تقدمين على هذا الجنون؟!

- كيف عرفت أنها هناك؟

كانت تلك **"لُولا"** وهي تنظر نحو **"جلال"**، الَّذي تلعثم وهو يهمُّ واقفًا...

- لا شيء، كنت قريبًا من عيادة **"رياض"**، وأردت التأكُّد من عودتها سالمة، وحين غيرت اتِّجاهها تبعتها.

قالها وهو يدور بعينه في كلِّ اتِّجاه، فقاطعت **"ريري"** تلعثمه...

- كيف علم هذا القاتل بمكانك؟

- أخبرتك أن الطعنة تأتي دومًا مِمَّن اعتقدناهم مُقربين!

هتفت بها **"لُولا"** وهي تمعن النظر بـ**"شهد"**، حين قالت الأخيرة بضيق...

- "**نادين**"!

- ومن غيرها كان يعلم أين أنتِ؟

لم ترد "**شهد**" بشيء، سكت الجميع عن الكلام، همَّت "**ريري**" تتفقد كاحلها، اتَّجه "**جلال**" نحو المطبخ يتجرَّع كوبًا من الماء، يُعيد به دماءه الهاربة، تبعته "**لُولا**" الَّتي وقفت مُقابلةً له عاقدةً ساعديها! وبابتسامة أمعنت النظر به، حتى أنهى ارتواءه ونظر لها مُتعجبًا، رفعت حاجبها بدلال...

- لِمَ لا تطلب إليه أن يصمت قليلًا؟

نظر إليها نظرة بلهاء، وهو يرفع حاجبه متسائلًا من تعني؟ تبسَّمت من جانبها وهي تقترب منه بهمس...

- قلبك... أكاد أسمع خفقانه من موضعي.

اتَّسعت حدقتاه وهو يمعن النظر بها، تقدَّمته نحو الخارج...

- ما الَّذي تتحدثين عنه؟

رمقت "**شهد**" بنظرة طويلة، ثُمَّ التفتت ناحيته رافعةً حاجبيها...

- لو كنت أعلم أن فقدان الذاكرة يُحرِّك القلوب، لكنت فقدتها منذ زمن!

- "**لُولا**" ما الذ...

- أتعتقد أنني صدَّقت أنك تبعتها مُصادفة؟! لهفتك عليها تكاد تُوقف نبضاتك!

- لا أعلم ما الَّذي تتحدثين عنه؟

قالها بتلعثم وهو يتدارك أنفاسه ونبضاته، اقتربت منه...

- انظر لعينيك في المرآة، ستجد ظلها يسكن حدقتيك.

راحت تُزيد بسمتها ودلالها، ثُمَّ تركته خلفها، اتَّجهت نحو "**شهد**" و"**ريري**" وازدادت تبسُّمًا لهما، ظلَّ واقفًا هناك لحظة، يملأ عينه بهذا الظل الَّذي تشبع قلبه به رُغمًا عنه، وليس فقط حدقتاه!

عاد لرشده بانتفاضة حين دوت طرقات الباب سريعة مُتلاحقة! أفزعت الجميع

وأوقفت النبض، انتفض كلٌّ بموضعه، طفا العرق بالجباه وهربت الدماء إلى دون رجعة، تقدَّم "**جلال**" بخطوات مُتثاقلة نحو الباب، نظر من عينه السحرية، لتصطدم عينه بالطارق! قبل أن يتراجع للخلف، هتف صوتها من خلف الباب...

- "**شهد**"... افتحي، أعلم أنكِ بالداخل.

تسمَّر الجميع على صوت "**نادين**" خلف الباب، صمت الكون لحظة، توقَّفت فيها الأنفاس واختلط الرعب بالنظرات، حين استعادت صخبه بطرقاتها وهتافها، فأشارت "**شهد**" له بفتح الباب، غضبت عيون "**لُولا**" و"**ريري**"، لكن ما الحل وطرقاتها ستُوقظ القُطرين؟! حين فُتح الباب اندفعت نحوها تحتضنها، تتفقدها بهلع بدا جليًا بنظراتها المذعورة...

- هل أنتِ بخير؟ هل أصابكِ مكروه؟

لم تجب بشيء، فقط ظلَّت ترمقها بتلك النظرة الساكنة، رغم ما يعتمل بصدرها، اندهشت "**نادين**" لصمتها ولتلك النظرة...

- ما بكِ يا "**شهد**"؟ لماذا تنظرين إليّ بتلك الطريقة؟

ظلَّت صامتة؛ فتولت "**ريري**" تلك المهمة من الجهر بالغضب...

- أحقًا تتساءلين؟ وتلك اللهفة بك لأجلها! وأنتِ من حاول قتلها؟

- ماذا؟

- أنتِ من سلمها إليهم!

- ما الَّذي تهذين به؟

صرخت بها "**نادين**" بوجه "**ريري**"...

- كيف عثروا علينا؟

قطعت بها "**شهد**" صراخهما والنيران المُحتشدة بالعيون، لتتساءل بنظرة مشدوهة، وهي تنظر نحوها...

- هل تعتقدين أنني من أرسل رجال "**أمجد**" خلفك؟! أخبرتك سابقًا أنه يراقبني لأجل الوصول إليك، لقد حاولت الهروب منهم قدر الإمكان، لكنهم تبعوني.

أمالت رأسها متعجبة! ونظرت نحو "**جلال**"، الَّذي تقدَّم نحو "**نادين**" خطوة...

- رجال "**أمجد**"؟

- وهل يتربص بها أحد غيره؟!

شردت "**شهد**" وما زالت على نظرتها «فربَّما هي حقًا لا تعلم».. هكذا همس عقلها، لكن "**نادين**" اعتقدت أنها مُكذبة لها! فهتفت بوجه "**شهد**" ودمعة تلألأت بعينها...

- إن كنت أريد إخبار "**أمجد**" عنك، لكنت أخبرته منذ البداية، أتعتقدين أنني لم أكن أعرف مكانك؟! أنت مخطئة، أنا أعرف أين أنت منذ لقائنا بالملهى، لكنني لم أفعل، حتى إنني لم أخبر "**صلاح**" رغم إلحاحه المُستمر، لأَنني لم أخنك سابقًا ولن أفعلها الآن، ويمكنني إخبارك بكلِّ ورقةٍ داخل تلك الحقيبة، لأنني أقرب إليك منكِ.

صرخت بالجملة الأخيرة وهي تقترب منها خطوة، فغرقت كلاهما بعين الأخرى، التف بهما الزمان لحظة، كما الثلاثة من حولهما...

- أنا لم أخبر "**أمجد**" شيئًا.

- لم يكن هذا "**أمجد**"!

كزَّت بها "**شهد**" على أسنانها حنقًا على "**نادين**" الجاهلة بحُمقها لما يحدث! فغرت الأخيرة عيناها وفمها تعجبًا فباتت لا تفهم شيئًا! وقفتا متقابلتين للحظة وقفت بها الذكريات بينهما! فكلُّ ما تتذكَّره "**شهد**" عن تلك العيون يؤكد أنها شخص كانت تأمنه، لكن عقلها يصرخ - «أوَلم تأتِ الخيانة دومًا من شخص نأمنه؟!» أمَّا "**نادين**" فرغم مرارة سهام الشَّكِّ بعينها، فإنها تلتمس لها كلَّ الأعذار، فما تمر به درب من جنون، يقف بها دومًا على حافة الهاوية! قاطع تلك الثورة الساكنة "**جلال**"...

- حتى وإن كنتِ مُحقة، ما كان يجدر بكِ المجيء إلى هنا، ربَّما أحدهم تبعك كما حدث عند المقابر، هذا إن كانوا حقًا تبعوكِ دون علمك.

التفتت "**نادين**" نحوه بنظرة حانقة...

- تلك المرَّة أنا من تبعهم!

انتفض عقل "**شهد**" كما حدقتيها، جذبتها من ذراعها وجذبت معه عينها...

– تبعتهم!

– ليس ثلاثتهم، واحد فقط! حين سمعت إطلاق النار تلبسني الرعب، لكنني لم أستطع الهروب كما طلبتِ إليّ؛ لذلك اختفيت بالسيارة بشارع بعيد بعض الشيء، على أمل خروجك لكنك لم تخرجي، بل خرجوا ثلاثتهم، كان من يصدر الأوامر غاضبًا بشدة، اعتقدته **"أمجد"** فوجهه لم يكن ظاهرًا في الظلام فتبعته دون أن يلحظ حتى وصل بيته.

– هل أنت متأكِّدة من هذا؟

تساءل بها **"جلال"**، فأردفت...

– بالطبع، نحن نعلم أن **"أمجد"** لديه شقَّة خاصة يحتفظ فيها بكلِّ شيء، كلِّ أمواله المشبوهة والأوراق وكلِّ شيء قذر يواريه؛ لذلك تبعته ربَّما نستطيع إمساك أي ورقة ضده، واعتقدت أنني نجحت بهذا.

– هذا أكثر ممَّا كنَّا نأمل به.

هتفت بها **"ريري"**، فقطبت **"نادين"** حاجبيها...

– من هؤلاء يا **"شهد"**؟ ولِمَ حاولوا قتلك؟ وكيف وصلوا إليّ؟ إن كانوا تبعوني أنا من الأساس!

– تلك قصَّة أخرى!

قالتها **"لُولا"** بنظرة قلقة، جلست **"نادين"** إلى الأريكة...

– أنا لن أذهب إلى أي مكان.

تبادلوا جميعًا النظرات، هتف **"جلال"** وهو يتجه نحو الحقيبة....

– لنرَ أوَّلًا ماذا لدينا هنا؟

– مرحبًا بك في عالم **"الآس"**... أعتقد أن ذلك سيكون جزئي المفضل!

تبسَّمت بها **"نادين"** وهي تغمز لـ**"شهد"**، الَّتي تعجبت من تلك النظرة على وجهها، دنت من الحقيبة، وضعتها على الطاولة الصغيرة بالمنتصف، فتحتها لتقف عينها دون حراك! حين وقعت على أوَّل شيء بها! فاندهش جميعهم من ردة فعلها، اقترب **"جلال"**

وهو ينظر داخلها، ثُمَّ رفع عينه بدهشة نحو "**شهد**" الَّتي ما زالت لا تتحرَّك! ومد يده ليُخرج من الحقيبة مُدْية مُضرَّجة بالدماء داخل مُغلَّف بلاستيكي! وبيده الأخرى أخرج كثيرًا من الدولارات! فزادت أحداق "**ريري**" و"**لُولا**" اتساعًا! وعين "**جلال**" مُعلَّقة بعين "**شهد**" المُعلَّقة بما في يديه! قلب المُدْية بين يديه، ليجد مكتوبًا على الجهة الأخرى من الغلاف البلاستيكي - "**أمجد المسيري**"! وقفت "**نادين**" وقد ظفرت عينها بنظرة المُنتصر، انضمَّت للحلقة الرباعية حول الحقيبة، هتفت بصوت مُبتسم وهي تُمسك بها...

- تلك هي بطاقة مرورنا لعالم نظيف، كان لدى "**شهد**" خُطة محكمة لإخراجنا من تلك الفوضى.

وضعت يدها داخل الحقيبة، تُفتش عن شيء بعينه! أخرجتها وبيدها ثلاثة جوازات مرور دولية! مدت يدها بهم إليها...

- لم أكن لأخونك يومًا.

أمسكت "**شهد**" بهم وما زالت الدَّهشة تعتليها! فتحت الأوَّل لتجد صورة لـ"**هنا**" أختها، لكن باسم آخر وكُنية أخرى! الثاني داخله صورتها وأيضًا بهوية أخرى وذات الكنية! فتحت الثالث لتصطدم عينها بصورة "**نادين**" وأيضًا تحت هوية مختلفة وذات الكنية! أمسك "**جلال**" بالجوازات، تلاقت عيون "**شهد**" و"**نادين**" وهو يقرأ الأسماء، وبصوت متعجب...

- تلك هويات لثلاث أخوات لذات الأبوين!

- هذا لأننا إخوة، وإن لم يجمعنا الدم أو الاسم! وما كان أحد ليشكَّ بأننا لسنا كذلك فالشبه بيننا كبير في الجسم والشكل ألا ترى هذا يا أحمق؟!

هتفت بها "**نادين**" في وجهه بضيق، رمقها "**جلال**" بنظرة غاضبة، تعلَّقت بكلتيهما عيون "**لُولا**" و"**ريري**" فقد كانتا بالفعل متشابهتان كما الإخوة، تراجعت "**شهد**" للخلف، جلست على الأريكة وقد اعتلاها الضيق، أخرجت "**نادين**" مجموعة أسطوانات وأوراق من الحقيبة...

- لقد تواصلت "**شهد**" بطبيب أجنبي لأجل "**هنا**"، وافق على معاينتها وأبدى تفاؤلًا نحو حالتها؛ لذا اتفقنا على أن نُغادر مِصر، لكن كان لدينا عقبة! لم يكن "**أمجد**"

ليتركنا نرحل ببساطة ورقبتنا تحت يده، خاصة أن ما يحصل عليه من نفوذ وأموال من المعلومات الَّتي نوفرها له لا يُقدَّر بثمن.

همت **"نادين"** بالجلوس إلى جوارها، اتَّخذ الجميع مجلسه، فاسترسلت...

- لم تكن **"شهد"** لتُفوِّت تلك الفرصة، وهي من تورَّط بكلِّ هذا من الأساس لأجل **"هنا"**؛ لذا قررت أن تقلب موازين اللعبة، والسحر على الساحر! فبدأنا بالتلصُّص على **"أمجد"**، وقمنا بالتسجيل له، سجَّلنا الكثير من أعمالنا الأخيرة، كلَّ ما كان يطلبه **"أمجد"** منَّا، سواء من **"شهد"** من اختراق حسابات، أو رسائل إلكترونية لرجال أعمال، أو حتى بعضًا من زملائه ورؤسائه بالعمل، أو مني حين كان يطلب إليّ ملاحقة أحدهم، والحصول على كافة أسراره، ومعرفة كلِّ ما يخصُّه من قاذورات لا تظهر في وضح النهار، وكما تلصَّصنا له تلصَّصنا عليه، واكتشفنا أننا لسنا وحدنا من يستغلهما! فغيرنا كثيرون.

صمتت لحظة وهي تنظر لـ**"شهد"**، الَّتي بدأت تلك القطع الكثيرة المُتلاحقة سابقًا بعقلها، تتخذ نسقها وموضعها باللَّوحة الكبيرة داخل رأسها، بدأت تتضح معالمها رويدًا رويدًا، فاستطردت **"نادين"**...

- في وقت قريب من الحادث، كنَّا نراقبه وكان يساوم أحد تجار المخدرات على بعض المعلومات الَّتي علمها عن طريق **"شهد"**، حدث نزاع فقتله **"أمجد"** بتلك المُدْية، ولسوء حظه هرب فزعًا من أن يراه أحد، والأهم دون أن ينتبه لها، حصلت عليها **"شهد"** وبها دم القتيل والأهم بصماته! وبها أصبح لدينا ما يكفي لإزاحته عن الطريق، كان من المفترض أن يتم ذلك بذات توقيت الحادثة.

صمتت، لتتساءل **"ريري"** بلهفة...

- وما الَّذي حدث؟

- في ذلك الصباح اتَّصل **"أمجد"** وأصرَّ على لقاء عاجل، قال أنه عمل لا يحتمل التأجيل وسنحصل منه على أموال كثيرة، بالبداية ادَّعت **"شهد"** بأن لديها أمرًا هامًا، لكن مع إصراره وافقت؛ فقد كانت لا تريد إثارة شكِّه تجاهنا، حتى نتأكَّد من أن كلَّ شيء جاهز، خاصة أن حالة **"هنا"** لم تكن مستقرة ولا تساعدها على السفر.

- وما الَّذي حدث؟

تساءلت بها "**شهد**"، فدمعت عين "**نادين**"...

- ذهبتِ ولم تعودي.

أطرقت لحظة، حل بهم السكون الَّذي قاطعته "**لُولا**"...

- ربَّما علم "**أمجد**" بما تخططان له؛ فقرر الغدر بكما أوَّلاً!

- لا أعتقد ذلك، فلو كان هو لأزاح كلتينا، والأهم أنه كان يرتعد مثل فأرٍ خوفًا من أن تأتي "**شهد**" على ذكره، ولم يحاول الاقتراب مني إلا بعد هروبك.

- هل من أحد آخر كان يعلم بما تُخططان له؟

تساءل بها "**جلال**"؛ فهزت "**نادين**" كتفها وهي تنظر نحو "**شهد**"...

- كلَّا.. ولا أعتقد أنكِ أخبرتِ "**صلاح**" عن الأمر! فأنتِ من أكَّد على أن يظلَّ كلُّ شيءٍ طي الكتمان، حتى التواصل مع الطبيب الأجنبي تمَّ عن طريق المشفى في سرية تامة.

- هذا يؤكد أن "**أمجد**" هو صاحب الرسالة بالمشفى؟

تساءلت بها "**ريري**"، قطبت "**نادين**" حاجبيها...

- لا أعلم شيئًا عن هذا! لم يخبرني إن كان اتَّصل بكِ أم لا، لكنه أخبرني أنه التقاكِ بمكتب "**شريف الزَّهَّار**" وأنكر معرفته بكِ.

رفعت "**شهد**" عينها نحو "**ريري**" وقد احتقن الدم الغاضب بوجهها...

- أعتقد أنني أعلم من سيخبرني بهذا!

❀❀❀

في مساء اليوم التالي قبل دقات التاسعة بقليل، صحبتها "**نادين**" إلى منزل "**صلاح**"؛ لأنه لا يتوقَّف عن إلحاحه لرؤيتها، والأهم حتى يتوقَّف عن مُلاحقة "**نادين**" طوال الوقت، تركتها "**نادين**" أمام البناية وذهبت لإنجاز شيء اتفقتا عليه! وقبل أن تُغادر أكَّدت عليها "**نادين**" بأنها لم تخبر "**صلاح**" أي شيء يخصُّ مكان اختبائها أو ما حدث باللَّيلة السَّابقة عند المقابر!

طرقت الباب عدة مرَّات، لحظات وأتاها صوت رجولي بالإجابة، تململت بوقفتها

حتى فُتح الباب، وقف لحظة ينظر إليها، كأنه لم يعرفها بمظهرها الجديد! حتى تلاقت العيون وتبسَّمت من جانبها، وهي تتساءل بتلعثم...

- **"صلاح"**!

فغر فاهه، ارتسمت بسمة متعجبة على وجهه...

- **"شهد"**... **"شهد"** حبيبتي أهذه أنتِ؟!

وقبل أن تتنفس اختطفها إلى صدره...

- لا أصدق عيني، أنتِ هنا، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.

لم تجب بشيء، ظلَّت لحظة تحاول استيعاب تلاحق ذكرياتها المُندفعة عنه بغزارة، فكَّت يديه عنها برفق، وبابتسامة مضطربة خطت إلى الداخل، تبعها وأغلق الباب، وبلهفة...

- كيف أحوالك يا حبيبتي؟ حاولت كثيرًا الوصول إليكِ لكن للأسف لم أستطع، لا تعلمين كم آلمني أن أقف مكتوف اليدين لا أستطيع مساعدتك.

- لا بأس.

قالتها وهي تميل برأسها مُتصنِّعة ابتسامة، فقال **"صلاح"** بضيق...

- أخبرتك ألَّا تذهبي، كنت أشعر بشيء سيئ حيال هذا الأمر.

- هل تعلم ماذا كنت أفعل بذلك المكان؟

تساءلت بها وقد أصبحت في منتصف الاستقبال، أجاب وهو يُحرِّك كتفيه بتلعثم، وأصبح يقف مُقابلها...

- كلَّا يا حبيبتي أنتِ لم تخبريني، لم تخبري أحدًا قط.

صمت لحظة ثُمَّ استطرد وهو يُجلسها على الأريكة...

- أخبرتك ألَّا تذهبي لكنك دومًا عنيدة، غير أنكِ أخبرتني أنه لا يمكنك التراجع!

أمالت رأسها بزفرة يأس، استعادها بحدة صوته...

- أريد أن أعرف أين تختبئين؟

– لا مكان محدَّد، أتنقل بين أماكن مهجورة.

همَّت واقفة، تحكُّ مُؤخِّرة رأسها، فهبَّ واقفًا خلفها...

– إذًا ستظلين هنا.

– لا يمكنني.

– بلى يمكنك.. لا تعلمين كيف كان حالي وأنتِ بعيدة عني، ولا أعرف أين تختبئين أو من يساعدك.

– لا أحد.. أتعتقد أن هناك شخصًا عاقلًا سيساعدني، وأنا هاربة من حكم بالإعدام، والشرطة تُفتِّش عني بكلِّ مكان! غير أنني لا أتذكَّر أحدًا كي ألجأ إليه.

راحت تنظر بالاتِّجاه الآخر، وينظر نحوها بعدم تصديق! لكنه تجاوز ما قالته، عادت والتفتت نحوه...

– هل تقابلنا بتلك اللَّيلة؟ ليلة الحادث!

– كلَّا، لقد اتَّصلت بكِ كي نتقابل لكنكِ أخبرتني أنكِ مشغولة، ستنجزين عملًا ثُمَّ تأتين، انتظرتك و**"نادين"** كثيرًا لكنكِ لم تأتي، هاتفكِ ظلَّ مُغلقًا إلى أن قرأت الخبر بالصحف.

– لم تحاول الاتصال بي في المشفى؟!

– كلَّا، فلم أعلم عنكِ شيئًا سوى بعد نقلك إلى السجن.

أمعنت النظر بكفيه لحظة! زادت زفرة يأسها وهمَّت للمغادرة، انتفض مُعترضًا طريقها...

– إلى أين؟ أنتِ لن تذهبي لأي مكان يا حبيبتي!

هتف بها بإصرار، شردت للحظة وقد انتابها شعور لم تفهمه! وبتصميم ونبرة قاطعة...

– لنقل أن هذا وضع مؤقت، أعدك سأعود، لكن الآن يجب أن أُغادر.

– إلى أين ستذهبين؟ أريد أن أعلم، أن أطمئن عليكِ

– حين أستقر بمكان سأخبرك.

أحنى رأسه استسلامًا، أشار لها بأن تنتظر، اتَّجه نحو الداخل لحظات، عاد وبيده شيء! أمسك بكفها، فتحها، وضع بها قلادة صغيرة...

– تلك قلادتك.

أمالت رأسها بدهشة، وهي تمعن النظر به، فاستطرد...

– تركتها لدي، قبل الحادث بيوم أو اثنين، لا أتذكَّر تحديدًا، فقد كانت تحتاج لإصلاح.

وضعتها بجيبها حتى دون أن تنظر لها! تبسَّم لها...

– سأذهب لأعد شيئًا نأكله معًا، فلقد انفتحت شهيتي للعالم أجمع.

رسمت ابتسامة على ثغرها وجلست على الأريكة، ذهب إلى المطبخ يُعدُّ العشاء، ظلَّت لحظة شاردة بشعور يُهاجمها بضراوة! فتحت راحتها، أمعنت النظر بقلب القلادة بيدها! كان قلبها يمثل **"الآس"**!

أعد الطعام، خرج حاملًا صينية وهو يبتسم، وضعها فوق الطاولة، التفت نحو الأريكة حيث تركها، لكنها لم تكن هناك! التفت نحو الباب فوجده مفتوحًا! ركض نحوه، نظر خارجًا فلم يجدها! صفعه بغضب، هرع نحو النافذة فوجدها تعبر الطريق إلى الجانب الآخر، وقف يرقبها بحنقٍ طار بصدره، لحظة واختفت بأحد الشوارع الجانبية، وصوت بداخله يصرخ دون توقُّفٍ – «لماذا غادرت؟!»

***

على الجانب الآخر، كان **"شريف"** يجلس خلف مكتبه، و**"سمير"** إلى جانب المكتب، فتح ملفًا وراح يقرأ باهتمام، فاقه اهتمام **"شريف"** بالإنصات...

– **"صادق رضوان"** واحد من أكبر رجال السياحة، يمتلك مجموعة من القرى السياحية الهامة المتفرقة في أنشط الأماكن السياحية بمصر، متزوج ولديه فتاتان، لديه علاقات مع كبار الساسة ورجال الأعمال، ويُعَدُّ المنافس الأقوى لـ**"العليمي"**.

صمت وأغلق الملف، عاد **"شريف"** بظهره للخلف وهو يحكُّ ذقنه...

- أهذا كلُّ شيء؟ ما من صدامات بينهما؟ مشاجرات حدثت في العلن؟ شيء تسبب في بثِّ الكره المُعلن بينهما؟ شيء يؤدي إلى القتل يا "**سمير**"؟

- الكثير والكثير لكن كلها في الخفاء، هؤلاء القوم لا يجهرون بكرههم قولًا! بل يجهرون به قتلًا وحرقًا وتدميرًا!

تبسَّم من جانبه وهو يزفر بنظرة ذات معنى ممَّا يشير إليه "**سمير**"، الَّذي عاد واستطرد وهو يبادله ذات النظرة...

- كان هناك مزاد سيُقام لبيع مساحة أرض كبيرة تخص الدولة، وكلاهما كان عازمًا على خوضه، ما من شيء آخر حيوي في الفترة الماضية، أو على الأقل علني، لكن الكره بينهما شيء لا يخفى على أحد، كلاهما كان يتربص بالآخر.

- "**صادق رضوان**" هو أكثر من سيستفيد من إقصاء "**العليمي**" خارج اللعبة.

قالها وهو يهمُّ بالوقوف من خلف مكتبه، فتساءل "**سمير**" بتعجب...

- هذا مؤكد، فكلُّ طرقنا تؤدي إليه، أتعتقد أن "**شهد**" تعمل لحسابه؟

- ربَّما... وربَّما...

صمت لحظة، قطب حاجبيه وهو يضع يديه بجيبيه ويتجه نحو النافذة، وأردف "**شريف**"...

- لنقل أن "**صادق**" أراد إزاحة "**العليمي**" عن الطريق، فأرسل إليه من يقتله.

- هذا يبدو منطقيًا جدًا، وخاصة مع كلِّ تلك المؤامرات الخفية بينهما.

صمت "**سمير**" لحظة وهبَّ واقفًا، ثُمَّ استطرد وهو يلتفت نحو "**شريف**"...

- لكن ما ليس منطقيًا على الإطلاق أن يستأجر مُقتحمة مواقع لقتله!

التفت نحوه "**شريف**" بنظرة تمعن، وهو يشير نحوه بسبابته...

- والأكثر غرابة أن تقبل هي؟ أعتقد أننا ننظر بالاتِّجاه الخاطئ من اللَّوحة!

أمال "**سمير**" رأسه بعدم فهم، تقدَّم "**شريف**" نحوه بخطى هادئة وما زالت يداه بجيبيه...

– لمَ لا ننظر من الزاوية الأخرى، لمَ لا يكون قد استعان بها لسرقته وليس لقتله، أنت ذكرَت أنه كان هناك صفقة كبيرة قادَمة! لمَ لا يكون **"صادق"** قد استعان بها لسرقة بعض من أسرار **"العليمي"** الَّتي تخص تلك الَصفقة، بعض الأسرار الثَّمينة؟

– وحين فاجأها **"العليمي"** قتلته!

هتف بها **"سمير"** بنظرة فوز، فأجاب **"شريف"** وهو يحكُّ ذقنه...

– ربَّما... وربَّما...

– ماذا؟

عاد والتفت نحو النافذة، شرد للحظة في تلك النجوم أمامه....

– أنها لم تكن وحيدة بالفيلا!

– ماذا؟

هتف بها **"سمير"** وقد تملَّكت الدَّهشة من أساريره، فاسترسل **"شريف"**...

– هي تلقَّت ضربة قوية على رأسها، والأداة الَّتي استُخدمت بهذا اختفت من مكان الجريمة! لا بد من وجود ثالث، فهي مُقتحمة مواقع ولا خبرة لها باقتحام المنازل، استعانوا بشخص يُمكِّنها من الدخول، ويحرص على أخذ ما ستجده! ولسبب ما حدث تغير بالخطة، حدث شيء لم يكن بالحسبان؛ فقتل كليهما أو هكذا أعتقد!

– أعتقد أن هذا يجعل كلَّ شيءٍ منطقيًا الآن، لكن يظلُّ لدينا عقبتان!

– الأولى؟

تساءل بها وقد التفت إليه، فأجابه **"سمير"** وهو يتقدَّم نحوه...

– لا دليل واحد ضد **"صادق"**، وتظلُّ كلُّ هذه تكهنات، إلا إذا أمسكنا بـ**"شهد"** واعترفت بالعمل لصالحه.

– والثاني؟

– ما الَّذي سرقته **"شهد"** من داخل الفيلا وهرب به الثالث؟

تساءل بها **"سمير"** باهتمام ليهتف **"شريف"**...

– هذه هي... نفت زوجة "**العليمي**" اختفاء أي شيء مادي من الفيلا، وإن كان ما تمَّت سرقته هي معلومات فبالطبع لن يكون لديها خلفية عن ذلك، والوحيدة الَّتي تعلم ما تمَّت سرقته هي "**شهد**".

– وهي هاربة... وربَّما حقًّا فاقدة للذاكرة.

هتف "**سمير**"، حكَّ "**شريف**" لحيته وابتسامة من جانبه...

– إن علمنا ما الَّذي تمَّت سرقته، سيكون لدينا دليل دامغ ضد "**صادق**"، هذا هو حل اللغز.

– أعتقد أن إجابة هذا السؤال ستكون هي الأصعب.

زفر بها "**سمير**" بلمحة يأس عبرت عينه، فتبسَّم "**شريف**" من جانبه وعقله يُحادثه – «سنرى بهذا الشأن». استعاده "**سمير**" من شروده...

– ماذا سنفعل الآن؟

– الآن لن يغيب "**صادق**" عن عينيك مهما حدث، وأنت بنفسك من سيتولى تلك المهمة، هل تفهمني جيدًا؟

قالها بقطعية وحِدة وهو يعاود الجلوس خلف مكتبه، فتساءل "**سمير**" وهو يجلس إلى جانب المكتب...

– هل أتيت بإذن النيابة بتلك السرعة؟

– عن أي نيابة تتحدث؟!

قطب بها حاجبه، وقبل أن يقول "**سمير**" شيئًا، استطرد...

– نفذ ما طلبته إليك، وحين نجد ما نفتش عنه، سنتدبَّر أمر تلك الأوراق والشكليات.

أمال "**سمير**" رأسه إيجابًا وهمَّ مُغادرًا، أمَّا "**شريف**" فقد أشعل سيجارة وهو يُمسك بالملفِّ أمامه وراح يتفحَّص كلَّ حرفٍ به، وينفث به دخانه، فلم يعد يفصله عنها سوى خطوة واحدة، ويعلم جيدًا كيف سيخطوها!

❦❦❦

في العاشرة تمامًا، كانت "**نادين**" تجلس ساكنة خلف مقود سيارتها بالشارع

الرئيسي، تُمسك بهاتفها الخلوي وتنظر إلى شاشة تحديد المواقع! تحديدًا تُسلِّط عينها على نقطة حمراء قابعة في مكانها! انتفضت أنفاسها فجأة! حين بدأت النقطة في التَّحرُّك على الشاشة أمامها، أدارت مُحرِّك سيارتها وراحت تنقل بصرها بين النقطة وبين الطريق! كُلَّما انعطفت على الشاشة انعطفت هي على الطريق! مرت ثلاثون دقيقة وهي على ذاك الحال، توقَّفت النقطة فجأة فتوقَّفت هي الأخرى، لتجد نفسها أمام أحد الفنادق الفاخرة! تبعت النقطة إلى موقف السيارات الخاص بالفندق، نظرت في مرآتها الأمامية تُعدِّل من خصلات شعرها، أو هكذا بدت! لكن عينها كانت مُعلَّقة بالسيارة الَّتي اصطفت بالجهة المُقابلة من خلفها، لترى صاحب العقرب يهبط منها مُتجهًا إلى الداخل! ما كان منها إلا أن تبعته للداخل بارتجافة سكنت قلبها! كانت على بُعد خطوات قريبة منه، كانت تخشى أن تفقده، راح عقلها يسخر منها - «أوَلم يكن من الأسهل أن تضعي عليه جهاز تتبع كما فعلتِ بسيارته؟»

وصل **"سعد"** إلى الملهى اللَّيلي بالفندق، و**"نادين"** من خلفه، اتخذت مجلسها إلى أقرب طاولة للباب واختارتها بعيدة قليلًا وبركن مُظلم، ظلَّت عينها تتابعه حتى وصل إلى طاولة بنهاية الملهى، يجلس إليها رجل يبدو ذا هيبة، يحيط به بعض رجال الحراسة، جلس إلى جانبه، لم تتبين **"نادين"** ملامحه كثيرًا فقد كانت المسافة بينهما بعيدة، ظلَّت لحظات جالسة حين شعرت بأن صاحب الطاولة غاضبًا! همَّت من مجلسها واتخذت مكانًا مرتفعًا وقريبًا بعض الشيء، أخرجت هاتفها وقامت بالتقاط بضع صور لهما على عجلة منها، وهبَّت للمغادرة.

وفي طريقها للخارج سألت أحد العاملين عن صاحب الطاولة، فأخبرها بأنه رجل ذو سطوة، وأنه من أهم رواد الملهى والفندق، خرجت وهي تُردِّد اسمه بعقلها، كمن يحاول حفظ شيء يخشى أن ينساه - **"كامل عمَّار"**!

بعد منتصف اللَّيل، غادر **"أمجد"** منزله على إثر مكالمة هاتفية من **"نادين"** تخبره بتحديد موعد لقائها بـ**"شهد"**! كان مُتعجلًا حتى إنه وصل قبل الموعد المُحدَّد، وصل إلى ذات الطريق الزراعي المهجور المتفق عليه، كانت **"نادين"** هناك تجلس بسيارتها وحيدة، لكن تلك المرَّة لم تكن خائفة! أطفأ مُحرِّك سيارته ليُظلم كلُّ ما حولها وتذوب هي وسط الظلام! ترجَّلت من سيارتها وذهبت إليه، جلست بالكرسي المجاور له، أخرج علبة سجائره، أشعل واحدة، ألقى بالعود الخشبي خارجًا، وهو يزفر وينظر بساعة يده...

- أين هي؟

- على وصول... أقل من لحظات وتكون هنا.

- هي لا تعلم أنني هنا!

قالها وهو يسحب مُسدَّسه من غمده ليتفقده، سحب الخزينة للأسفل، تأكَّد من عدد طلقاته، أعادها بقوة ليُحدث صوتًا أجفلت له **"نادين"** لحظة من الرعب، وهو يسحب معه من سيجارته شهيقًا بتلذذ حانق، وقبل أن يزفره شعر بشيء بارد يستقر بمُؤخِّرة رأسه! أجفله الخوف قبل الغضب للحظة، زفره بهدوء وهو يرفع عينه نحو المرآة أمامه، ليجد حدقتي عينيها تلمعان بغضب وسط هذا الظلام، وبصوتها الهادئ...

- أعتقد أن تحتفظ بمُسدَّسك وكلتا يديك فوق عجلة القيادة، سيكون أفضل لنا جميعًا.

قطب حاجبيه غضبًا وهو ينظر لها بالمرآة، ثُمَّ نحو **"نادين"** بنظرة تزداد كُرهًا، فبادلته إياها بسخرية...

- ربَّما نسيت أن أُخبرك أنك من يُقلِّها! لكنني أخبرتك أنها ستصل بأي لحظة.

قالتها وهي تسحب مُسدَّسه وتغمز له بعينها، أضاءت **"شهد"** مصباح السيارة للحظات، وهي تمعن النظر بيديه فوق عجلة القيادة، وترى ساعته بيده اليمنى...

- هلَّا تدير راحتك اليمنى!

قطب حاجبه دهشةً وضيقًا، إلا أن نظرتها كانت صارمة فأدار كفه، لتُمعن النظر بجرح قديم سكن راحته، عبر بعقلها صوت المُمرِّضة بالمشفى - «كان بكف يده اليُمنى جرح يبدو قديمًا، وكان يرتدي ساعة اختلط بها اللون الفضي والأسود، يرتديها بيده اليمنى». تنفست الصعداء فقد وجدت ضالتها بعد طول انتظار، عادت من غفوة ذكرياتها...

- لقد تقابلنا سابقًا يا **"أمجد"** بك!

- نحن بيننا عشرة كبيرة يا صديقتي.

قالها بسخرية حانقة، وهو يشدُّ بكفيه على عجلة القيادة، فلم يكن بحسبانه أن المفاجأة الَّتي رتبها لها ستكون من نصيبه بالنهاية! فبادلته إياها **"نادين"**...

- وأنت خير من يحفظ العشرة يا "**أمجد**" بك.

لتخرج "**شهد**" عن صمتها...

- دعني أتذكَّر، بمكتب "**شريف**" حين أنكرت معرفتك بي! رغم أنك صاحب الرسالة بالمشفى.

- عن أي رسالة تتـ...

ضغطت رأسه بفُوَّهة المُسدَّس؛ فصمت، واقتربت هي من أذنه، بنبرة احتشد بها الغضب والكره من كلِّ ما آلت حياتها إليه على يده...

- لا تختبر صبري، صدِّقني لن يعجبك أن ترى نصفي الجديد، فحقيقةً لم يعد لدي ما أخسره.

أمال رأسه بضيق، وقد ارتعدت فرائسه من إحساس اليأس بصوتها، فربَّما بالماضي عرف كيف يُخضعها، واستطاع السيطرة عليها، أمَّا الآن فيحاول إيجاد الطريقة المناسبة للَفِّ الطَّوق حول رقبتها دون أن يُشاركها به! تمالك خوفه وضيقه، تململ بجلسته مُتلعثمًا...

- اعتقدت أن الأمر بسيط، ويمكنني إخراجك منه فحاولت طمأنتك، لكنه كان أسوأ ممَّا اعتقدت، لا أعلم حتى الآن أكان فقدان الذاكرة لصالحك أم ضدك، فلقد ساء الأمر سريعًا، لم أستطع فعل شيء.

- لذلك أنكرت علاقتك بي، وسلمتهم أختي!

- "**شريف**" ضغط عليَّ بكلِّ قوة؛ فلم أستطع الفكاك، غير أنها كانت سبيل الوصول الوحيد إليك، سواء تتذكَّرين أو لا كنت أعلم أنكِ ستذهبين إليها، وحينها أجدك وأساعدك.

اشتعلت بسمة غضب ساخرة بحدقتيها، سحبت قيد المُسدَّس، ضغطت مُؤخِّرة رأسه، وبنبرة كره ارتعدت لها "**نادين**" قبل "**أمجد**"، الَّذي بدا اضطرابه واضحًا، فقد راح الحبل يُفلت من يده، وستنقلب الطاولة على رأسه...

- لِمَ لا تبدأ بإخباري شيئًا أريد سماعه؟!

- بكلِّ الأحوال لا أعلم الكثير، في ذلك اليوم اتَّصل بي "**العليمي**" صباحًا، كانت

بيننا معرفة سابقة، أخبرني أنه يريد شخصًا موثوقًا لفتح جهاز حاسوب نقَّال يخصُّه، يحوي معلومات هامَّة تخصُّ عمله، أراد أن يتم هذا بأقصى سرعة ممكنة.

- ما هو نوع المعلومات الَّتي كانت داخل الجهاز؟

كانت تلك "**نادين**"، فهتف...

- لا أعرف، لم يخبرني، فـ"**العليمي**" ليس أحمق ليخبرني شيئًا كهذا!

- قلت أن الجهاز يخصُّه؟

تساءلت بها "**شهد**"؛ فاستطرد...

- هو قال هذا لكنني لم أصدقه، إن كان يخصُّه لمَ لا يذهب ببساطة إلى التوكيل الخاصِّ بالجهاز ويفتحه؟ غير أنني حين حاولت تصنُّع عدم معرفتي بشخص يمكنه المساعدة، عرض سبعة آلاف لفتحه.

- سبعة آلاف جنيه لفتح جهاز حاسوب يحوي معلومات تخصُّ العمل، هذا هراء.

هتفت بها "**نادين**"؛ فتبسَّم "**أمجد**" بسخرية، وهو ينظر بعين "**شهد**" بالمرآة...

- أنتِ حقًّا لا تتذكَّرين، نحن تحدثنا عن سبعة آلاف دولار.

انتفضت "**نادين**" بمجلسها من وقع الرقم على أذنيها، التفتت نحو "**شهد**" الَّتي تسمَّرت عيناها بمكانهما، اجتاح خلدها - «ما نوع المعلومات الَّتي تستحق مبلغًا كهذا؟!» لتتساءل...

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- ذهبنا معًا لمُلاقاة "**العليمي**" في التاسعة مساءً تقريبًا، لم يكن الجهاز معه، قال أنه شيء ثمين ويحتفظ به في مكان آمن، كان الاتفاق أن نذهب معه إلى فيلته الخاصَّة، وهناك سيتمُّ كلُّ شيء، تفتحين له الجهاز ونحصل على الأموال.

- وبالطبع تصنع لك نسخة من تلك المعلومات دون أن يلحظ هو، كما يحدث بكلِّ مرَّة.

هتفت بها "**نادين**" بسخرية حانقة، فبادلها "**أمجد**" ذات النظرة بضيق، عادت "**شهد**" تتساءل...

– وما الَّذي حدث بعدها؟

– جاءني اتصال من رئيسي، كان غاضبًا لأجل شيء يخصُّ العمل، فاضطررت للمغادرة وتركتك مع "**العليمي**"، على أمل أن أنضم لكما بفيلته، إن استطعت التنصل، لكنني لم أستطع، فلم أُنهِ عملي قبل الثانية بعد منتصف اللَّيل، حاولت الاتصال بك، هاتفك كان مُغلقًا، وهذا ما كان غريبًا بعض الشيء! لكنني تجاهلته وعدت إلى منزلي، في الصباح علمت ما حدث، بعثت لكِ الرسالة بالمشفى، لم أكن علمت بشأن إصابتك بفقدان الذاكرة بعد.

– لا شيء آخر؟

تساءلت بها "**شهد**"، أمال رأسه إيجابًا بضيق...

– هذا كلُّ ما أعلمه، هناك فقط...

– ماذا؟

تساءلت بلهفة واهتمام، فأجاب وهو يهزُّ كتفه...

– لا أعلم، ربَّما هو شيء ليس ذا أهمية.

– ما هو؟

أعادتها "**شهد**" بإصرار...

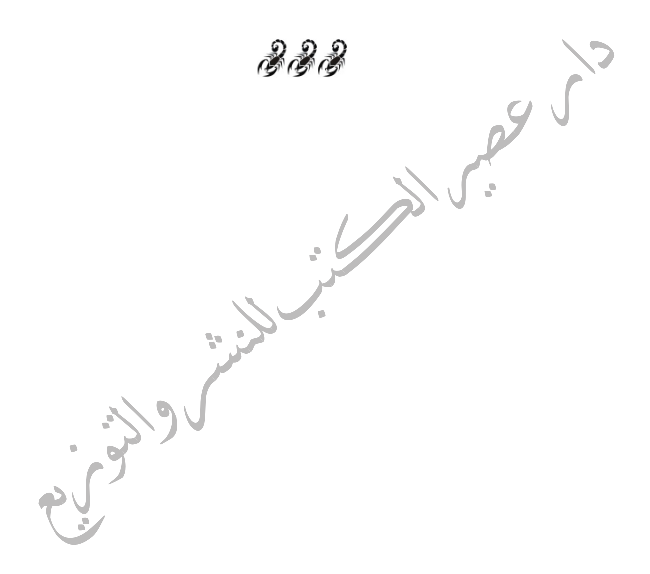
– جاء إلى "**العليمي**" اتصال تجاهله في البداية، لكنه أجابه بعد تكرار الاتصال أكثر من خمس مرَّات مُتلاحقة، والأهم حين جاءته رسالة، كان على مقربة منَّا، وسمعته أنتِ يُردد – «بيننا اتفاق.. لن أدفع شيئًا قبل أن أتأكَّد من قيمة ما لدي... هل أنتِ حمقاء؟ بالطبع لن أغدر بك... ساعة واحدة فقط وسأكون بمنزلك... أعدك... وأكثر ممَّا اتفقنا عليه». هذا ما أخبرتني أنتِ به، حينها بدأ يتآكلك الشَّكُّ فحاولت طمأنتك، اقترب "**العليمي**" وتبسَّم وهو يقول أنَها صديقته، هدأتِ وتخطينا الأمر، ذهب كلٌّ في طريقه، أنتِ معه، وأنا وحدي.

صمت لحظة، و"**شهد**" تنظر نحو "**نادين**" غارقة بكلِّ حرفٍ قاله، حين قاطع سكونهما...

– أقسم لكِ هذا كلُّ ما أعلمه، نحن شركاء وسقوط أيٍ منَّا يعني سقوط الآخر، وإن

أردت قتلك أيتها الحمقاء، لحرصت على حدوث ذلك بالشكل الصحيح.

صرخ "**أمجد**" بالجملة الأخيرة بحنق غضبه، تجاهلته "**شهد**" ولم تُعره اهتمامًا، فكان يركض بعقلها ما هو أهم! هبطت كلتاهما من السيارة، بعد أن تركته "**شهد**" مُقيدًا بأصفاده إلى عجلة قيادته، تركت له المفتاح بالكرسي المجاور له، وتركت "**نادين**" مُسدَّسه بحقيبة سيارته، وتحسبًا من محاولة أن يتبعهما أفرغت أحد إطارات السيارة، بعد أن حرصت على وضع جهاز تتبع آخر أسفلها! غادرتا وسط نظرات الكره والحنق الَّتي امتلأت بها عين "**أمجد**"، وصرخاته المكظومة داخله رغمًا عنه توعدًا بقتل كلتيهما!



السابع
المؤامرة

- ومن هو "**كامل عمَّار**" تحديدًا؟

تساءلت بها "**ريري**" وهي تجلس إلى جانب "**نادين**"، تُمعن النظر بالصور الَّتي التقطتها لـ"**سعد**" و"**كامل**"، أمالت "**نادين**" رأسها نفيًا، وهي تهزُّ كتفيها...

- لا أعلم، فقد أخبرتكما كلَّ ما قاله لي النادل، لكنه يبدو لي رجلًا مخيفًا كثيرًا.

ظلَّت كلتاهما تتبادلان الحديث للحظة، نظرت "**ريري**" نحو "**شهد**" الَّتي لم تتفوه سوى بالصمت منذ لحظة دخولهما، فقط ظلَّت واقفة أمام الشرفة تنظر نحو الظلام وهو بأشد لحظاته حلكة، تنتظر بشغف أن تغزوه خيوط الفجر الفضية لتُبدد وحشته المخيفة! وتدعو الله أن يُبدد معها يأسًا راح يسكنها، همَّت كلتاهما بالتَّوجه نحوها، حين فُتح باب الشقَّة الخارجي، لتظهر "**لُولا**" بصُحبة "**جلال**"، توقَّفت "**نادين**" بالمنتصف، تقدَّمت "**ريري**" نحو "**شهد**"، وضعت يدها على كتفها باهتمام...

- ماذا الآن؟

تقدَّمت "**شهد**" خطوة وهي تمعن النظر بـ"**ريري**"، حكَّت مُؤخِّرة رأسها بصمت، جلست على الأريكة، لتتساءل "**لُولا**" وهي تنظر نحوهما...

- هل من جديد؟

- لقد التقينا "**أمجد**".

كانت تلك "**نادين**"، فتساءل "**جلال**" وهو يهمُّ بالجلوس مقابل "**شهد**"...

- وماذا حدث؟ هل قال شيئًا مهمًا؟

قصَّت "**نادين**" عليهما ما أخبرهما به، أمَّا "**شهد**" فظلَّت على سكونها لحظة، ثُمَّ رفعت طرف عينها نحو "**جلال**"...

– كلُّ الخيوط تقودني إلى تلك اللَّيلة!

قالتها بنبرة تبادل الجميع على إثرها النظرات بعدم فهم، اعتدلت بجلستها وتعلَّقت العيون بها...

– لنقل أن "**أمجد**" كان صادقًا بما قاله وهذا ما أعتقده، لكن تظلُّ هناك حلقة مفقودة!

– وما هي؟

تساءلت بها "**ريري**"، فتحدثت "**شهد**" بصوت شارد...

– ما الَّذي كان يُفتش عنه داخل الحقيبة؟

– من؟

كان هذا صوت "**جلال**"؛ فأجابته وهي تزفر بضيق...

– صاحب العقرب.

أمال "**جلال**" رأسه بعدم فهم، فاسترسلت...

– حين كنَّا بالمقابر فتح الحقيبة وأخذ يُفتش داخلها، كان يفتش عن شيء! جهاز حاسوب تحديدًا! هو لم يقتلني لحظتها حتى يتأكَّد إن كان الجهاز داخل الحقيبة أم لا، وحين لم يجده ثار جنونه، أعتقد أنه...

– ذات الجهاز الَّذي تحدث عنه "**أمجد**"!

قاطعتها بها "**نادين**"؛ فأمالت "**شهد**" رأسها مؤكدة ظنها، هبَّت واقفة حين قال "**جلال**"...

– إن كان هذا ما يُفتش عنه، وهو ذاته ما تحدث عنه "**أمجد**"؛ فلا بد أن به حل اللغز بأكمله، لكن يبقى هنا السؤال الأهم...

– أين هو ذلك الحاسوب الَّذي يتحدث عنه الجميع؟

أكملت بها "**لُولا**" حديثه، أمال رأسه تأكيدًا وهمَّ واقفًا، عاودت "**شهد**" الحديث...

– هو كان متأكِّدًا أنه داخل الحقيبة، وكلُّ ما لدينا هنا يخصُّ "**أمجد**"، و"**أمجد**"

نفسه لم يكن يعلم ما نوع المعلومات، وأقر بأن الجهاز كان بحوزة "**العليمي**"، وهذا سبب وجودي بالفيلا.

- قُتل "**العليمي**" بالفيلا، تمَّ القبض عليكِ بعد دقائق من إفاقتك، أنتِ لم تغادري الفيلا بعد أن خطوتِ إليها، سوى برفقة الشرطة.

أكمل بها "**جلال**" وهو يقف مُقابل "**شهد**"، الَّتي بادلته الحديث...

- ورجال الشرطة لم يجدوا ذلك الحاسوب، وصاحب العقرب كذلك.

- هذا يعني أنه...

صمت "**جلال**" بدهشة اعتلته، فهتفت "**نادين**" بفزع وهي تهمُّ واقفة...

- أنه لم يُغادر الفيلا!

تصنَّم الجميع بموضعه، حلق السكون فوق رؤوسهم لبرهة طويلة، فتبسَّمت "**شهد**"...

- أعتقد أنني علمت الآن ماذا تعني التوليب بالرسالة المُشفَّرة!

- بالتأكيد هو شيء يخصُّ الحاسوب، ربَّما التقيتِ صاحب العقرب بطريقة ما داخل الفيلا، وأرسلتِ تلك الرسالة بما يرمز لكليهما؛ فهو القاتل، والحاسوب به سر اللعبة.

كان هذا "**جلال**"، لتهتف "**ريري**" وهي تهبُّ واقفة...

- وماذا الآن؟

زادت "**شهد**" بسمتها، رفعت حاجبها وعقدت ساعديها، بنظرة هتفت لها "**ريري**" و"**نادين**" بذات اللحظة...

- كم أكره تلك النظرة!

فرمقهما كلٌّ من "**لُولا**" و"**جلال**" بدهشة مُبتسمة، لتزامن قولهما وتعبير وجهيهما، نظرت "**ريري**" نحو كليهما...

- ما يأتي بعد تلك النظرة يكون سيئًا، سيئًا جدًا بالحقيقة!

بالصباح التالي، بعد أن تخطَّت الحادية عشرة صباحًا استيقظ مؤرقًا، وما زالت

رياح الغضب والحنق تحتشد بصدره، بعد ما حدث له باللَّيلة السَّابقة، على يد تلك الحمقاء! اغتسل **"أمجد"** وارتدى ملابسه، وقف لحظة أمام المرآة، يرتدي ساعة يده وما زالت آثار الأصفاد مطبوعة على رسغه، زاد غضبه وتمنى لو تقع تحت يده تلك اللحظة! لكان أرداها قتيلة وبيديه العاريتين لا شيء آخر، كانت بالسَّابق تُحقق له أرباحًا لا حصر لها، ويبدو أنها الآن ستحقق خسائر وأيضًا لا حصر لها! لذلك يجب أن تختفي وبأي ثمن! فلم يعد وجودها اختيارًا مطروحًا له! توجَّه نحو الباب مُغادرًا، وبرأسه ألف فكرة جميعها تنتهي بإزاحتها للأبد! سحب سترته من فوق الكرسي، فتح الباب ليتصنَّم لحظة بموضعه! وقد استقرت عينه بهذا الواقف أمامه! الَّذي يبتسم له ببرود كالصقيع...

- كنت سأضغط الجرس بتلك اللحظة.

تسمَّر لحظة! فهو يعلم هذا الوجه جيدًا! لقد رآه سابقًا بالصحف والمجلات، وبعض حفلات الكبار الَّتي حضرها من مقاعد المُتفرجين! عاد من شروده على صوته المبتسم ببروده المُعتاد كما أناقته...

- هل يمكنني الدخول يا **"أمجد"** بك؟ لن آخذ من وقتك سوى القليل.

أمال رأسه وهو يتنحَّى عن مدخل الباب؛ ليتقدَّم ضيف الصباح غير المتوقَّع بخطوات واثقة! وبعد أوَّل خطوة له بالاستقبال، مد يده نحو **"أمجد"** بابتسامة...

- عفوًا على وقاحتي، وحضوري دون موعد سابق، أنا...

- **"كامل بك عمَّار"**، سيادتكم شخص غني عن أي تعريف.

قاطعه بها وهو يُصافحه، تبسَّم **"كامل"** بغروره البارد...

- أنت تُبالغ قليلًا.

قالها وهو يُزيد تقدُّمه داخل شقته المتواضعة، و**"أمجد"** يتبعه، يتساءل وهو يُعيد سترته إلى جانب الكرسي ثانيةً...

- ماذا تفضل أن تشرب يا **"كامل"** بك؟

التفت نحوه وهو يُشير بيده...

- أُفضل أن ندخل إلى صُلب الموضوع، فلا أرغب بتأخيرك.

همَّ بالجلوس إلى الأريكة، تقدَّم **"أمجد"** وجلس مُقابله، بنظرة ارتسمت بها الدَّهشة قبل القلق...

– لا بد أنه شيء هام الَّذي يُمنيني بزيارة أهم رجال السياسة والأعمال في مصر.

فزادت بسمة **"كامل"**، ورمقه بنظرة ذات مغزى، وشيطانه يُحادثه – «أنت بالمكان الصحيح». عدَّل من مجلسه، فتح أزرار سترته، وضع ساقًا فوق الأخرى...

– أرى أنك ضابط مُجتهد، وتعلم جيدًا ما تصبو إليه، وأكثر ما يعجبني بك هو طموحك اللامحدود.

أمال رأسه بابتسامة مُجاملة، وعقله يساوره – «ما الَّذي يرغبه ثعبان بثقل **"كامل عمَّار"** من زيارته تلك؟!» اعتدل **"كامل"**، انحني للأمام، وبنظرة جادة...

– حقيقةً لقد قررت أن أترشح لعضوية المجلس القادمة عن الحزب، الَّتي هي بالمناسبة تقع بدائرة اختصاصك، وأعلم أنني سأجتازها دون عناء يُذكر كما تعلم! لكن لا بد أن يبدو كلُّ شيءٍ في إطاره المُعتاد، من الحملات الدعائية وغيرها من شكليات! لا أعلم لمَ يجب أن نُرهق أنفسنا بها أمام البسطاء! هم مُغيبون عن كلِّ شيء، فقط يركضونَ خلف وهم الحياة الكريمة ورزق يومهم، فبكلِّ الأحوال لن يُمثِّلوا مُعضلةً لأحد! لكن أنت خير من يعلم، الشكليات دومًا مطلوبة لإرضاء الكاميرات.

قالها بابتسامة ساخرة، بادله إياها **"أمجد"** وما زال القلق يغمره، فاستطرد...

– لذلك أعتقد أنني سأستفيد من شخص بعقلك وطموحك كثيرًا إلى جواري في تلك المرحلة، هذه ستكون بداية حياة مختلفة لك، وطريق لا تعلم كم سيُدر عليك من نفوذ وأموال! أنت ستكون إلى جواري دومًا، رجلي الَّذي أعتمد عليه بكلِّ شيء.

رغم العظمة الَّتي يُلقي بها **"كامل"** فوق طموحات **"أمجد"** اللامحدودة! فإن عقله الشيطاني لم يكن يقل عن عقل **"كامل"** بشيء! فكلاهما سكن عُشَّ الشيطان منذ زمن؛ لذا تمالك الفرحة الَّتي غمرت أساريره...

– هذا عرض أكثر من مُغرٍ يا **"كامل"** بك، ولا أجرؤ على رفضه، لكن على حسب ما تعلمته من الحياة، فإن كلَّ شيءٍ يأتي بثمن، فلا شيء بات مجانيًا هذه الأيام!

زادت ابتسامته الباردة كما الصقيع، وهو يحكُّ ذقنه...

- أنت تُثبت لي بكلِّ لحظة أن اختياري لك كان موفقًا تمامًا.

همَّ واقفًا، وهو يستطرد...

- لنقل أنه ثمن أقل من بخس في مقابل ما أقدمه إليك! مجرَّد عثرة بسيطة، تحتاج أن تُزاح عن الطريق، بإزاحتها خير للجميع، وأعتقد أنك ستوافقني الرأي، فهي باتت مزعجة للجميع حتى لك.

أمال رأسه بعدم فهم، وقف "**كامل**" خلفه، وضع يده على كتفه...

- "**شهد**"!

تصنَّم "**أمجد**" بمجلسه، اختفت ابتسامته المصطنعة، تجمد الدم بعروقه، أكمل "**كامل**" بهدوء كما بدأ، وهو يضغط كتفيه ويدنو منه، بفحيحه الَّذي أرهب "**أمجد**" للحظة...

- أم يجب أن أقول "**الآس**"، أنا أعلم كلَّ شيءٍ عن عملكما معًا، كلَّ شيءٍ يخصُّ تلك المعلومات الَّتي كانت تمدك بها، الَّتي كنت تلعب بها لصالحك، كما أخبرتك بالبداية أنا معجب جدًا بطموحك.

قالها ثُمَّ اعتدل بوقفته، عاود جلوسه وهو يسترسل بذات الهمس، وما زال "**أمجد**" على حاله من الدَّهشة والقلق...

- بالحقيقة كلُّ هذا لا يهمُّني ولا أكترث له، أنا شخص يحترم طموح الآخرين ما دام لا يتعارض مع مصالحي، لكن ألا تتفق معي أنها باتت عثرة مزعجة، ويجب إقصاؤها خارج الملعب لمصلحة الجميع وأنت بأوَّل الصف؟

ظلَّ على صمته يُحاول أن يستجمع أفكاره المُشردة بمتاهة "**كامل**"، وقبل أن يقول شيئًا، أشار له بيده وكأنه تذكَّر شيئًا...

- وقبل أن تسأل لنقل أنها تمثل عبئًا على كاهل صديق لي، وأنا شخص يحرص على راحة أصدقائه لا أكثر.

حينها تنفس "**أمجد**" بحذر؛ ليُحاول الخروج عن صمته الإجباري وتخطي دهشته، فرغم كذب "**كامل**" المُتراقص بحدقتيه، بشأن الصديق! فإنه تظاهر بالتصديق، بعد لحظات رتب بها حروفه قبل أفكاره تساءل...

– لنقل أنني قبلت عرضك، فما المطلوب مني تحديدًا؟

– تلك الفتاة يجب أن تختفي.

قالها بهدوئه المعتاد، تبسَّم **"أمجد"** من جانبه فذلك أكثر ما يرغب به، ليتساءل باهتمام...

– وهل تعرف أين هي؟

أمال رأسه نفيًا، وهو يُعدِّل من هندام سترته...

– هي كانت تعمل لصالحك، أنت أكثر من يعرف نقاط ضعفها، والأماكن الَّتي يمكن أن تلجأ إليها.

هز رأسه وهو يشد على رسغه، ويعبر بعقله ما حدث بينهما منذ بضع ساعات ماضية؛ ليطير الحنق بصدره مُجددًا، فلا أحد يُريد رأسها أكثر منه...

– الآن هي ليست **"شهد"** ولا **"الآس"**؛ فكلاهما لم يعد له وجود، الآن هي شخص ثالث خارج عن السيطرة! لا يمكن التنبؤ بأفعاله، ورغم يأسها فإنها مُتعلِّقة بأمل أن تصل إلى الحقيقة، أن تتذكَّر، لديها أمل للحياة والمستقبل.

انتفض **"كامل"** واقفًا، هتف بحنق فزع منه **"أمجد"** داخله؛ فقد تبدلت هيئته بغضبٍ مفاجئ اجتاحه، وبنظرة حاقدة مُتأججة بوضاعته المُختبئة خلف سترته...

– وهذا هو الأسوأ، هذا الأمل الَّذي تتحدث عنه هو أخطر من كلِّ شيء، هذا ما يجعلهم يقاتلون، هو ما يمكِّنهم من الصمود، يجب أن تكون آمالهم ما تمنحه أنت لهم، لا تتخطَّى ما ترسمه لهم بيدك، أحلامهم تتسرب من اليم الَّذي أغرقتهم به، لا تتخطَّى سراب سماء تصنعها لهم، وتحتجزهم داخلها.

وقف لحظة ثُمَّ التفت نحو **"أمجد"** وهو يكزُّ أسنانه، ويُشير بسبابته بقطعية مُخيفة...

– إن أصبح الحلم من صنعهم، إن تشبَّع بآمال تُحلِّق بأرواحهم الضالة، لتتخطَّى سماء وهم اعتقلناهم بها، لن يمتلك أحد زمامهم، لن تستطيع السيطرة عليهم، سيتحول قطيع الحملان الضائعة دون راعيها، إلى قطيع من الأسود والذئاب الَّتي تحكم العرين وتسوق الكون كيف تشاء، ستتحول العرائس الَّتي تتحكَّم بها بين أصابعك كيفما يحلو لك،

كالريح بحبات المطر، إلى فيضانٍ هادر يُغرق الأوهام، يُحطم الأغلال، ويتخطَّى عنان السماء، وسنكون أوَّل الغرقى، وبهذا نحرنا.

وقف **"أمجد"** أمامه مدهوشًا من كلِّ هذا الكره داخله، حتى إنه تخطَّى كرهه لها آلاف المرَّات! أو هكذا اعتقد شيطانه الصغير بأن الأمر يتعلَّق بها! فلم يصل شيطانه بعد إلى أبالسة **"كامل"**! راح يحكُّ مُؤخِّرة رأسه، وقد تخطَّاه ليتركه خلف كتفه، بدأ شيطانه يهمس له - «لا يهمُّ لمَ كلُّ هذا الكره بداخله لها! كلُّ ما يهمُّ أنك ستحصل على كلِّ شيء كنت تحلم به، ودون عَناء أو خطر؛ فاللعب لصالح شيطان بثقلِ **"كامل"** له منافع لا تُعدُّ ولا تُحصى، المال والنفوذ والسطوة، والأهم الحصانة من كلِّ شيءٍ وضد كلِّ شيء، وفوق كلِّ هذا ستتخلَّص من هذا الثقل الجاثم فوق صدرك». التفت نحو **"كامل"** بابتسامة خبيثة من جانبه...

- لا يهمُّ هذا الأمل الواهم الَّذي تركض خلفه، فما زالت طريدة القانون، والأكيد أنها الآن كما الفأر المذعور لن يجبره شيء على التخلي عن حصنه، لكن أعتقد أن لدي الطُعم المناسب لإخراجها، فما زال هناك ما تهتمُّ له!

أمال رأسه متبسِّمًا ببسمته الباردة دون حياة، كما تخطيطهما الشيطاني، عاود الجلوس بهدوء كما عادت هيئته لصقيعها، جلس **"أمجد"** مُقابله وهو يبتسم، يفض له ما بجعبته! ويستمع بإنصات شديد ووله لما يبثه **"أمجد"** من شيطانه!

بتمام الثامنة مساءً بذات اليوم، داخل جريدة الغد المُشرق، كانت **"جميلة"** تُلملم أوراقها من فوق مكتبها، تزفر بضيق حين فاجأها **"أحمد"** من خلفها...

- ألم تغادر ملكتنا المتوجة بعد؟

انتفضت من فورها، شهقت بذعر من مفاجأته لها، لكزته في كتفه بغيظ، علت ضحكته من طفولتها، هتفت وهي تزفر...

- ألن تتوقَّف عن حماقتك هذه مطلقًا أيها الصبي؟!

- إن توقَّفت عنها... سأفقد لمستي السحرية، ستتوقَّف نساء الكون عن السقوط بعشقي، فكما تعلمين أنا مُحطم قلوب العذارى.

همس بها بطريقة أثارت ضحكتها رغمًا عنها من مشاكسته، ثُمَّ سألها بجدية...

- ما بكِ؟ أرى بعينيكِ حزنًا.

- لقد تمَّ استبعادي من قضية قتل "**العليمي**".

تنهدت بها وهي تجلس إلى حافة المكتب، ليهتف بدهشة...

- ماذا؟ وكيف حدث هذا؟

- لا أعلم... هناك تغير واضح في موقف رئيس التحرير نحوي!

- ربَّما بعد أن اقتحمتِ مكتبه عنوة، وتقريبًا أهنتِه.

قالها بسخرية، عقدت ساعديها بضيق...

- ولماذا انتظر كلَّ هذا الوقت؟ لا أعلم، يُخالجني شعور بأن هناك شيئًا آخر بالأمر!

هز رأسه بعدم فهم، اعتدلت بوقفتها، وتساءلت باهتمام...

- ماذا وجدت؟

تلفَّت حوله بطريقة سرقت ابتسامتها، واقترب خطوة وهمس...

- ألم يتم استبعادك، فربَّما نكون مراقبين الآن، فلتتأكَّدي من حذائك يا فتاة؛ فهم يضعون الميكروفونات بأي مكان الآن، فأوتديهم بالأرض جيدًا.

زادت ضحكتها وهي تهزُّ رأسها من مشاغبته، عادت ولكزته بكتفه...

- حذائي بخير، وهم لن يستفيدوا منه شيئًا سوى الصداع من وقع خطواتي.

- لا تنسي الرائحة، فهنيئًا لهم بحذائي.

- إن لم تتوقَّف سأخبر "**شريف الزَّهَّار**" أنك من قتل "**العليمي**" ليُلقي بك في مُستنقع تماسيحه.

هتفت بها بضحكات تحاول إيقافها، أشار لها بأنه سيصمت، عاودت جديتها...

- لم يصدر قرار رسمي بإبعادي بعد، غير أن والدي سيكون له رأي آخر بهذا الشأن، لم أكن أرغب بطلب شيء منه، كنت أريد الاعتماد على نفسي لكن لا بأس.

- حمقاء... فوالدك لم يعُد فقط من أهم رجال المال والأعمال والسياسة، بل بات رئيس حزب من أكبر أحزاب المعارضة بالدولة اليوم، فهنيئًا لكِ ومبارك له يا صديقتي

فهو يستحقها.

قالها ببعض المشاكسة، لكنها تخطَّتها، وهي تزفر بضيق...

– أعلم، وهذا سبب كافٍ لئلا أشغله بمشاكلي أكثر، لكن لا بأس فلا سبيل لي غيره، هيَّا أخبرني ماذا فعلت؟

أخرج من حقيبته ملفًّا صغيرًا....

– هذه هي كلُّ المعلومات الَّتي استطعت الوصول إليها عن **"صادق رضوان"**.

– هذا ممتاز جدًا.

– لماذا تعتقدين أن له يدًا بما حدث لـ **"العليمي"**؟

تساءل بها وهو يجلس إلى الكرسي، جلست مُقابله وهي تنقر فوق المكتب بإصبعها، وبصوت منخفض...

– ربَّما لأنه أكبر مستفيد من موت **"العليمي"**! فهما أكبر حوتين للسياحة، والعداوة بينهما شيء لا يخفى على أحد، وهناك أقاويل عن صفقة كبيرة كانا يتنافسان لأجلها.

– ألا تعتقدين أن الشرطة فتَّشت خلفه منذ البداية؟!

تساءل بها وهو يرفع حاجبه، فأجابت بنبرة ساخرة...

– أحمق... وهل تعتقد أن رجلًا مثله سيترك دليلًا لأحد؟!

– وأنتِ من سيجد الدليل الَّذي لم يجده أحد!

بادلها بها السخرية، أمالت رأسها بابتسامة عريضة، أسندت ظهرها للخلف، التمع بعينها قليل من الخبث والأمل، والكثير من الطموح...

– ربَّما... ولِمَ لا؟!

تقدَّم خطوات داخل شقَّته المُعتمة مع دقات الحادية عشرة قُرب منتصف اللَّيل، مُرهقًا مؤرقًا مُتعبًا ذهنيًا ونفسيًا! أصابعه تُعانق الجدار تُفتش عن مفتاح الضوء، ضغطه فلم يُضئ! اعتقد لوهلة أن الكهرباء مُنقطعة، زفر بحنق، فهذا آخر ما ينقصه، لكن

الضوء خارج الشقَّة جعله يفكر بأن خطبًا ما أصاب سكِّينة التحكم كما المعتاد، فقد نسي ثانيةً أن يأتي بأحد يصلحها له، اتَّجه صوب المطبخ، رفع سكِّينة الكهرباء، عادت الأضواء مرَّة أخرى، عاود التَّوجه نحو الاستقبال فوجدها تقف أمامه! توجه فُوَّهة مُسدَّسها إليه! تُشير إليه بأن يرفع يديه للأعلى ففعل! تبسَّمت من جانبها وهي تُزيح ذات اللِّثام السَّابق عن وجهها...

– لا تخبرني أنك لم تشتاقني يا "**شريف**" بك... لأن هذا سيحزنني كثيرًا!

جفل "**شريف**" لدقيقة، أصابته الدَّهشة لكن ليس كالمرَّة الأولى، حاول تخطيها وهو يُبادلها الابتسامة...

– ألم تتعلمي طرق الأبواب مطلقًا؟

– أعشق النوافذ أكثر فصدِّقني لها إطلالة رائعة.

– سرَّني أنها تُعجب أحدنا.

قالها بذات النبرة الساخرة وقبل أن يتقدَّم خطوة! أشارت له بأن ينزع سلاحه من جانبه، تبسَّم وهو يُشير نحو مُسدَّسها...

– ربَّما هو فارغ تلك المرَّة أيضًا!

قطبت حاجبيها، سحبت قيد مُسدَّسها، وجَّهته بين عينيه، قبضت عليه بكلتا يديها، بنبرة زادت جديتها قبل يأسها الآمل...

– لمَ لا تُجرِّب حظك اللَّيلة يا "**شريف**" بك... خطوة واحدة... وأعدك أننا سنكتشف إلى أيِ جانب سترسو سفينتك.

تعلَّقت عينه بعينها بصمت راح يُحلِّق فوقهما، حرك كفَّيه في الهواء بابتسامة مُستسلمًا، تلك النظرة على وجهها لا تنم عن أنه سيرسو بالجانب الَّذي يأمله! فجانب الحياة لديه يستحق ألَّا يُجازف به مع تلك العيون اللامعة بيأس تملَّكها! غير أنه كان يتوق إلى هذا اللقاء! خفض يده بهدوء وسحب مُسدَّسه وألقى به تحت قدمها، فأزاحته أسفل الكرسي، أشارت له بالجلوس ففعل، ظلَّت هي واقفة ومُسدَّسها بوجهه، وبصوت هادئ، مبتسم رغم ما يواريه من قلق، راح يُلقي بأولى أوراقه...

– كم دفع لكِ "**صادق رضوان**"؟

قطبت حاجبها بدهشة فالاسم اقتحم عقلها بقوة! قد لا تتذكَّره إلا أنه بدا مألوفًا لها...

- ومن هو **"صادق رضوان"** تحديدًا؟

أمال رأسه برفعة حاجب تنم عن أن تمثيلها لا ينطلي عليه! فما زال عقله رافضًا لتصديقها بالكامل! فبداخله يُوقن أنها طرف الخيط الأهم، سحبت كرسيًا من أمام طاولة الطعام، جلست بمعاكسته...

- لِمَ لا تخبرني بما يدور بخلدك؟ وأعدك أن تلك الزيارة ستكون متميزة!

- لنقل أن ما تمَّ كان كما التالي، أتى بكِ **"صادق"**، وهو بالمناسبة عدو **"العليمي"** اللدود، لسرقة بعض المعلومات الهامة الَّتي تخص صفقة يتنافسان عليها، ولم تكوني وحيدة، كان معكِ أحد رجال **"صادق"**، فاجأكما **"العليمي"**؛ فقتله صديقك، أو أنت! ولا يهم كونك عسراء، فقد قُتل من مسافة قصيرة جدًا لن تؤثر على ثبات المُسدَّس بيدك، اختلفتِ وصديقك، ضربك على رأسك، أخذ ما وجدتماه وهرب، أو أن **"صادق"** قرر الغدر بكِ منذ البداية؛ فهؤلاء القوم لا يفضلون ترك عيون كثيرة خلفهم.

صمت وقد أشعل سيجارة، زفر دخانها بلذة انتصار حل اللغز! أمالت رأسها وهي تهزُّها تحية لـ**"شريف"** على ما توصَّل إليه، فعاود الحديث...

- **"شهد"**.. لِمَ لا تُسلِّمين نفسك وأعدك أنني سأفعل كلَّ شيءٍ حتى أجد الحقيقة؟

- كم عشقت تلك الجملة، ولكنني أعتقد إن كانت معكوسة ستكون ذات إيقاع أجمل!

أمال رأسه تعجبًا، أشارت في الهواء بيدها اليمنى، كأنها تكتب عليه...

- أعدك أنني سأفعل كلَّ شيءٍ حتى أجد الحقيقة، ثُمَّ تُسلمين نفسك.

ابتسم من جانبه بسخرية، فبادلته الابتسامة...

- أرأيت؟ هكذا بها تناغم أكبر!

- لِمَ لا تعترفين فقط بأنكِ تعملين لصالح **"صادق"**؟

همَّت واقفة وهي تمعن النظر به...

- أنت تريد اعترافي، لا بأس إذًا، سأخبرك، لنقل أن ما قلته أنت كان به كثير من

الحقيقة مع اختلاف بسيط.

رفع حاجبه متسائلًا، أجابته دون السؤال...

- أن من وظفني وكان سيدفع لي لسرقة المعلومات، هو "**العليمي**" نفسه!

فغر فمه وعينيه لحظات، عاد يهزُّ رأسه وهو يقول بتلعثم حديث النفس...

- "**العليمي**"! هذا مُستحيل.... كيف؟

- لن تختلف القصَّة كثيرًا عمَّا ذكرته، هو أراد شخصًا يسرق له معلومات هامَّة، لكنه ادَّعى أنها تخصه، لا يهم، طلب من شريكي شخصًا له مهارات خاصَّة، تقابلنا، ذهبنا إلى فيلته الخاصَّة، شريكي لم يستطع الحضور، ولسبب ما، ظهر صاحب العقرب، قتل "**العليمي**"، وقتلني، أعتقد أنك قد حللت لي جزءًا من اللغز، فعلى الأقل بت أعلم من أتى به لقتل كلينا.... "**صادق رضوان**".

ظلَّ على حاله من الدَّهشة! ومحاولة استيعاب الصورة الَّتي انقلبت رأسًا على عقب! فكُلَّما حاول فهمها من زاوية انقلبت عليه سريعًا من زاوية أخرى! سحبت بعض الصور من جيب سترتها، ألقت بها فوق الطاولة...

- شريكي بالطبع أنت تعلمه، صديقك "**أمجد**" بك، أمَّا هما؟

صمتت لحظة وهي تُشير نحو الصور...

- فأحدهما صاحب العقرب، لن يكون من الصعب عليك تمييزه، أمَّا الآخر فهو "**كامل عمَّار**"، حقيقةً لا أعرف حتى الآن أين موقعه من الصورة! إلا أن وجوده مع صاحب العقرب يجعل له بالتأكيد مكانًا بها.

أمسك بالصور وعقله يساوره "**كامل عمَّار**".. لقد سمع هذا الاسم سابقًا! ظلَّ لحظات يرمق صاحب العقرب بنظرة بدت حانقة، استردته...

- اعتقدت أنك تريد معرفة الحقيقة، وبرأيي أنك تستحقها، خاصة أنني أراك من النوع المُثابر، والَّذي لا يُفضل أن يكون دُمية بيد الآخرين.

أنهت جملتها وهبَّت متجهة نحو المطبخ، بعد الخطوة الثانية سمعت صوت سحب قيد مُسدَّس! وصوته من خلفها...

– لا أعتقد أنني سأتركك تغادرين هذه المرَّة!

منذ الزيارة الأولى وهو يتوقع مقابلتها، ويسعى إليها، لكنها سبقته، فكان يحتفظ بمُسدَّس احتياطي يوثقه إلى قدمه، توقَّفت بموضعها واعتلاها الخوف! لكن لم تتركه يجتاحها، رفعت مُسدَّسها ثُمَّ أحنته ببطء، وضعته بخصرها! التفتت نحو **"شريف"** الَّذي تعجب فعلها! رفعت كلتا يديها في الهواء، وتبسَّمت له من جانبها....

– أفضل أن تأتيني الضربة تلك المرَّة من الأمام، فقد مللت الضربات من الخلف.

أمال رأسه بضيق، فزادت بسمتها...

– لن أُسَّلم نفسي قبل أن أصل إلى نهاية الطريق.

– أنتِ تركضين نحو الجحيم، هؤلاء القوم لن يتركوكِ، سيقتلونك وكلَّ ما تكترثين له، دعيني أحميكِ يا **"شهد"**، فأقسم لكِ أنني أُصدقك.

– كي تقبض عليّ... عليك قتلي، لذا ها نحن... لا أعتقد أنك من النوع الَّذي يقتل بدمٍ بارد يا **"شريف"** بك، وإن كنت مخطئة، فهيًّا لا تجعلني أنتظر.

صمتت وحلَّق السكون الصارخ بنبضات القلوب والأنفاس فوق الرؤوس، حلَّق حول تلك العيون الَّتي غرقت بالأخرى تفتش عن بر يُنجيها! وقبل أن تجد أي منهما ضالتها! ركضت نحو المطبخ، اختفت بسمتها وحل مكانها الرعب والذعر؛ وما زال هو قابضًا على مُسدَّسه، زاد ضيقه وصرخة دوت داخله! فلم يستطع ضغط الزناد، إلا أنه ركض خلفها، ومع أوَّل خطوة له داخل المطبخ! هوى شيء ثقيل على جانب رأسه، فخرَّ أرضًا، كان صوتها – «آسفة... فلم تترك لي خيارًا آخر».. آخر ما علق بأذنه، بعدها غاب تمامًا عن الوعي.

خرجت من منزله، نبضها يُسابق خطواتها لترحل بعيدًا، لا يهم إلى أين الأهم أن ترحل! تدثرت يداها بجيبيها ورأسها أسفل قُبَّعة سترتها، كلُّ ما بها ينتفض حتى وصلت أقدامها موقف سيارات بالجهة المُقابلة! دلفت إلى سيارة **"نادين"** وهي ترتجف، كلماته تتردَّد بعقلها – «أنتِ تركضين نحو الجحيم، هؤلاء القوم لن يتركوكِ، سيقتلونك وكلَّ ما تكترثين له». استردَّتها **"نادين"** بصوت قلق...

– إلى أين الآن؟ إلى بيت **"لُولا"**؟

– ليس الآن؛ فهناك شيء يخصني، وقد دفعت الكثير لأجله! ويجب أن أحصل عليه!

قالتها بنظرة ضيق تراقصت بحدقتيها، أمالت "**نادين**" رأسها بعدم فهم، وقلق من تلك النبرة المُتألمة...

- إلى أين تحديدًا؟!

- وجهة لا أعتقد أنها ستعجبك!

ارتسمت نظرة قلق على وجه "**نادين**"، الَّتي لم تستطع السؤال! فتلك النظرة منها كفيلة بإسكات كافة الحروف بفمها، انطلقت بالسيارة دون أن تسأل!

- هل أنتِ متأكِّدة أننا بالمكان الصحيح؟

همست بها "**نادين**" بصوت خفيض، تتلمس خُطاها في تلك العتمة المُقلقة؛ فاللَّيل بعد نصفه الأوَّل يبدو مُخيفًا، لتُجيبها بصوت هامس...

- أعتقد ذلك.

- لِمَ فقط لا نرحل يا "**شهد**"؟ إنني أرتجف رُعبًا يا صديقتي.

همست بها والقلق والخوف يغمرانها، تتبع "**شهد**" الَّتي تتقدَّمها، كلتاهما تسرق الخطوات على هذا المرج الأخضر! في تلك العتمة الحالكة على أضواء البطاريات الخافتة، لتُجيب "**شهد**" بالهمس وهي تسحب شالاً من حول رقبتها، تلفه حول مرفقها! وقد وصلت أقدامهما أرضًا مكسوة بالرخام الفاخر، وقفتا لحظة أمام باب زجاجي، نظرت نحوها وبنظرة يأس ملأت كلَّ ذرةٍ بها....

- لن أرحل إلى أي مكان، إن كنت بنهاية الطريق سأصل الجحيم، فلن أدخله وحدي!

قالتها بحنقٍ كزَّت به على أسنانها، ثُمَّ التفتت نحو الباب، دفعت مرفقها بقوة إلى جانبه الزجاجي مرَّتين مُتتاليتين فسقط نصفه مُهشمًا، ورغم الجلبة الَّتي أحدثها صوت زجاجه المُحطم على الأرض الرخامية في هذا السكون، فإن أحدًا لم ينتبه! مالت بجانبها حتى يتسنى لها المرور من تلك الفتحة الَّتي أحدثتها بجانب الباب دون أن تجرحها شظايا زجاجه العالقة، وتبعتها "**نادين**".

بالداخل تفرقتا على مسافة قريبة، كلٌّ منهما تُوجِّه ضوء بطاريتها باتِّجاه معاكس! لتُفتشا أكبر مساحة بأقل وقت، كانت "**نادين**" تُمسك البطارية بيدها، توجهً شعاعها

الخفيض نحو الطريق أمامها لترى أين تتعثر قدمها، فالمكان مظلم جدًا، عبرت أضواء **"شهد"** بقعة ما! توقَّفت لحظة وعادت رغمًا عنها لتلك البقعة ثانيةً! وقفت لحظات شاردة تُمعن النظر حيث توجه هذا الضوء الخافت، تصنَّمت كلُّ حواسها! عبر بعقلها كلُّ لحظة لها بذلك المكان سابقًا! ربَّما تكون فقدت الذاكرة رغمًا عنها، وتتمنى عودتها لها بأي ثمنٍ، لكنها الآن تتمنى لو تفقد تلك الذكرى تحديدًا وبأي ثمن! تتمنى لو ترحل عنها للأبد! حين فتحت عينها لأوَّل مرَّة لتستيقظ بتلك البقعة منذ بضعة أشهر خلت، كانت أسوأ لحظة مرت بها، لا تعتقد أن هناك شعورًا يساوي أن تستيقظ بالجحيم، وأسوأ ما به أنك لا تعلم من أي طريق دخلت! ولا بأي طريق قد يقبع مخرجك! تُمسك البطارية بيدها توجه ضوءها نحو تلك البقعة من الدماء الَّتي استيقظت بها، لا تستطيع منع عينيها من الغرق بها! عبَر شريط أيامها الماضية، منذ لحظة استيقظت هنا في تلك اللَّيلة المشؤومة حتى عودتها اللَّيلة ثانيةً أمام عينها سريعًا، ربَّما هي ليست فترة كبيرة إلا أنها كانت صاخبة لها بما يكفي لتُفقدها عقلها، استعادتها **"نادين"** بصوت متخوف، وهي تصطدم بكتفها فجفلت...

- **"شهد"**.. هل أنتِ متأكِّدة أننا بالمكان الصحيح؟

التفتت إلى الجهة المقابلة، رفعت ضوء البطارية الخافت باتِّجاه الجدار المقابل لها، سلَّطت الضوء على كلِّ بقعة فيه حتى توقَّفت فجأة! ابتسمت من جانبها، وهي تهمس لـ**"نادين"** بصوت هادئ...

- نحن حتمًا بالمكان الصحيح!

لتلتفت **"نادين"** نحو الجدار، ترفع ضوء بطاريتها بالاتِّجاه الَّذي توقَّفت عنده **"شهد"** بضوئها! تتسع حدقتاها حينما وقعت عينها على ذات الصورة لزهرة التوليب على الهاتف! تقبع أمامها مُعلَّقة على الجدار بجوار الساعة، ذات الصورة بحذافيرها، همست **"شهد"** وقد أصبحتا متجاورتين وهي تشير نحو اللَّوحة...

- لا يمكنني نسيانها.. فهي أوَّل شيء فتحت عيني عليه حين استيقظت هنا!

بادلتها الهمس وهما تنظران إلى اللَّوحة...

- وماذا الآن؟

لم تقل شيئًا، بل أخذتها خطواتها على أضواء البطارية باتِّجاه السُّلَّم، الَّذي كانت

اللَّوحة مُعلَّقة على جداره بالقرب من دربزينه المُلتف، صعدت درجات من السُّلَّم حتى وصلت للدرجة الَّتي بجوار اللَّوحة...

– ما المميز بلوحة معلَّقة على جدار؟ أرى هنا الكثير غيرها، لكنها بالتأكيد الوحيدة الَّتي تحمل التوليب، وربَّما هي ما قصدتِها برسالتك المُشفَّرة!

تساءلت بها **"نادين"**، وهي تلحق بها، وكانت **"شهد"** تتلمس اللَّوحة فما من شيء مميز! لا ترى بها ما يُميزها، لم يدُاعب ذاكرتها شيء عنها قبل الحادثة! حاولت **"نادين"** تحريكها لكن دون جدوى، زفرت بضيق فها هو ذاك الأمل راح يتسرب من بين أصابعها من جديد، راحت تمسح عن جبينها ضيقًا اجتاح صدرها وخنق أنفاسها، حاولت **"نادين"** تهدئتها، ارتفعت درجة من السُّلَّم، في الثانية تعثرت قدمها بسبب الظلام، اختل توازنها وكادت تقع عن الدرج، لتُمسكها **"شهد"** من يدها، وتستند **"نادين"** بالأخرى إلى الجدار، فتصطدم يدها باللَّوحة لتضغط عليها بقوة دون قصد، فيصدر عنها صوت قوي! ثُمَّ ترتد خارجًا وتُفتح قليلًا! فتبادلت كلتاهما نظرات الدَّهشة والتَّرقب، توقَّفت الأنفاس، سحبت **"شهد"** طرف اللَّوحة فانفتحت عن آخرها، لتجد خلفها خزينة! ظلَّت عيونهما مُعلَّقة لحظة ببعضها ببعض، تساءلت **"نادين"** بدهشة أكبر وبسخرية مُتلعثمة...

– من يضع خزينته بالطريق العام؟

قالتها وهي تُحرِّك أضواء بطاريتها بتلك المساحة الواسعة من الاستقبال وفوق السُّلَّم، راحت **"شهد"** تُمرر ضوءها فوق الخزينة، التمعت بقعة مظلمة بالخزينة! التفَّت نحوها **"نادين"** وسلطت ضوء بطاريتها على وجه **"شهد"** الَّتي لا تُجيبها! لتجدها فاغرة العينين والفم! تعجبت من تقاسيمها الغارقة في الدَّهشة! فتبعت عيني **"شهد"** بضوء بطاريتها وعينيها، لتفتحهما هي الأخرى عن آخرهما وقد فغر فاهها! نظرتا بعضهما نحو بعض وما زالت تلك النظرة تعتليهما! عاودتا النظر لهذا المفتاح اللامع الصغير الَّذي يقبع بقفل الخزينة! مدت **"شهد"** يدها وأدارت المفتاح! سحبت **"نادين"** باب الخزينة فانفتحت دون عناء! سلطت كلتاهما الأضواء داخل الخزينة لتصير الدَّهشة بحرًا يُغرقهما بأمواجه، لتعودا وتنظران بعضهما لبعض بدهشة أكبر، مدت **"شهد"** يدها وسحبت ما كان بداخل الخزينة، وغادرتا!

قبل بزوغ الفجر بقليل عادتا إلى منزل "**لُولا**"، وكان الجميع مستيقظًا! "**لُولا**" و"**ريري**" وأيضًا "**جلال**" كان حاضرًا! كان الجميع يجلسون وتبدو عليهم علامات التجهم! هبَّت "**ريري**" تتساءل بقلق...

- أين كنتِ؟ لقد قلقنا لأجلكِ كثيرًا.

تبسَّمت "**شهد**" بنظرة أمل وانتصار غزت كلَّ معالم وجهها ولمعت بعينيها، خلعت سُترتها وهي ترفع بيدها حقيبة! وضعتها فوق الطاولة في الوسط وراحت تفتحها، هتفت "**نادين**" وهي تنظر إلى العيون الَّتي ما زالت مُتجهمة...

- لقد وجدنا الحاسوب النقال، هذا الَّذي يُفتش عنه الجميع!

تلاقت العيون باهتمام، قام "**جلال**" من فوره باتِّجاهها، هبَّت "**شهد**" معتدلة بنبرة تجسدت بها كلُّ مشاعر الفرح، الَّتي افتقدتها منذ وقتٍ تعبت من محاولة تذكُّره...

- نعم لقد وجدته خلف لوحة التوليب بفيلا "**العليمي**"، وليس هو فقط بل بعض الملفَّات، وهاتفًا محمولًا، أعتقد أن بهم حلًّا لكلِّ ما نُفتِّش عنه.

ظلَّت عين "**جلال**" مُعلَّقة بها دون أن يقول شيئًا! ولم ترَ "**شهد**" بعينه ما توقعته! فدارت بالعيون والوجوه المتجهمة من حولها! راحت تتساءل "**نادين**" بذات النظرة...

- ما الَّذي حلَّ بكم؟ لماذا تُحلق الطير فوق رؤوسكم هكذا؟!

ظلَّت "**لُولا**" على جلستها، أحنت وجهها بين كفيها، أمَّا "**ريري**" فقد انفلتت منها دمعة راح يتبعها الكثير والكثير يجري بمآقيها! اقتربت "**شهد**" من "**جلال**" خطوة وهي تُمعن النظر به، أحنى عينيه أرضًا وتنهد بألم وهو يتلعثم...

- "**شهد**"... هناك شيء يجب أن تعلميه!

صمت لحظة طالت للحظات، و"**شهد**" تنتظر البوح الأعظم! إلا أن انتظارها زاد فلم يستطع قول ما يريده! فقط راح يمسح على وجهه بضيق! ظلَّت و"**نادين**" تتبادلان نظرات الجهل الَّتي احتلت جبينهما! همَّت "**لُولا**" من مجلسها وتخطَّت "**جلال**"، اقتربت منها، قربتها إلى صدرها، همست بصوت دوى بهذا السكون بين ضلوعها قبل الجدران...

- إنا للّٰه وإنا إليه راجعون!

تصلبت "**شهد**" بموضعها، خفق قلبها بشدةٍ حتى كاد يتوقَّف، زادت "**لُولا**"

باحتضانها، وهي تهمس بأذنها بما أوقف أنفاسها وتصلبت له حدقتاها! تساءلت "**نادين**" وهي تقطب حاجبها بعدم فهم، وبابتسامة جانبية غير مكترثة...

- من الَّذي توفي؟

- هـ... هنـ... "**هنا**".

تلعثمت "**شهد**" بكلِّ حرفٍ فيها، صرخت "**نادين**" صرخة كتمتها بيدها، زاد بكاء "**ريري**" الَّتي جلست، وجلستْ إلى جانبها "**نادين**" الَّتي غمرت وجهها الدموع المتلاحقة، ظلَّت "**شهد**" على وقفتها لحظات، أمسكت "**لُولا**" بيدها وأجلستها على الأريكة خلفها، قالت أشياء كثيرة من بين دموعها المُنهمرة، لم تسمع أيًا منها؛ فبتلك اللحظة لم تكن تعي، فلا تسمع، ولا تُبصر، ولا تشعر، ولا تتنفس، ولا تنبض، كانت عينها تدور بالجميع دون أن تصطدم بشيء، كانت تعبر الجميع إلى وجه "**هنا**" البريء الضاحك، ظلَّ عقلها يدور بالفراغ مع هذا الوجه وحده، فيسقط منه ليصطدم بفراغ أكبر لا يحوي غيرهما، أعادها صوت "**نادين**" الباكي...

- متى حدث هذا؟ وكيف علمتم؟

- اتَّصل بي مُمرِّض بالمشفى في الثانية عشرة بعد منتصف اللَّيل ليُبلغني الخبر، كنت طلبت إليه أن يخبرني كلَّ ما يخصُّها، لتطمئن "**شهد**" عليها طوال الوقت.

أجاب بها "**جلال**"، وهو يهم بالجلوس إلى الكرسي المُقابل لها، اتَّجهت عينه لعين "**شهد**" الَّتي لا تنظر نحوه، أحنت رأسها ووضعتها بين كفيها، حاولت البكاء أو الصراخ لكنها لم تستطع، احتبس صوتها داخلها، فدوت صرخاتها بين ضلوعها تُحطِّمها وتُطبق على صدرها؛ فتهدم به كلَّ ما بناه الأمل في الساعة الماضية، وتَقضُّ داخله كلَّ جدران الأمان الَّتي جاهدت شهورًا ماضية تُشيِّدها، سالت دموعٌ بداخلها تُغرق نبضها وتأتي على كلِّ ما بها، لتتباعد أنفاسها؛ فقد رحل ما كان يُبقيها صامدة، رحل آخر أمل لها بالحياة، أو بالأحرى الرابط بينها وبين الحياة! حينها سقط فراغ عقلها ليصطدم بالحقيبة القابعة بمنتصف الطاولة، رفعت رأسها عن كفيها، وهي تُحرِّك رأسها على غير هُدى! تبادل الساكنون حولها بدموعهم النظرات المُتعجبة، همَّت واقفة وما زالت عينها مُعلَّقة بالحقيبة! سحبت سُترتها فهبَّ "**جلال**" واقفًا يعترض طريقها...

- ماذا تعتقدين أنكِ فاعلة؟

رفعت طرف عينها نحوه، وقد انتفض الجميع من مجلسه...

- إلى أختي، أريد أن أراها.

أمال رأسه بابتسامة حانقة...

- كلَّا... هذا لن يحدث، أنتِ لن تذهبي إلى أي مكان.

اتَّجهت "**ريري**" نحوها، و"**نادين**" تهتف بدموعها...

- لا يمكنك الذهاب يا "**شهد**"، هم بالتأكيد سيتوقعون شيئًا كهذا.

رمقتها بنظرة أحنت لها "**نادين**" رأسها، عادت تنظر نحو "**جلال**"...

- لن يمنعني أحد من رؤية أختي.

همَّت لتتخطَّاه، فعاد واعترض طريقها...

- أنا سأمنعك، أختك رحلت وإن خطوتِ إلى هناك فأنتِ ميتة.

- لن أموت، أتعلم لماذا؟

زادت خطوة باتِّجاهه، حتى تلامست أنفاسهما، همست بحنق وعيون اشتعل بها الغضب...

- لأن الميت لا يموت مرَّتين، وأنا بالفعل مُت.

أغمض عينه ألمًا، زادت دموع "**نادين**"، لم تتخلَ "**لُولا**" عن مجلسها تبكي به بصمت ألجمها، "**ريري**" تُمسك بذراع "**شهد**"، والَّتي تخطَّت "**جلال**" خطوة نحو الباب، وقبل الثانية! طوَّقها من الخلف وهو يهتف بحزن...

- ربَّما تكوني مُحقَّة... لكنك لن تُغادري إلى أي مكان.

حاولت دفعه لكنه أحكم ذراعيه حولها، انتفضت "**لُولا**" من مجلسها، تحلَّقن الثلاث حولهما، لم تحاول أي منهنَّ منعه من الإمساك بها، بل هتفت "**ريري**" و"**نادين**"...

- اهدئي يا "**شهد**" نحن نخشى عليكِ.

- سيقتلونك إن خطوتِ إلى هناك.

ظلَّت تدفع بقدميها بقوة، وبقوة أكبر ظلَّ مُطبقًا ذراعيه حولها، مُتحمِّلًا كلَّ

مقاومتها، يهمس في أذنها بأنه لن يتركها ولو قتلته، راحت تصرخ...

- ابتعد عني... لا شأن لك بي.

ظلَّ مُتشبِّثًا بها بين ضلوعه، كلُّ ما به يود لو يجهر بما في قلبه لها، يزداد صراخ ضلوعه ألمًا لأجلها، بعد القليل من الوقت والكثير من التَّرقب، خارت قواها من الدفع والصراخ، راحت دموعها تنهمر دون توقُّف، حتى سقطت أرضًا وما زال يحتضنها بين ذراعيه، راحت تصرخ وتجهش بالبكاء، وهو يحوطها بيديه وتدفن هي رأسها بصدره المُحترق لأجل كلِّ دمعة تسقط منها، أو صرخة تخرج منها لتدوي بين ضلوعه، ظلَّ كلاهما أرضًا، تحلقن الثلاث من حولهما يبكين بسكون.

في تمام العاشرة صباحًا، حثَّ **"شريف"** الخطى بردهة المشفى، ليجد **"سمير"** يقف بالرَّدهة يتحدث إلى أحد الأطباء، وحين رآه **"سمير"** اندفع نحوه بخطى ثابتة، عندما وصل إليه، رفع حاجبه بدهشة وهو يتساءل...

- ما الَّذي حدث لجبهتك يا **"شريف"** بك؟

تحسس الجرح الَّذي خلفته ضربتها القوية، وهو يكزُّ على أسنانه بضيق...

- لا شيء، ارتطمت بالجدار، كان الظلام حالكًا، ولم أره أمامي.

- لكن يبدو أنها ضربة قوية.

تبسَّم بها من جانبه، قطب **"شريف"** حاجبه، يكفيه ما يعتمل بصدره من ضيق، انتبه **"سمير"**، حين تساءل وهو يسير بالممر و**"سمير"** يتبعه...

- متى حدث هذا؟

- تمَّ إبلاغنا بالثانية عشرة بعد منتصف اللَّيل، حاولت الاتصال بك لكنك لم تكن تجيب.

عاد وتحسس جرحه، فقد كان فاقدًا للوعي وقتها، زفر بحنق...

- ما سبب الوفاة؟

- هبوط حاد بالدورة الدموية، هذا ما أكَّده الأطباء.

صمت لحظة وتوقَّف فجأة، التفت إليه **"شريف"**، فتساءل **"سمير"** باهتمام...

– هل تعتقد أنها تمتلك جرأة الحضور؟

– هل تعتقد أنت؟

أجاب بها، وعاود المشي ثانية، تبعه **"سمير"** وهو يحكُّ مُؤخِّرة رأسه...

– إن كانت تلك الفتاة قد خطت بهذا البحر لأجل أختها، كما قال **"أمجد"** فقد فعلت كلَّ هذا لأجلها منذ البداية، حتى صارت نقطة ضعفها الَّتي أرغمها بها العمل معه، وكان لديها الجرأة كي تأتيها أمامنا جميعًا! وبكلِّ تلك الحراسة الَّتي وُضعت عليها سابقًا! فأنا بالحقيقة أتوقَّع منها أي شيء.

– أنا لا أتوقَّع بل أوقن أنها ستأتي، ولهذا سنكون بانتظارها، رتِّب كلَّ شيء، هنا وبالجنازة وبالمقبرة، لا تدع شيئًا يفوتك، أريد **"شهد"** تحت يدي بأسرع وقتٍ ممكن.

قالها بضيق غمره، وقد أصبح أمام الجزء الخاص بثلاجة الموتى، وأردف...

– من سيتسلم الجثة؟

– إنه قريب لوالدها، أعتقد ابن عم لوالدها، قامت إدارة المشفى بإبلاغه.

– جيِّد، تأكَّد من ألَّا تترك هفوة خلفك، **"شهد"** ستأتي، وسنكون بانتظارها.

أمعن النظر بعين **"سمير"** وهو يقول بحدة حانقة...

– تلك المرَّة لن تُفلت من يدي.

أمال رأسه إيجابًا، عندما وضع **"شريف"** يده بجيب سترته، أخرج منه ظرفًا صغيرًا وأعطاه له! فتحه فوجد به ثلاث صور! راح ينظر بها...

– ماذا عنهما؟

– أريد كلَّ شيءٍ عنهما، كلَّ ما تستطيع إيجاده، هي خدمة أُقدِّمها لصديق.

– هل مِن شيءٍ أستطيع البدء منه؟

– **"كامل عمَّار"**، رجل أعمال معروف.

قالها وهو يشير نحو **"كامل"**، ليتساءل **"سمير"**...

- والآخر؟

- لنرَ إلى أي مدى سيكون معروفًا؟

لم يُصرِّح بأكثر من ذلك لـ"**سمير**"، ربَّما يثق به، لكن الشَّكَّ ما زال يعتمل بصدره، لم يعد من ناحيتها فقط، بل من ناحية كلِّ شيء! صار كلُّ شيءٍ يحتمل ألف وجه، صارت النهايات بدايات! والبدايات مجرَّد طرق متقاطعة، جميعها تتصل بعضها ببعض دون واصل يُوصلها! لم يعد سوى الشَّكِّ حليفه وقانونه الوحيد بتلك اللعبة ذات الألف خيط! لكن بالنهاية سيجد خيط الوصل بينها! هكذا ساوره عناده وإصراره نحو فك ألغاز تلك اللعبة الَّتي لا تكف عن مفاجأته!

ألقى "**شريف**" نظرة ضيق من خلف كتف "**سمير**" وهو يزفر! التفت ليرى ما سر ضيقه المفاجئ! ليتساءل "**شريف**"...

- ما الَّذي أتى بهذين الأحمقين إلى هنا؟

أمعن "**سمير**" النظر لحظة بـ"**جميلة**" و"**أحمد**"، وهو يهزُّ رأسه...

- لهما مصادرهما وبالفعل نُشر الخبر بجريدتهما، ولن نستطيع منعهما، غير أن تلك الحمقاء ابنة "**الأسواني**"، وأبوها رئيس حزب المعارضة الآن، ولن نستطيع الاقتراب منها.

- تبًا لتلك الحرية الَّتي تُكبِّل أيدينا، تجعلهم يخلقون الفوضى في كلِّ مكان.

- الحرية هي آفة الشعوب الآن، الكلُّ يهتف بها ولها، كأنهم يسيرون في الشوارع بأصفاد في أيديهم وأرجلهم!

هتف بها "**سمير**" بسخرية، وما زال كلاهما يرمقهما بنظرة امتعاض جانبية، زاد ضيق "**شريف**" الباسم...

- الحمقى لا يعلمون بأي درب يخطون، إنه طوق الفوضى الَّذي يلفونه حول أعناقهم، سيظلون يسحبونه حتى يخنقنا جميعًا بالنهاية! أعطِ الحمقى كوبًا من الحرية سيتقاسمونه، ويتجرَّعونه وهم يتلذذون، أعطهم بحرًا وسيُغرق بعضهم بعضًا داخله!

أمال رأسه مؤكدًا، أطبق "**شريف**" على كتفه...

- لا يهم... فلنعد لعملنا، لا أريد هذين الأحمقين هنا، ارمِ لهما بعظمة، وأخرجهما

من هنا.

أمال رأسه تأكيدًا، همَّ باتِّجاههما، ليرمي لهما بمعلومة وفاتها إثر هبوط بالدورة الدموية، وتنبيه عن وجهة المكان الَّذي ستُدفن به الجثة، طلب إليهما المغادرة، وهذا ما تظاهرا بفعله! لكنهما ظلَّا قريبين حتى ينتهي كلُّ شيء.

الجميع يترقَّب ظهورها عاجلًا أو آجلًا، وأوَّلهم **"سعد"** الَّذي كانت عيونه تحوم حول المشفى ترقُّبًا لمجيئها، لم تفارق عيناه مدخلها الخلفي، كان واثقًا من حضورها!

***

الثامن

لعبة الأموات!

بصباحِ اليوم التالي، كان الجميع مُرهقًا من ليلة لم ينعم بها أحد بنوم هادئ، الجميع ظلَّت عينه مفتوحة لترقب حضورها! فلم يرَها أحد ولم يظهر لها أثر بالمشفى أو حوله! وهو ما أثار ضيقهم، بدءًا من "**شريف**" الَّذي قضى اللَّيلة على باب ثلاجة الموتى، كلُّ جثة من الثلاث الَّتي دخلت إلى الثلاجة في تلك اللَّيلة، أصرَّ على رؤية وجه صاحبها أو صاحبتها والتمعن به!

"**أحمد**" و"**جميلة**" قضيا اللَّيلة بسيارة "**أحمد**" أمام باب المشفى الخارجي، ولم يكن "**سعد**" بأقل منهم تعبًا بعدما قضى ليلته جالسًا بسيارته أمام باب المشفى الخلفي، لم يرفّ له جفن!

في تمام التاسعة صباحًا حضر ابن عم لوالدها، بعد إتمام كافة إجراءات استلام الجثة، توجه إلى ثلاجة الموتى، تسلم الجثة وغادر المشفى، الجثة بسيارة الموتى، "**شريف**" و"**سمير**" بسيارة "**سمير**"، كذلك "**أحمد**" و"**جميلة**" خلفهما، وعلى بُعد كافٍ خلف الجميع كانت سيارة "**سعد**"، ظلَّت الأنفاس مُتلاحقة، العيون مفتوحة، تربصًا بلحظة ظهورها الَّتي لم تحن بعد!

هناك أمام المشفى، على مسافة قريبة من كلِّ هذا الصخب المُشتعل، كانت تجلس بسكون جارف داخل سيارة "**جلال**" مُعتمرة قبعتها الرياضية، عينها مُعلَّقة بباب المشفى، حتى ظهرت سيارة الموتى ببابها الأمامي، لتشعر بغُصَّة اجتاحت كلَّ ذرة بها، راحت تعتصر روحها دون توقُّف، لم تستطع غلق عينها عن تلك الآية الَّتي طُبعت عليها "**كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ**". لم تفارق عينها الَّتي لم تكف عن الفيض بدمعها الساكن، حتى اختفى الجمع بأكمله وسط الزحام، واختفت هي معهم!

وصلت السيارات إلى مقابر أسرة والدها، لم يكن الحشد كبيرًا إلا أن رجال الشرطة جعلوه كبيرًا! كانوا بكلِّ مكان، "**جميلة**" و"**أحمد**" كانا وسط الحضور، أمَّا "**سعد**" فقد

كان هناك! اختار بقعة عالية، توارى خلف شجرة، اعتدل بجلسته على الأرض وأطبق يده باستماتة على بندقية قنص، يرقب من خلال منظارها كلَّ ما يتحرَّك على الأرض داخل المقابر وحولها! لم يُفارق الزناد إصبعه، يترقَّب لحظة حضورها، تلك المرَّة سيُرديها قتيلة دون سابق إنذار!

تفرَّق "**شريف**" و"**سمير**" وسط الحضور، عيونهما تجوب كلَّ وجه، تتربص بالفريسة، حتى إن بعض الوجوه كانت تختفي تحت نُقُب، أصر "**شريف**" على رؤيتها! وتجنبًا لإثارة الغضب والحنق، تولت "**جميلة**" تلك المهمة، لتهوي الخيبة على صدور الجميع فلم تكن أيًا منهن، ظلَّت عيونهم جميعًا تعبر وسط العيون تفتش عن ضالتهم.

الجميع واثقون من حضورها! وكيف لا؟ وهي أختها الوحيدة، من خطت ببحور الشيطان لأجلها منذ البداية، كانوا يستشعرون وجودها! يحسونها على بُعد خطوة منهم كما كانت في المشفى! على الكرسي المقابل لـ"**شريف**" ببيته! على بُعد ذراع من "**سعد**" بالمقابر! إلا أنها انفلتت من بين أصابع الجميع كما فعلت سابقًا وسابقًا، حتى إنهم تعبوا من عد تلك السوابق! دُفنت الجثة، وقف عمها يأخذ عزاءها، مر الوقت القصير طويلًا كجبل يأبى أن ينقض!

ظلَّ "**سعد**" مُطبقًا على زناده، لم ترفّ عينه بمنظاره، ينتظرها، يستشعرها حوله بكلِّ مكان! ظلَّ مُتيقظًا لتلك اللحظة الَّتي لن يفوتها بأي ثمن.

على عكس ما كان متوقعًا انقضى الوقت وانقضى معه الأمر دون ضوضاء، دون رصاص، دون دم آخر يُسجَّى بالتراب! غادر الجميع وكلٌّ يحمل خيبة أمله بقفصه الصدري يُغلق عليها بإحكام! لم يرفّ لها طيف حولهم، أو هكذا حاولوا تصديق كبريائهم المهدور دمه، رغم ما سكن صدورهم بأنها كانت أكثر من طيف!

أبى "**شريف**" أن يُغادر دون ترك ثلاثة من رجال الشرطة حول المكان، متوارين عن الأنظار، تحسُبًا لظهورها، رغم تيقنه بأنها تقف قريبة منه، ربَّما على بعد خطوة! ترمقه بتلك النظرة المنتصرة عليه!

أمَّا "**سعد**" فلم يُفلت زناد بندقيته، ولم يُغادر «فهي ستأتي، حتمًا ستأتي! وسيكون بانتظارها، وتلك المرَّة هي من سيصرخ ألمًا». هكذا دوى صوت شيطانه داخله.

هناك وعلى الجانب الآخر، أمام المشفى، بعد أن اختفى الجميع وتبعتهم كافة عناصر الشرطة الباقية، لم يعد ما يبقون لأجله، ترجَّلت عن السيارة، دلفت إلى المشفى ومن خلفها "**جلال**"!

عبرا الرَّدهة الأمامية للمشفى، استقلا المصعد للدور الثاني، تخطيا الرَّدهة كاملةً حتى وصلا مكتبًا بنهايتها طُبع على بابه - «مكتب المراقبة والأمن!» طرق "**جلال**" طرقتين، فُتح الباب، لم يكن يوجد بالداخل سوى شاب متوسط العمر نحيل الجسد، أغلقت الباب خلفهما، اعتدل الشاب على كرسيه، أمامه جدار مليء بشاشات المراقبة، أخرجت ظرفًا من جيبها أعطته إلى "**جلال**"، الَّذي وضعه على لوح مفاتيح التحكم أمامه! فتحه ورمق ما به من دولارات فزادت بسمته، أغلقه، وضعه بجيبه، وهو يسأل بحماس...

- ما الَّذي تريده تحديدًا؟

حينها نظر "**جلال**" نحوها كأنه لا يعلم الإجابة! ولا لماذا هو هنا تحديدًا! فقد ألحَّت بإصرار لا تراجع عنه على المجيء بعد مغادرتهم! دون أن تخبره السبب! فلا يعرف ما الَّذي يجول بخاطرها! لكن كلَّ ما يعرفه أنها بحال سيئ، لا يمكن مجادلتها بأي شيء، تقدَّمت "**شهد**" خطوة وطلبت إليه القيام من مجلسه! نظر الشاب نحو "**جلال**" بعدم فهم، أمال رأسه تأكيدًا، همَّ واقفًا وما زالت الدَّهشة تعتليه و"**جلال**" من قبله! جلست هي، سكنت لحظة أمام تلك الشاشات الكثيرة، تردَّدت أصابعها فوق لوح التحكم، إلا أنها تنفست بعمق وعبر بذهنها ابتسامة "**هنا**" لها، من بين صوت "**شريف**" وهو يصرخ بها - «هؤلاء القوم لن يتركوكِ، سيقتلونك، وكلَّ ما تكترثين له». بدأت تتلمَّس لوح التحكم أمامها بهدوء بالغ أوَّل الأمر، فلم تكن كلُّ ذكرياتها العائدة أشخاصًا وأماكن فقط! بل كان لعشقها الأوَّل لكلِّ ما هو إلكتروني نصيب لا بأس به، لحظات ودوت أصابعها تركض على لوح التحكم بسرعة كبيرة حتى إن "**جلال**" لم يستطع مجاراتها وملاحقتها بعينه! في حين فغر التقني فاهه من سرعتها وتكيفها مع آلته أكثر منه! كأنها تعلم ما الَّذي تبحث عنه! راحت الشاشات تُعيد بثَّ الصور الَّتي التقطت منذ ليلتين مضتا، تحديدًا صور الدور السادس، وبالأخصِّ صور كلِّ مَن دخل وخرج من غرفة تُسعمائة وستة! حينها فغر "**جلال**" عينه وهو يتلعثم...

- هل تعتقدين أنهم...

لم يُكمل بشيء، اكتفى بنظرة كره سكنت بعينها ليعرف الإجابة!

توقَّفت الشاشات عن البثِّ فجأة! حين توقَّفت أصابعها عن لوح التحكم! بدأت جميعها بعرض صورة واحدة، ثُبِّتت على كافة الشاشات! لمُمرِّض يدلف إلى الغرفة، في تمام الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة قبل منتصف اللَّيل، خرج منها بعد دقيقتين تحديدًا! أي في الدقيقة سبعة وأربعين، لتدلف في الدقيقة خمسين مُمرِّضة بوجه مبتسم، لحظات وتخرج مذعورة، تصرخ بطلب طبيب! أعادت **"شهد"** المشهد أكثر من مرَّة، توقَّفت ثُمَّ أعادت المشهد السَّابق له! كان بتمام الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة، حين خرجت ذات المُمرِّضة وهي مبتسمة، وقفت لحظة بالباب وهي تخاطب من بالداخل – «لا تنامي، دقائق وسأعود أكمل لكِ القصَّة». عاودت لقطة المُمرِّض وعادت يدها تركض فوق لوح المفاتيح، لكن تلك المرَّة كان الغضب يركض بصدرها أعتى! ظهرت صورة واحدة أقرب ما تكون لذاك المُمرِّض! فغر لها **"جلال"** عينه وشهق أنفاسه بقوة! لم تكن الصورة واضحة بما يكفي، لكنها كانت كافية لإظهار عقربه المُتربع على رقبته من الجهة اليُسرى!

لتُعلَّق عين **"جلال"** بها وتلك النظرة الساخطة الَّتي سكنت وجهها، ويركض بعقله نفس الفكرة الشيطانية الَّتي توهجت بعقلها! فلقد قتل أختها! تلك هي العظمة الَّتي حاولوا اجترارها إلى الخارج عن طريقها! غادرا غرفة المراقبة، بعد أن حصلت على نسختين من شريط المراقبة! حين عبرت ردهة الدور الأوَّل ثانيةً! توقَّفت لحظة أمام لوحة صغيرة عُلِّقت على الجدار! طُبع عليها – «إلى ثلاجة الموتى». تلألأت بعينها دمعة حبستها بداخلها، حبست أنفاسًا لو خرجت لأحرقت كلَّ ما تأتي عليه! أطبق **"جلال"** راحته على ذراعها، عدَّلت من وضع قبعتها، مسحت دمعة أخرى هربت على جبينها، وغادرا.

مع دقات الثانية عشرة منتصف اللَّيل، كان يجلس إلى مكتبه، يحاول تشتيت عقله عن شبحها، الَّذي يُطارده بكلِّ مكان، راح ينظر بالصور الَّتي بيده تجمع **"أمجد"** بـ**"كامل"** وهو يزفر بضيق، تركها، أمسك ملفًا يطَّلع على المعلومات الَّتي جمعها **"سمير"** عن **"كامل"**، والَّتي صدمته حد الذهول! ليس لكثرتها بل لانعدامها! لديه ملف أكثر من نظيف، بل ناصع البياض، لا ضغائن، لا منافسات، لا مخالفات مرورية! وهذا شيء غريب بالنسبة لأي شخص عادي! فماذا إن كان يمتلك شبكة المعارف الممتدة بين رجال أعمال وسياسيين ورجال داخل الحكومة والمعارضة مثل **"كامل"**! كأن لا شخص بتلك الدولة لا صلة له به! هذا سبب كافٍ لجعل الشَّكِّ يتمكن من صدر **"شريف"** من ناحيته!

ويجعل له مكانًا حتميًا بالصورة، خاصة بوجود صور تجمعه مع قاتل افتراضي! والَّذي كانت المعلومات عنه سطحية لا تتخطَّى اسمه "**سعد الشاطر**"، وخدمته بشركات الأمن الخاص فترة، وغير ذلك لا شيء! كأنه لم يكن موجودًا قبل ذلك! وانضمام "**أمجد**" للفريق جعل الشر وليمة رئيسية جميعهم يتشاركونها، ما عاد لديه شكٌّ بأنهم متصلون جميعًا بجرائم القتل تلك بشكل أو بآخر، لكن يتبقَّى وضع كلٍّ واحد منهم بمكانه الصحيح داخل الصورة!

استردَّه "**سمير**" الَّذي جلس مُقابله، وهو يحمل مُغلَّفًا صغيرًا استلمه، كان موجهًا لـ"**شريف**"! طلب إليه "**شريف**" فتحه وقراءته، كان مجهدًا ولم يعد يستطيع فتح عينيه من قوة عصف دوَّامات الفكر المتلاحقة به في كلِّ اتِّجاه، مع كل تلك الخيوط المُتقطِّعة بمفترق الطرقات الَّذي لا يتزحزح عنه! كما عناده الَّذي يأبى التراجع هو الآخر! فتحه "**سمير**" فوجد به أسطوانة وورقة مطوية! فتح الورقة ليُحرِّك رأسه بعدم فهم، وهو يجلس إلى جانب المكتب، فتساءل "**شريف**"...

- ماذا هناك؟

لم يُجب بل أعطاه الورقة الَّتي خُط بها - «لقد سلبتموني كلَّ شيء». شرد "**شريف**" لحظة! سحب "**سمير**" الأسطوانة ووضعها بالحاسوب، راحت تبثُّ ما حدث أمام غرفة تسعمائة وستة! انتفض "**شريف**" واقفًا، أعاد الشريط ثانية، وبدأ يدرك ما حدث، ما تحاول قوله، حتى توقَّفت الصورة عند العقرب! حينها دفع "**شريف**" الكرسي بجواره بغضب فألقاه أرضًا، وسط دهشة "**سمير**" الَّذي لا يفهم شيئًا! زادت زفرة ضيق "**شريف**" وهو يأكل الغرفة بخطواته، دوت كلماته بحنقٍ مكتوم رغمًا عنه - «أخبرتها الحمقاء أنهم لن يتوانوا عن فعل أي شيء». ألقى بجسده على الأريكة، حتى خبا غضبه قليلًا، ليرفع عينه فيجد "**سمير**" غارقًا بكلِّ هذا يحاول ترتيب أي شيء بجوار الآخر لكنه يفشل! هزَّ "**شريف**" رأسه بضيق...

- "**هنا عزت**" أخت "**شهد**"، قُتلت.

فغر "**سمير**" فاهه، نظر نحو الشاشة ثانية يحاول مجاراة الأمر، حين قال "**شريف**"...

- اجلس، سأخبرك كلَّ شيء؛ فلقد اختلفت اللعبة برمتها الآن، والقادم...

صمت وهو يهزُّ رأسه بضيق، فقد تبدلت القواعد والقوانين دُفعة واحدة، ولم يعد

هناك حسابات مُسبَّقة، فقط الانتقام بات العصا السحرية الَّتي ستتلاعب بالجميع! جلس **"سمير"** بالكرسي المُقابل له، راح يقصُّ عليه كلَّ شيءٍ عن زيارتها الأولى والثانية! كلَّ ما وصل إليه من معلومات، وسط دهشة **"سمير"** الَّتي ألجمته!

على الطرف الآخر من المدينة، بعد منتصف هذا اللَّيل الَّذي بدأ ظلامه للتو! كانت تقف هناك أمام شاهد قبر! قرأت الفاتحة، مسحت عن وجهها دمعة، أمسكت بمعول، ضربت به أوَّل ضربة، ثُمَّ تلتها الثانية! سمعت وقع خطوات من خلفها تتقدَّم! لم تلتفت، ضربت الثالثة، حطَّت يدٌ على كتفها! التفتت! كان **"جلال"** يقف خلفها، سحب المعول من يدها، تراجعت خطوة، ضرب الرابعة فسقط عن فتحة القبر الأسمنت الَّذي يحوِّطها، فُتح القبر! تقدَّم ذات التربي الهرم بمصباح زيت في يده فتراجع كلاهما، راح يُزيح ما سقط وينظف مدخل القبر!

عبر بمخيلتها تلك اللَّيلة الَّتي كانت تركض بها بأنحاء هذه المقابر، والطلقات تُلاحقها من كلِّ اتِّجاه، استعادتها يد **"جلال"** الَّتي حطَّت على كتفها، أمعنت النظر داخل تلك الفتحة الحالكة بظلامها، فتحة يرقد داخلها جثمان أمها، رجعت مع **"جلال"** للخلف، اتَّجها نحو سيارة نصف نقل، فُتح الصندوق الخلفي لها! وقفت وبجوارها **"جلال"** ينظران للصندوق المتربع بمنتصف السيارة! اعتلى **"جلال"** صندوق السيارة، بدأ بدفع الصندوق بالوسط، همَّت لاستقباله! حين مدَّ **"رياض"** يده لحمله عنها! أنزلا الصندوق عن السيارة، جثت على ركبتيها، مدت يدها بتردد وأزاحت غطاء الصندوق! ظلَّت لحظة مُعلَّقة بهذا الجسد المُمدَّد داخله، كشفت الكفن الأبيض عن وجهها! ظلَّت لحظة تائهة دامعة حين حطَّت يد **"نادين"** على كتفها فأعادتها، راحت تُمعن النظر بوجه **"هنا"** الطفولي البريء المبتسم، قبلتها بجبينها وجبهتها، أعادت الكفن حول وجهها، حمل **"رياض"** و**"جلال"** الصندوق وعاونهما سائق السيارة وهي معهم، سار به أربعتهم حتى القبر، كان التربي السمين قد أعدَّ كلَّ شيء، بدأ بقراءة القرآن، حملتها من داخل التابوت و**"جلال"** معها، حاولوا منعها من دخول القبر، لكن أحدًا لم يستطع! وضعتها بالداخل هناك بجوار رُفات أمها، ربَّما كان بهذا عزاء لها، ربَّما هي تحتضنها هناك الآن! جثت لحظات فوق صدرها، همست بشيء في أذنها! سحبها **"جلال"** عنوة خارجه، قام التربي بفعل كلِّ ما يجب أن يكون، وقفت أمام القبر وعينها مُعلَّقة بتلك الراقدة داخله، **"جلال"** و**"رياض"** من خلف يمينها، **"نادين"** و**"لُولا"** و**"ريري"** من

خلف يسارها.

عبر بعقلها تلك الساعات القليلة الماضية! قام **"جلال"** في اللَّيلة السَّابقة بإدخال جثة مجهولة الهوية إلى المشفى، أُخذت من أحد المستشفيات العامة! أُدخلت إلى الثلاجة أمام عين **"شريف"**، في اليوم التالي، عند استلام الجثة تمَّ تبديلهما، تسلَّم عمها الجثة الأخرى! ومنذ ساعات قليلة عاد **"جلال"** وأخذ جثتها، انتبهت من شرودها على صوت **"نادين"** وهي تسأل **"جلال"** باهتمام ساخر...

– ربَّما تمَّت سرقة الجثة الأولى لأنها من مشفى حكومي؛ فلا أحد يهتم ولا يسأل وإن سرقت المشفى بأكمله! لكن كيف دخلت تلك الجثة إلى المشفى الخاص؟ وأيضًا يتم تبديلهما دون أن ينتبه أحد؟ وتعود وتأخذها دون سؤال من جروٍ يمر بباب المشفى؟

أمال رأسه، وهو يفرك سبابته بإبهامه....

– الأموال يا عزيزتي... فالأموال الَّتي أخرجتها من المشفى الأوَّل هي ذاتها الَّتي أدخلتها إلى الثاني، وأبدلتهما! فالأموال تفتح كلَّ الأبواب، القذرة منها والنظيفة، العامة والخاصة، فقط عليكِ دفع الثَّمن المناسب للشخص المناسب!

أمال **"رياض"** رأسه مؤكِّدًا بنظرة أسى، أنهى التربي مُهمَّته، أغلق القبر بإحكام، تركتهم **"شهد"** خلفها متحلقين يتهامسون عمَّا حدث بالمشفى، وما كان من شريط المراقبة.

اقتربت من القبر، وضعت يدها فوقه، أطبقت حافته بين راحتيها بقوة، كما دمعتها الَّتي حبستها بعينها، لتتركها تنهمر بين ضلوعها، ليشرد عقلها بالموت! شعور غريب لا تجد له مسمى أو شيء تصفه به! فهو شعور مُبهم بالسلام والسكينة! ولِمَ لا! وهو نهاية رحلة شاقة لصاحبه، إلا أنه دومًا بداية رحلة مختلفة لمن خلفهم وراءه علَى تلك الأرض! رفعت طرف عينها نحو الظلام الممتد أمامها، فمنذ بضعة أسابيع خلت كانت تقف هنا وبذات المكان، كانت ليلة أخرى، مُقمرة قليلًا، أكثر صخبًا، وكانت أضرارها بها لا تتعدى بضع دقائق من الذعر وكاحلًا ملتويًا! أمَّا اللَّيلة فخسائرها اعتصرتها من الداخل! تلك اللَّيلة الَّتي كانت تركض بها وسط تلك المقابر، بأنحاء طرقاتها هربًا من الموت، بدت لتلك اللحظة الحاضرة منذ ألف عام وليس فقط بضعة أسابيع خلت! ما أشبه بعض الليالي ببعض وسط القبور، لكنها من اختلف! كانت ليلتها تركض خلف قشَّة تعلُّقها بأمل، تدعو ربَّها بكلِّ ذرةٍ فيها ألَّا تكون هي من ارتكبت جريمة القتل! أمَّا الآن وبتلك اللحظة، فكلُّ ما

تفكر به هو كيف ترتكب جريمة قتل! فصارت مثل ليلتها الحاضرة أكثر ظلامًا ووحدة، بات برد جارف يجتاحها، وما عاد لها شيء تخسره! كلُّ شيءٍ الآن اختلف! استردَّتها يد **"رياض"** على كتفها، أجفلت للحظة، تمالكت نفسها وهي تلتفت نحوه، رأى السكون يغمر حدقتيها، لأوَّل مرَّة ينظر بعينها ولا يرى شيئًا! لا شيء على الإطلاق يسكنها! لا غضب لا كره لا أمل لا يأس، لا شيء سوى فراغٍ بدا هادئًا! همس لها بصوت مسموع لكلِّ المجتمعين على بُعد خطوات...

– أعلم أن لا شيء سأقوله قد يغير ما حدث، ربَّما يجول بخاطري ما الَّذي تهمس لكِ به تلك الظلمة داخلك الآن، لكن الانتقام لا يجلب سوى مزيد من الألم، هو سبيل لن يصل بكِ إلى أي مكان، هو طريق من ظلام سينتهي بكِ داخل فُوَّهة الجحيم.

سحبت يدها من فوق القبر، زادت باعتدالها وانتباهها له، التفت العيون بهما، عاود **"رياض"** حديثه بجملة **"دوغلاس هورتون"** الشهيرة...

– عندما تبحث عن الانتقام عليك أن تحفر قبرين... أحدهما سيكون لك نفسك.

انفلت من ثغرها بسمة مستخفة أكثر منها حانقة، تقدَّمت خطوة باتِّجاهه، وهي تُمعن النظر به...

– أنا لم أركض خلف الانتقام، ولم أسعَ لهذا الطريق، هم من وضعوني به، وأجبروني على كلِّ خطوة داخله، مسار أجبروني ألَّا أحيد عنه مهما حاولت.

تقدَّمت خطوتين بطريقها، تنظر للطريق أمامها، حتى باتت تقف بجانبه، تلامست الأكتاف، توقَّفت وما زالت شاخصة في الظلام أمامها...

– هم من بدأوا الطريق وليس أنا! وإن لم تكن تلحظ يا دكتور **"رياض"**، قبرا الانتقام قد امتلأ أحدهما للتو، لقد سددت جانبي من تلك الفاتورة مُقدَّمًا! والآن تبقى دورهم.

– أنتِ تفتشين عن العدالة وليس الانتقام، يجب أن تفكِّري أيهما تريدين الآن؟ يجب أن تختاري أحدهما، لأنهما طريقان متوازيان لا يجتمعان معًا بأي شكلٍ أو تحت أي مسمى.

التفتت نحوه وتلاقت العيون للحظة...

– لقد سلبوني كلَّ شيء، الانتقام هو العدالة الوحيدة الَّتي بتُّ أعرفها وسأحصل عليها.

صمتت لحظة وهي تعاود النظر بالظلام أمامها...

- امتلأ قبر، وأعدك أن يمتلئ الآخر.

رفعت قُبَّعة سترتها فوق رأسها، دثرت كلتا يديها داخل جيبيها كعادتها، أكملت طريقها دون أن تلتفت لأي من تلك العيون المُعلَّقة بها، التفت **"رياض"** للاتِّجاه الآخر وهو يراها تُغادر، تنهد بضيق وألم، تلاقت عيناه بعيون الجمع الَّذي بدأ يتفكَّك، بدأت خطواتهم تلحق بها، أومأ له **"جلال"** برأسه بيأس فبادله إياها، التفت نحو القبر، رمقه نظرة أخيرة ثُمَّ غادر.

بالصباح التالي كانت تجلس و**"جلال"** أرضًا، مُتحلقين حول ما كان بالحقيبة، الَّتي فضَّتها، أوراق كثيرة بُعثرت حولهما، وجهاز الحاسوب النَّقَّال، كان هناك ملف واحد يحوي أوراق بيع وشراء وتسجيل أراضي، الكثير منها! كلها تنتهي باسم مشترٍ واحد! بعض محاضر الماء والكهرباء تخص ذات الأراضي! هتف **"جلال"** بعد كثير من إعادة قراءتها مرارًا وتكرارًا...

- تلك العقود لن تصل بنا إلى أي مكان، ربَّما هي مجرَّد عقود ليس لها علاقة بالأمر.

- كافَّة العقود مسجلة لصالح **"صادق عبَّاس رضوان"**.

قالتها **"شهد"**، صمتت لحظة بشرود، وقبل أن يتساءل **"جلال"**، استرسلت...

- **"صادق رضوان"**! إنه ذات الشخص!

- أي شخص؟

- الَّذي اعتقد **"شريف"** بأنه من أرسلني لقتل **"العليمي"**!

هتفت بها، ليتساءل بدهشة...

- لماذا يحتفظ **"العليمي"** بعقود تخص منافسه وعدوه؟

- ربَّما كي لا يستطيع **"صادق"** إثبات ملكيته لتلك الأراضي؟

- تلك العقود مُسجَّلة، يمكنه ببساطة العودة إلى الشهر العقاري واستخراج غيرها.

هزَّت رأسها بيأس، أتت "**نادين**" و"**ريري**" من المطبخ، تحملان بعض أطباق الطعام و"**نادين**" تهتف...

- يجب أن تأكلي شيئًا، أنتِ لم تأكلي منذ يومين.

أمالت رأسها ممتنعة، نزلت "**ريري**" أرضًا وهي تُمسك بكوب لبن...

- يكفي أن تشربي هذا، أرجوكِ يا "**شهد**" لأجلي هذا فقط.

أمسكت به، حين همَّت "**ريري**" للوقوف تعثرت عينها بتلك العقود، أمسكت أحدها تتفقده بدافع الفضول، أخذت تمعن النظر به، ثُمَّ التالي والتالي! حتى قرأتها جميعًا، خفضت آخر ما كان بيدها، وبصوت قد امتلأ صدمة...

- تلك العقود مُزيفة... جميعها.

تصلَّبت الوجوه، تحجَّرت العيون، انتفضت القلوب بمواضعها، هتف "**جلال**"...

- ما الَّذي تقولينه؟

- تلك العقود مزيفة، جميعها بلا استثناء.

- كيف لكِ أن تعلمي؟

كانت تلك "**نادين**" وهي تتربَّع أرضًا بجوار "**شهد**"، الَّتي لم تعد من دهشتها بعد، اعتدلت "**ريري**" وهي تُلاحق أنفاسها...

- لأنني من زوَّرها! على الأقل جزءًا منها.

فغرت "**نادين**" عينها، حين حاول "**جلال**" السيطرة على دهشته...

- تلك العقود مسجَّلة بالشهر العقاري!

- أعلم.. لكنها مزوَّرة... جميعها، وأنا من زوَّر تلك المجموعة من العقود، وهذا الرجل "**صادق رضوان**" أنا أعرفه جيِّدًا!

قالتها وهي تُمسك بمجموعة من العقود، أمسكت "**شهد**" بيدها...

- هلَّا تشرحين لي ما الَّذي يحدث، ومن أين لكِ معرفته؟

- هو من وضعني بالسجن.

ألجمت تلك الجملة الأخيرة أفواههم، خرجت "**نادين**" عن صمتها بدهشة...

- عفوًا... هل من توضيح؟

- أخبرتك سابقًا أنني بريئة ولم أسرق أحدًا، لأنني بالحقيقة لست سارقة بل أنا مُزوِّرة، وبالحقيقة أنا جيِّدة جدًا.

قالتها وهي تنظر نحو "**شهد**"، ثُمَّ دارت بعينها وسطهم...

- الأمر أنه أتاني رجل وطلب إليّ تزوير بضعة عقود مُقابل مبلغ كبير، وبالفعل فعلتها، كانت عبارة عن مجموعة عقود بيع تخص أرضًا يمتلكها عشرة أشخاص، لصالح خمسة فقط.

- لا أفهم!

عادت تتساءل بها "**نادين**"، وما زال "**جلال**" و"**شهد**" مُنصتين باهتمام، استرسلت "**ريري**" بذات النظرة...

- لنقل أن هناك عشرة أشخاص يمتلكون عددًا كبيرًا من الأفدنة، نقوم بعمل عقود بيع مِن كلِّ اثنين لصالح شخص واحد فقط، فتتحول الأرض من ملكية عشرة إلى ملكية خمسة.

أمال "**جلال**" رأسه موافقةً، لتستطرد...

- بعد شهرين تقريبًا أو ما يزيد قليلًا، جاءني نفس الرجل وطلب إليّ عمل عقود بيع جديدة من الخمسة لصالح خمسة آخرين، ثُمَّ شهرين آخرين وقمنا ببيع ذات الأرض لكن تلك المرَّة إلى شخص واحد فقط! وتحولت ملكية تلك الأرض كاملة إلى ذلك الشخص.

- "**صادق رضوان**"!

كانت تلك "**شهد**"، أومأت "**ريري**" رأسها إيجابًا، لتتساءل "**نادين**"...

- ماذا عن أصحاب الأرض الفعليين؟

- هنا تكمن اللعبة يا صديقتي.

أمال "**جلال**" رأسه متعجبًا كما "**شهد**"، فاستطردت "**ريري**"...

– لنقل أنه حين أتاني في المرَّة الثانية شعرت بعدم ارتياح، وأن هناك شأنًا غريبًا في هذا الأمر! شيء لم أفهمه، إذا هو أراد شراء تلك الأرض ربَّما يرفض شخص أو اثنان لكن الجميع هذا صعب! خاصة أن تلك الأرض في الصحراء! فمن يكترث لها! لذلك أخذني الفضول لمعرفة ماذا يحدث؟

أمالت "**شهد**" رأسها...

– إذًا؟

– حين بحثت خلف الخمسة الَّذين زوَّرت بأسمائهم العقود وجدتهم جميعًا أموات، فبحثت خلف الآخرين، وكانوا أيضًا أموات! واحزري ماذا؟ العشرة الأوائل الَّذين كانت العقود الأصلية لهم، أيضًا أموات، لا أحد على قيد الحياة.

– جميعهم أموات!

انتفض بها "**جلال**"، هزَّت "**ريري**" رأسها إيجابًا...

– ليس هذا فقط فالأوائل أيضًا جميعهم توفوا تقريبًا بذات السنة الَّتي حصلوا بها على العقد الأصلي من الوزارة! ولأن تلك مصادفة لا تحدث إلا واحدًا بالمليون! قررت التعمق أكثر، فاكتشفت اللعبة.

– وهي؟

كانت تلك "**شهد**"، تبسَّمت "**ريري**" من جانبها...

– تظلُّ المفاجأة الأكبر أنهم حصلوا عليها وهم أموات!

– ماذا؟

انتفضت بها "**نادين**"، أمَّا "**شهد**" فظلَّت مشدوهة للحظة، عادت "**ريري**" تسهب بالشرح...

– ما قلته للتو، هم أموات! فما حدث أنه تمَّ عمل العقود الأولى من الوزارة باسم هؤلاء العشرة بتواريخ قديمة تتناسب وتواريخ وفاتهم، بحيث يكون تاريخ وفاتهم بعد فترة من استلامهم الأرض، وتواريخ البيع للخمسة قبل وفاتهم مباشرة، والأهم أنه لا صلة تجمعهم معًا، حتي إنهم ليسوا من مكان واحد، بل من محافظات مختلفة، حصلوا على الأرض بأقل الأسعار من الدولة كدعم، من أجل مشاريع استصلاح تُقام عليها،

وهو ما لم يحدث بالطبع.

- كيف يتم بيع أرض لأشخاص غير موجودين؟

هتفت بها "**نادين**" بغضب واضح، ليعلِّق "**جلال**"...

- أنتِ مخطئة، هم بالفعل موجودون ولهم أوراق وبطاقات، وسجلات أيضًا.

- لكنهم موتى!

كانت تلك "**نادين**"، تبسَّمت "**ريري**"...

- لن تستطيعي إثبات شيء، هذا إن فتَّش أحد خلفهم، لكن ما من أحد يبحث، من بداخل الوزارة أنفسهم مُشاركون باللعبة، هي لعبة بسيطة.. تتقدَّمين بأسماء أشخاص، وهم يسهلون لكِ الحصول على ما تريدين دون أن ينتبه أحد، تحصلين على قطعة أرض، تبيعها لكِ الدولة بأقل الأسعار لإقامة مشروع، قطعة لشخص واحد مهما اتَّسعت مساحتها شيء عادي وليس مُلفتًا للنظر، خاصة أنها بتواريخ قديمة.

- ثم؟

كانت تلك "**شهد**"، أجاب "**جلال**"...

- ثُمَّ قطعة بجوار الأخرى، والأخرى بجوار الأخرى، أصبح لديك مدينة.

- أصبت.

هتفت بها "**ريري**" بابتسامة واسترسلت...

- والأهم أن كلَّ شيءٍ سيظهر قانونيًا، هم اشتروا الأرض وباعوها وهم على فراش الموت لأنهم يحتاجون المال، والآخرون كذلك، لا أحد يُفتِّش خلف الأموات! هم اضطروا لبيعها، لا يمكن إحياؤهم من الموت لسؤالهم، هذا إن تساءل أحد من البداية! هذه الأرض تمَّت سرقتها من الداخل!

- ألم يلحظ أحد ما حدث؟

كانت تلك "**شهد**"، أجاب "**جلال**" بابتسامة مُغتاظة...

- كلَّا لم يلحظ ولن يلحظ! لأنه ببساطة يعلم كيف يدفع جيدًا، وما دام يدفع فهو يحصل على ما يريد؛ فهو يدفع لمن يساعدونه بالوزارة وبالشهر العقاري؛ فيبدو كلُّ

شيءٍ قانونيًا، العقود والتسجيلات وأختام الوزارة، التواريخ محبوكة بشكلٍ جيد، رغم أنها مزوَّرة فإنها قانونية؛ لأنها تمَّت بالفعل داخل الوزارة، تمَّ دفع تلك القروش فيها، وعقود البيع والشراء التالية جميعها سليمة لأنها تمَّت بالفعل داخل الشهر العقاري، فجميعها مستوفية شروط الصحة! هم يقومون بتزوير العقود وتسجيلها بين البائعين والمشترين الأموات بتواريخ قديمة! ثُمَّ يقومون بالعمل الفعلي على الأرض، جلب المحاضر بالمخالفات، تلك المحاضر تثبت وضع أيديهم على الأرض، وأنها تؤول بالفعل اليهم.

أمسك **"جلال"** بالمحاضر، قطب حاجبه...

– تلك المحاضر تثبت ملكيتهم لها، كلها مؤرَّخة بتواريخ وأسماء متتابعة، حول من امتلكوها، وهي إثبات كافٍ بوضع أيديهم عليها وأنها كانت بحوزتهم، تلك لعبة لا يمكنك إثباتها ضدَّهم.

– أعتقد أن إبليس يجب أن يأخذ دروسًا خاصَّة عند هؤلاء القوم.

قالتها **"نادين"** ساخرة، حين اعتدلت **"ريري"** وهي تقول...

– تلك لم تكن لعبتهم الأولى.

أمالت **"شهد"** رأسها وقد تصنَّمت عيناها بمحجريهما، أومأت **"ريري"** وهي تشير نحو باقي العقود المبعثرة...

– نعم تلك لعبة يلعبونها منذ كنتِ بالمدرسة، لكن تلك فقط شاركت أنا بها.

– ما لا أفهمه... إذا كنتِ قد قمتِ بتزوير هذه العقود لصالحهم فلِمَ وضعوكِ بالسجن؟!

كانت تلك **"نادين"**، رفعت **"ريري"** حاجبها بضيق...

– لأني حين فتَّشت خلف اللعبة علموا بذلك، اعتبروني تهديدًا، حينها ادَّعيت أنني أريد أموالًا أكثر، وهم لا يعلمون أنني اكتشفت اللعبة برمتها، كلَّ تلك الأراضي الَّتي استولوا عليها وتحوَّلت إلى كبرى المشروعات السياحية والصناعية، وإلا لكنت من الأموات الآن، أهدوني تسع سنوات حبسًا كدرس تأديبي لي.

– لنقل أن **"العليمي"** اكتشف اللعبة، استطاع تجميع كافة أوراقها الجديدة والقديمة، وبالتأكيد هذا الحاسوب يحوي الكثير من أسرار **"صادق"**، الَّذي أرسل

صاحب العقرب ليقتل "**العليمي**" حين هدَّده بها، وكنت أنتِ بالمكان والزمان الخطأ.

قالها "**جلال**" وهو ينظر نحو "**شهد**"، الَّتي شردت بجملته الأخيرة، لكن الصوت الَّذي همس داخلها كان صوتًا مختلفًا! وله فحيح آخر - «أمَّا أنتِ فتواجدتِ بالمكان الخطأ، كان يجب أن تكون هي!» انتبهت "**شهد**" فجأة وهي تنظر نحو "**نادين**" باهتمام...

- أريد منكِ أن تُحدِّدي لي موعدًا مع شخص ما؟

- ماذا؟

قالتها "**ريري**" بدهشة، أمَّا "**نادين**" فقد فغرت فمها وعينها، ليتساءل "**جلال**" باهتمام...

- هل تهذين؟ هل جُننتِ؟ ما الَّذي تقولينه؟

لم تُعلِّق على أي منهما، ظلَّت ترمق "**نادين**" بذات النظرة...

- هو مُوعد هام، ويجب أن نتَّبع التقاليد، أنتِ وحدك من يستطيع معرفة كيف، ومتى، وأين يمكنني مقابلته؟

تبسَّمت "**نادين**"، وقد فهمت ما تصبو إليه، بينما ظلَّ كلٌّ من "**ريري**" و"**جلال**" يتبادلان نظرات الدَّهشة والطير تُحلق فوق عقولهم الراكضة بدروب الحيرة!

بالمساء قُرب التاسعة، كانت تجلس إلى الأريكة، تنظر بتمعن لجهاز الحاسوب النَّقَّال والأوراق أمامها، استعادتها "**نادين**" بصوتها وهي تجلس جوارها...

- هناك شيء حدث، ولا أفهم له معنى حتى الآن.

- ماذا؟

تساءلت بها "**شهد**"، قطبت "**نادين**" حاجبها، وباستغراب ملأ صوتها قبل وجهها...

- "**أمجد**" التقى "**كامل**" بالفندق ليلة أمس.

- ماذا؟

هتفت بدهشة اجتاحتها، هزَّت "**نادين**" كتفيها، أخرجت هاتفها من جيبها وأعطته

لـ**"شهد"**...

- هذا ما حدث، كنت أُراقبه أمس، لقد تقابلا وبدا كأنهما على معرفة وطيدة.

أمسكت بالهاتف، راحت تمعن النظر بصورتهما....

- ما الَّذي قد يجمعهما معًا؟

- هذا سؤال لا محل له من الإعراب يا صديقتي... لأنكِ ببساطة إجابته.

هتفت بها بسخرية جادة، عاودت **"شهد"** شرودها، استردتها...

- ما بكِ؟ لِمَ أنتِ شاردة إلى هذا الحد؟

- كلٌّ شيءٍ بات مُعقَّدًا.

راحت تنظر نحو شاشة الحاسوب نظرة فهمتها **"نادين"** فقالت...

- ليس من الصعب فتحه، هيًّا افعليها، فلقد فعلتيها بالمشفى.

- هذا أكثر تعقيدًا من إعادة بعض اللقطات على شريط مراقبة.

صمتت لحظة، التفتت نحو **"نادين"**، وباهتمام...

- لِمَ لا تفعلينها أنتِ؟! فلقد حللتِ شيفرة الرسالة.

تبسَّمت **"نادين"** حد الضحك...

- أنا فقط مبتدئة، كنتِ تُعلمينني بعض الأشياء لإضاعة الوقت لا أكثر، أنتِ الأستاذ، أنتِ **"الآس"**.

- لكنني لست **"الآس"**... على الأقل لم أعد.

قالتها بحزن اعتلاها، شدَّت **"نادين"** على كتفها...

- اهدئي... فلتجرِّبي فعلها بقلادتك، سيكون الأمر كعمل فطيرة!

- أي قلادة؟

تساءلت بها بتعجب غمرها، أشارت **"نادين"** نحو القلادة حول رقبتها...

- هذه القلادة الَّتي لا تفارق عنقك، تحتفظين داخلها بوصلة صغيرة، يوجد عليها

شيفرات خاصة بالعمل.

- أتقصدين هذه؟

قالتها وهي تُطبق يدها على القلادة فوق صدرها، هزَّت **"نادين"** كتفها...

- نعم هي، حين تضغطين على رأس **"الآس"** بها للأسفل، فإنها تنقلب ويظهر من الطرف الآخر مدخل الوصلة، هذه هي أساس عملك؛ لذلك لم تفارق رقبتك منذ عرفتك، فدونها لا يمكنك عمل شيء.

- تعنين أن بدونها لا يمكنني القيام بأي عمل!

- كلَّا، بالطبع يمكنك... لكن مستحيل أن تُفكِّكي أي شيفرة دونها، إلا إن أخذتيها إلى منزلك أو مكان ما، وستأخذ منك بعض الوقت، فبها كافة الشيفرات الَّتي تستعملينها لاقتحام المواقع.

- إن كنت أنا بمنزل **"العليمي"** كي أفك شيفرة أي شيء، هذا يعني أنها لا بد أن تكون معي.

- دونها مستحيل أن تفعليها بمنزله، ستحتاجين نقلها لمنزلنا.

اعتدلت **"شهد"** وقد تربعت إلى الأريكة، وهي تتساءل باضطراب...

- نحن تقابلنا يوم الحادث؟

- نعم في السادسة مساءً تقريبًا بمقهى وسط البلد.

- القلادة كانت معي؟

- أكيد.

- أنتِ رأيتها؟

- تقريبًا.

- ما من «تقريبًا» يا **"نادين"**... رأيتها أم لا؟

هتفت بها وهي تشد على ساعد **"نادين"**، الَّتي اعتلاها التَّعجب من أسئلتها الَّتي لم تفهمها...

– ما بكِ يا "**شهد**"؟ لست متأكِّدة ربَّما.. فكنتِ ترتدين شالًا ما، ولم أتبين ما كان برقبتك.

– إذًا ربَّما لم تكن معي؟

قطبت بها حاجبها، فكَّت "**نادين**" يدها عن ساعدها، وهي ترفع حاجبها...

– مستحيل.

– ولماذا؟

ضغطت جبهة "**شهد**" بسبابتها، أمعنت النظر بها بسخرية حانقة من رد فعلها الغريب! وأسئلتها المُتلاحقة حول القلادة...

– هل فقدان الذاكرة جعلكِ غبية أم حمقاء؟ ليس فقط لأنها لم تفارق رقبتك يومًا منذ عرفتك، لكن هل رأيتِ يومًا طبيبًا يُعاين مرضاه دون سماعته الطبية؟

زادت نظرتها حدة وهي تُمسك بقلب القلادة بين أصابعها...

– إن كنت قد ذهبتِ لـ"**العليمي**" في عمل... فمستحيل أن تذهبي دونها، ثُمَّ إنها برقبتك فلِمَ كلُّ تلك الأسئلة حول كونك كنتِ ترتدينها ليلتها أم لا؟!

تصلبت حدقتا "**شهد**" في محجريهما، كزَّت أسنانها غضبًا، همست بصوت حانق...

– لا شيء... لا تهتمِّي... فيبدو أن كلَّ هذه الفوضى تقودني نحو الجنون!

وقفت قرب النافذة، عينها شاخصة بالفراغ، تُطبق على القلادة بين أناملها بقوة، كلُّ ما بها يصرخ داخلها دون توقُّف – «تبًا لكِ "**لُولا**" كنتِ مُحقَّة!»

بتمام الثانية عشرة منتصف اللَّيل كان يجلس خلف مقود سيارته شاردًا بمقابلته الأخيرة مع "**كامل**"، وكلِّ تلك الوعود الَّتي يُمنِّيه بها، فلم يعد بينه وبين الجنة الَّتي رسمها له سوى خطوة، فقط يتأكَّد من إزاحتها عن الطريق للأبد، وبكلِّ الأحوال فدمها بات مهدورًا من كلِّ اتِّجاه، هو لم يكن ليتركها وهي الشوكة العالقة بحلقه، قاطع صوت أفكاره باب سيارته الَّذي فُتح ليجلس بجانبه من كان ينتظره! نظر نحوه "**أمجد**" بابتسامة من جانبه، وقبل أن يُضيء السيارة أمسك "**أمجد**" يده فلم يشأ لفت الانتباه

إليهما في هذا الظلام...

- هل تأكَّدت أن أحدًا لا يتبعك؟!

- لا تقلق.

سحب **"أمجد"** حقيبة من الأريكة الخلفية، فتحها وهو يُلقي بها على قدمه...

- هذا نصف مليون جنيه، وسوف تحصل على مثله بعدما ينتهي كلُّ شيء.

أمسك بصورة وأعطاها له، ليُمعن الآخر النظر بـ**"شهد"** و**"نادين"**، ويستطرد **"أمجد"**...

- لن يكون من الصعب عليك إيجادهما؛ فأنت بارع بهذا الأمر... أريدهما ميتتين في خلال يومين على أقصى تقدير... هل هذا مفهوم؟

لم يُجب بشيء، أمال رأسه مؤكدًا، وهو يرمقه بتلك النظرة الكارهة...

- الأوراق الَّتي لديك ضدي متى أحصل عليها؟

زفر **"أمجد"** بنفاد صبر...

- كلانا يعلم أن تلك الأوراق بأيد أمينة، فقط تأكَّد من التخلص من كلتيهما، لا أريد أي خطأ، يجب أن يبدو كلُّ شيءٍ طبيعيًا.

- هل يوجد أحد بتلك المدينة لا تمتلك شيئًا ضده؟!

ضحك **"أمجد"** بزهو ملأه، ثُمَّ تذكَّر شيئًا...

- بالمناسبة.

أخرج صورة أخرى من جيبه...

- أريد كلَّ ما يمكنك الحصول عليه عن كليهما... لكن انتبه فهما ليسا كسابقيهما، توخى الحذر جيدًا فالغلطة معهما تُساوي عمرًا.

أمسك بالصورة وهو يُمعن النظر بها...

- أريد شيئًا أبدأ منه.

أخرج ورقة وأعطاه إياها، راح يقرأها بتمعن...

- "**كامل عمَّار**"، "**سعد الشاطر**"! ما الَّذي تريده عنهما تحديدًا؟

- أي شيء، وكلُّ شيء.

- هل هما شركاء عمل جُدد؟

رمقه "**أمجد**" بتلك النظرة الَّتي أسكتته؛ فهو يعلم أن بعض الأسئلة لم تُخلق لها إجابة بعد! وإن خُلقت لا يجب أن تُقال! أغلق الحقيبة، وضع الصورتين والورقة بجيبه، همَّ مُغادرا حين استوقفه "**أمجد**"...

- أريد كلَّ شيءٍ نظيفًا ككلِّ مرَّة.

أمال رأسه إيجابًا وغادر، استلقى "**أمجد**" للخلف وقد شعر بارتياح راح يغمره، سيحصل على كلِّ ما يريده بضربة واحدة، يتخلص منها ومن تهديد وجودها له، ومن تلك الحمقاء الَّتي تُساعدها وتلاعبت به، ويُرضي "**كامل**" الَّذي تركه يعتقد بأنه يتحكم به ويمتلك زمام الأمور بيده! حتى يضع قدمه حيثما يُريد، فلا بأس ببعض الرضوخ أمامه الآن، فبالقريب العاجل سيكون الجميع بيده، وأوَّلهم "**كامل**"!

بالصباح التالي، كانت تجلس على الأريكة وما زالت تُفكر بأمر القلادة! عادت تُمعن النظر بكلِّ ما لديها من أوراق لعلها تجد شيئًا فاتها سابقًا، جلست "**لُولا**" إلى جوارها، تعبر عينها بكلِّ تلك الأوراق المُبعثرة، عبرت عينها بشيء ما! عادت وتوقَّفت عنده! مدت يدها تسحب تلك الصور، الَّتي كانت تضعها فوق الأوراق، جمعت الصور، راحت تتفحصها واحدة تلو الأخرى، تساءلت عن صاحب الصورة الأولى، أجابت "**شهد**" بأنه "**صادق**"، سحبت الصورة التالية، توقَّفت حدقتاها! تباعدت أنفاسها! تلعثمت...

- "**كامل عمَّار**"!

اعتقدت "**شهد**" بأنها تُحادثها...

- نعم، هذا هو على اليمين، وحتى الآن لا أعرف أين يقع مكانه بتلك اللعبة! خاصة مع تزايد لقاءاته بـ"**أمجد**"! فلا أفهم حتى الآن ما الَّذي قد يربطه بـ"**أمجد**" ويربطه بصاحب العقرب هذا على اليسار!

ظلَّت "**لُولا**" على حالها! عادت تهمس بذات النبرة الغارقة...

- هذا سيئ، سيئ جدًا.

انتبهت "**شهد**"، تركت الأوراق من يدها وهي تنظر نحوها، شد انتباهها نبرتها، تلك النظرة المُقلقة على وجهها! لتتساءل...

- ما هو السيئ تحديدًا؟ هل تعرفين صاحب العقرب يا "**لُولا**"؟

- صاحب العقرب! كلَّا... لا أعتقد، لكن "**كامل**"...

ارتسمت بعينها نظرة سكنها الخوف والألم، تقدَّمت "**ريري**" الَّتي استمعت لبعض الحديث، جلست بصمت على مقربة من كليهما، اعتدلت "**شهد**"...

- أنتِ تعرفين "**كامل**"؟

- ومن لا يعرف "**كامل عمَّار**"؟

- نحن... فمن هو يا "**لُولا**"؟

قالتها "**ريري**"، وهي تهزُّ كتفها، ألقت "**لُولا**" بالصورة من يدها وسط الأوراق، مسحت عن جبينها بضيق، نظرت نحو "**شهد**"...

- أتتذكَّرين حين سألتني عن عملي؟ "**كامل**" هو أحد الدَّبابير الَّتي حدثتك عنها سابقًا.

- لماذا أشعر أن الأمر بات أسوأ؟

قالتها "**ريري**" بخوف سكن صدرها، قطبت "**لُولا**" حاجبيها...

- أسوأ ممَّا تتخيلين، فهو أحد الشياطين، "**كامل**" هو حلقة وصل بين كلِّ ما هو سيئ.

- بمعنى؟

عاودت "**ريري**" بها الحديث، وما زالت "**شهد**" تستمع باهتمام...

- لنقل أنه سمسار.

تبادلت "**ريري**" و"**شهد**" النظرات بعدم فهم، لتستطرد...

- إن أردتِ السلاح أو المخدرات أو النساء فهو الشخص المناسب، كلُّ ما هو قذر يقع

في مجال تخصُّصه، لا شيء لديه مستحيل.

– أنتِ تعلمين عنه الكثير يا "**لُولا**"؟

تساءلت بها "**شهد**"؛ فأجابت بضيق...

– أخبرتك سابقًا عن عملي، "**كامل**" هو من يدير كلَّ شيء.

– هو من يمتلك الفندق؟

تساءلت بها "**ريري**"، هزَّت رأسها نفيًا...

– لا يمتلكه بأمواله بل يمتلكه بنفوذه، كلُّ ما ليس قانونيًا هو يجعله قانونيًا، تجارة العملة هي ملعبه الأساسي، هذا أعطاه علاقات لا حصر لها بالكبار، يُقدِّم لهم التسهيلات والخدمات وكلَّ ما يشتهون، كلُّ ما يعبر بخاطرك أو حتى لا تتخيلينه يُقدِّمه لهم، وهم يقومون بحمايته، يغسل عنهم قاذوراتهم؛ فيغدقون عليه بالنفوذ والسطوة.

– كيف يمكنه فعل هذا؟

كانت تلك "**ريري**" لتبتسم بضيق...

– أنتِ بزمانٍ إن كان لديك أموال أصبح لديكِ نفوذ، وإن امتلكتهما فقد امتلكتِ القانون.

همَّت "**شهد**" واقفة، شردت لحظات، زفرت بيأس...

– يبدو أن كلَّ ما هو قذر دائري في هذه اللعبة، جميعها طرق تؤدي إلى الأخرى، الجميع متصل بشكلٍ أو بآخر "**صادق**" و"**كامل**" وصاحب العقرب و"**العليمي**" و"**أمجد**".. جميعهم بذات الدائرة الموبوءة، وما زال تحت التراب ما هو أقذر.

– ماذا سنفعل الآن؟

كانت تلك "**ريري**" وقد همَّت واقفة، تنقل عينها بين كليهما، تبسَّمت "**شهد**"...

– أعتقد أنه آن الأوان لقطع رأس الأفعى.

تبادلت "**لُولا**" و"**ريري**" النظرات بعدم فهم!

بذات اللَّيلة، بعد أن تخطَّت منتصف اللَّيل تقريبًا، فرغ من سهرته، صعد إلى غرفته بالفندق، الَّتي فضَّل أن يقضي بها ليلته بعد اجتماعه المطول مع بعض رجال الأعمال الأجانب، كان يترنح بعض الشيء، يستند إلى كتف تلك الحسناء الَّتي قابلها بالملهى واصطحبها لغرفته!

وقفا داخل المصعد يتَّكئ إليها، ثوانٍ معدودة وصل دوره المنشود، وهي إلى جواره بفستانها الأسود الطويل الَّذي يكشف عن ظهرها، وشعرها الأشقر الطويل الأهوج، الَّذي يغمر وجهها وكتفيها، خلفه اثنان من رجال حراسته، اللَّذان وقفا أمام باب جناحه الخاص، بينما ينعم بليلته مع الحسناء، كما كلِّ امرأة يُقابلها فمعروف بضعفه أمام النساء، ومَنْ ليس كذلك؟!

بالداخل راح يطوِّقها فتبسَّمت له وتخطَّته بدلال متمنِّع إلى غرفة النوم، تخطَّى الاستقبال بخطى مُسرعة مُتَّبعًا إياها بشهوة طارت بصدره، جلست إلى حافة الفراش، ألقى بسترته إلى حافة السرير، جلس إلى جوارها يتلمس ظهرها بأنامله ثُمَّ انحنى يُقبل كتفها بشغف، أوقفته بابتسامة، دلفت إلى الحمام لحظات، راحت تعبث بحقيبة يدها، ثُمَّ خرجت وهي تُزيد من بسمتها، اقترب منها، دفعته إلى السرير من خلفه، اعتلت الفراش بجواره، راحت تفتح أزرار قميصه واحدًا تلو الآخر، وبيدها الأخرى فتحت حقيبتها! تراجع للخلف حتى اصطدم بمسند السرير الخلفي، أمسكت بيده تتلمسها بدلال وهي ترفعها للأعلى، عينه غارقة بثغرها، جذبت راحته إلى حافة السرير الخارجية، اقتربت منه تُقرب ثغرها من ثغره، لم تقبله بل زادت اشتهاءه لها، شعر بشيء أحاط رسغه بشدة! التفت نحوه! ليجد أصفادًا توثق رسغه لحافة السرير! نظر نحوها بدهشة اعتلته، أمسكت بيده الأخرى وهمست بأذنه...

– أعدك أنها ستكون ليلة بكلِّ ما مضى من عمرك وكلِّ ما هو آتٍ.

زادت بسمة شهوته لها، تركها توثق يده الأخرى! يحلم بكلِّ ما سيلقاه بجنة قُربها، تراجعت للخلف وهي تُلملم أمواج شعرها، أمسكت بالحقيبة، وقد أصبحت تقف أمام السرير، أخرجت منها مُسدَّسا صوبته باتِّجاهه! تبددت بسمة اشتهائه، لتبتسم هي من جانبها، وقد سحبت قيد مُسدَّسها...

– أخبرتك ستكون ليلة لن تنساها ما تبقَّى من عمرك، أعني بالطبع تلك الدقائق الباقية منه.

تصلَّب بمكانه وغادرته الدماء قبل الأنفاس، لم ينبض ولم يرتد له طرف، حتى صوته قد غادره تلك اللحظة، قد فر مع غيره من حواسه المذعورة، غمره الخوف، أوتد قلبه وجسده أكثر من أصفادها، اتَّكأت لساعد الكرسي المُجاور للسرير، تُمعن النظر به، تقابلت العيون كثيرًا، شردت للحظة بشيء ما! حين خرج هو عن رعبه...

– ما الَّذي تفعلينه؟ إنك توقعين نفسك بمشكلة كبيرة يا فتاة، أجننتِ؟ ألا تعلمين من أنا؟

تبسَّمت من جانبها وبنبرة ساخرة...

–أنت هو **"صادق رضوان"** رجل المال والأعمال المعروف، أحد عمالقة السياحة.

– إذًا فأنتِ تعلمين أنكِ ميتة بفعلتكِ تلك! لأن رجالي يقفون خارج هذا الباب، سيقتلونك قبل أن تعي ماذا يحدث لك.

همَّت واقفة، رفعت مُسدَّسها أمام وجهه، وزادت بسمتها...

– دعنا نرى إذًا.

أمال رأسه بتعجب، وقبل أن يرتدَّ طرفه! دوت الرصاصة داخل الغرفة! سكن كلُّ شيءٍ وسكن جفناه اللَّذان أطبقا ذُعرًا، غادر الدم عروقه، لم يعد يشعر بروحه تسكن جسده! لم يعد به نبض ولا أنفاس! حين عاود جفناه الحركة الثقيلة ثانية، عاد يشهق بصعوبة من الخوف الَّذي سكنه، عيناه تركضان بكلِّ ذرة بجسده تُفتِّشان عن الدم، الَّذي لم تجداه! نظر بجانبه ليجد أن الرصاصة قد استقرت بالجدار، تمالك نبضاته الَّتي قفزت إلى ضلوعه ثانيةً، أنفاسه الَّتي ارتدت إلى صدره، عينه قد عُلِّقت بالباب! ركض بعقله شيء واحد فقط! ألم يسمع أحد تلك الطلقة؟! كيف لم يقتحم رجاله الباب حتى الآن؟! تبسَّمت من جانبها بضيق، وهي ترى عينيه مُعلَّقتين بالباب باستماتة، اقتربت منه حتى باتت أمامه مباشرة، وضعت فُوَّهة المُسدَّس بين عينيه...

– دعني أُخبرك يا **"صادق"** بك، هذا الباب لن يُفتح! فأنت نزيل بأفخم أجنحة فندق فيرمونت نايل سيتي، أجنحة خاصة بالرجال المُهمين، صُممت خصيصًا بميزات لهم وحدهم.

عبرت بعينها الجناح من حولهما...

– ليس فقط فخامة التصميمات أو الأثاث، وكلُّ تلك الكماليات اللامحدودة لتحرص

على راحتكم، لكن هناك الميزة الأكبر!

أشارت نحو الجدران بمُسدَّسها، وهمست له بما قتله دون رصاصة...

- تلك الجدران عازلة للصوت! صُممت خصيصًا لتحتفظ بكلِّ ما يحدث داخلها بالداخل.

أغمض عينيه حسرة، عادت وضغطت جبهته بفُوَّهة المُسدَّس، تنظر لجسده الممدَّد فوق السرير...

- أعتقد أن من صمموه يعلمون أن صوت قاذوراتكم أصبح مُزعجًا! لذا إن أفرغت هذا المُسدَّس برأسك فلن يشعر أحد، أو حتى ينتبه! إنها الخصوصية الَّتي يبحث عنها رجال الدولة المهمين أمثالك.

- ما الَّذي تريدينه مني؟ لدي أموال كثيرة، خذي ما تشائين، فقط لا تقتليني.

تبسَّمت من جانبها بضيق...

- أرأيت؟ هنا يكمن الاختلاف، أنتم ترون كلَّ شيءٍ يُباع ويُشترى، فكلُّ شيءٍ له ثمن.

- سمِّي الرقم الَّذي يكفيكِ وسيكون بين يديكِ.

- لا يكفيني سوى حياتك ثمنًا لما سلبتني إياه، أنت قتلت أختي، ولن يكفيني سوى حياتك بالمقابل.

هتفت بها "**شهد**" بكره ملأ عينها، هزَّ رأسه رُعبًا...

- أختك؟ أنا لم أقتل أحدًا! عن أي شيء تتحدثين؟ تلك أوَّل مرَّة أراكِ بها في حياتي.

- ربَّما لو أمعنت النظر قليلًا لتذكَّرتني.

قالتها وهي تنزع الشعر المستعار عن رأسها، صرخ من بين دموعه الَّتي اختلطت بعرقه، فبات الموت يحوِّطه من كلِّ اتِّجاه...

- أقسم أنني لا أعرفك، ولم أقتل أختك تلك.

- وماذا عن "**باهر العليمي**"؟

هتفت بها بوجهه، عادت ضربات قلبه تتباعد، اتَّسعت حدقتاه، جابت الغرفة على

غير هدى، ردَّد اسم "**العليمي**" بدهشة دون صوت، جذبت انتباهه بمُسدَّسها بين عينيه...

– أنت قتلته واتهموني أنا بقتله، حاكموني بالإعدام، ثُمَّ بعثت برجُلك لقتل أختي، وأنا سأقتلك الآن، وحين يعدمونني أكون قاتلة تستحق الإعدام.

رفع طرف عينه نحوها، يتلعثم بدهشة كست ملامحه ويهزُّ رأسه...

– كلَّا... كلَّا... هذا لم يحدث، أنتِ مخطئة.

زادت بضغط فُوَّهة المُسدَّس، حتى كادت تخترق جبهته دون طلقة، انهمرت دموعه وحروفه بصرخة يائسة...

– أقسم لك لا دخل لي بقتله، لم يخبرني أنه سيقتله، لم يكن أنا، إنه "**كامل**" من فعلها.

ظلَّت تمعن النظر به، يركض بعقلها الكثير، فهتفت به...

– أنت قتلته لأنه سرق عقودك المزوَّرة، الَّتي تكشف لُعبة أراضي القرى السياحية الَّتي سرقتها من الدولة، تلك الَّتي صارت ملكك بين ليلة وضُحاها دون ثمن، كما لفَّقت قضية السرقة لـ "**ريهام حامد**" لأنها اكتشفت لعبتكم القذرة.

راح يشهق أنفاسه ودموعه، بتلعثم...

– تلك الفتاة نعم أنا... أنا من لفَّق لها التهمة فقد كانت تُفتِّش خلف العقود، كما قلتِ لفَّقت لها تهمة سرقة وسجنتها! وهي مجرَّد فتاة لن يهتم لها أحد ومع ذلك لم أقتلها! لكن "**العليمي**" لم يكن ليمر قتله بهدوء، أقسم أنني لم أقتله، لم أكن لأقتله، أنت لا تفهمين شيئًا... ليس أنا من سُرق، ولا أنا من قتله.

همَّت واقفة وقد بدأت تشعر بالغرق، لا تفهم شيئًا! التفتت نحوه وبنظرة ضيق وغضب ملأ صدرها قبل عقلها....

– لمَ لا تبدأ بإخباري القصَّة كاملة الآن؟ لأنه لا شيء سيمنعني من قتلك، أنا بكلِّ الأحوالَ ميتة، ولن أموت وحدي.

راح يتمالك أنفاسه، عاودت الجلوس إلى حافة الكرسي، تلعثم بحروفه...

- هناك شخص آخر هو من اكتشف تلك اللعبة بالبداية.

- **"كامل"**؟!

أمال رأسه تأكيدًا، راح يسترسل...

- هو من حصل على الأوراق أوَّلًا، أصبح شريكًا لي عنوة، دون أوراق رسمية بالطبع، حتى هنا كان كلُّ شيءٍ يسير بشكلٍ جيد، جاءت صفقة جديدة، تلك الأرض الَّتي من المفترض أن تُخصص لي.

- لكنه مزاد علني، وليس تخصيصًا لأحد بعينه؟

هتف بسخرية...

- لا تهتمِّي للشكليات... **"كامل"** أصبح شريكي في كلِّ شيءٍ برغبتي أو دونها، كان يمتلك الكثير من الأسرار لي ولغيري، هذا كان يُسهِّل كلَّ شيء، هو يمتلك مفاتيحًا لكافة الأبواب المغلقة، لا شيء يقف أمامه.

- أين يقع **"العليمي"** في تلك الدائرة الموبوءة؟

- هو أيضًا كان يريد ذات الأرض، كان لديه من سيوصله إليها، فكلٌّ منَّا لديه مفاتيحه، لكن علاقات **"كامل"** كانت أقوى.

- لذلك سرق الأوراق؟

هز رأسه نفيًا...

- أنا لا أعلم ما الَّذي حدث، لكن بعد قتله ذهبت لـ**"كامل"**، حين سألته قال لا شأن لي بالأمر، وأن **"العليمي"** تخطَّى كلَّ الحدود والخطوط الحمراء، لكنني أشكُّ بأمر السرقة.

صمت لحظة، راح يسترسل وكأنه يُحادث نفسه...

- لم يكن أحد يعلم بما جمعني بـ**"كامل"**! فكلُّها كانت تتمُّ في الخفاء وبعيدًا عن الأنظار، كلُّ لقاءاتنا في العلن بشكلٍ اجتماعي لا أكثر، أعتقد أن شيئًا آخر حدث... فلست متأكِّدًا.

شردت بما يقوله، استردها بصوت مهزوز...

– أقسم لك لا دخل لي بمقتله، هم من قتلوه وليس لي شأن بالأمر، حتى إنه لم يكن يعلم بوجود الأوراق منذ البداية، وقعت بيده مُصادفة.

انتفضت واقفة باهتمام....

– أعد تلك الجملة الأخيرة!

– ماذا؟ هذه هي الحقيقة، لم يكن يعلم بوجود الأوراق، هو من أخبرني أنه وجدها صُدفة!

– ما الَّذي تقوله؟

لملم "**صادق**" أنفاسه وحروفه...

– لقد تقابلنا قبل مقتله بيومين بإحدى الحفلات، طلب إلي التراجع عن المزاد وبالطبع رفضت، هددني بأنه وقع بيده مصادفة أوراق تخصني وتبسَّم ساخرًا – «أقسم لك يا صديقي أنها جاءت مصادفة، فلقد كنت أبحث عمَّا هو أهم! لكن ماذا أقول فحظي نجمي، جاءني ما أريده وأوراقك فوقها هدية، ودون أن أدفع بها دولارًا واحدًا».

صمت للحظة، شعرت بأنها تعاود السقوط بالفراغ، فعاود استعادتها...

– أقسم لك هذا ما دار بيننا في تلك اللَّيلة، وحين غادرت اتَّصلت بـ"**كامل**"، كنت غاضبًا، فلم أكن أعلم أن الأوراق قد سُرقت إلا حينها؛ فهو لم يخبرني شيئًا.

«ما هو أهم؟» راحت تُردِّدها بهمس لنفسها وهي تخبط المُسدَّس بكفها، ثُمَّ نظرت نحوه...

– ليس من مصلحتك أن تخبر "**كامل**" عن تلك الزيارة.

رفع عينه نحوها، استرسلت بنظرة ضيق، فقد أتت وهي تنوي قتله...

– هذا لمصلحتك، لأن كلَّ ما قلته أنت قد سجَّلتُه للتو.

قالتها وهي ترفع هاتفها نحوه، أوقفته ثُمَّ عادت وشغلته، ليبثَّ حوارهما، أوقفته...

– إن أخبرته هذا سيكون سيئًا لك، لأنهم بالصباح سيجدون جثتك، ويتهمونني بقتلك كما حدث مع المحامي، فكلُّ من أزوره يقتله "**كامل**" بك، احتفظ بها سرًا بيننا.

أحنى رأسه بضيق واستسلام، وقفت أمام المرآة، عدَّلت من هندامها، أعادت شعرها

المستعار، أعادت مُسدَّسها والهاتف إلى حقيبة يدها، انحنت فوقه، أمسكت بقطعة قماش صغيرة، دسَّتها في فمه عنوة...

– أحسن التصرف حتى مغادرتي، فما زال لديك أمل بالحياة، وأتمنى ألا تكون كاذبًا؛ لأنه إن حدث سأجدك، لكن بالمرَّة القادمة الَّتي سترى بها وجهي... سأرديك قتيلًا دون أن نخوض في مثل هذا النقاش المُثمر!

وضعت مفاتيح الأصفاد فوق الطاولة وسط هتافه المكتوم ونظرات كُره احتقن بها وجهه غضبًا، أغلقت باب غرفة النوم، تركته غارقًا بصراخه، تخطت الاستقبال نحو الباب بخطوات هادئة، أمسكت بمقبض الباب، تنفست بعمق، أدارت المقبض، خطت للخارج وهي تصطنع ابتسامة على وجهها للحارسين، أغلقت الباب وأغلقت معه كلَّ أملٍ له بأن يعي أحد ما حدث! توجَّهت بخطى ثابتة حتى المصعد، وقفت داخله، وما زالت تبتسم لكليهما، أُغلق باب المصعد فتهاوت أنفاسها واستندت إلى جداره بيدها، تُلاحق نبضاتها الخائرة، وصل المصعد إلى الدور الأرضي، وقفت لحظة تسترد رباطة جأشها، عادت وتقدَّمت بخطوات واثقة داخل الرَّدهة، وصلت إلى الباب الخارجي للفندق، عبرت الطريق، فتحت باب السيارة وجلست تلتقط أنفاسها، التفتت لتجد عيني **"جلال"** مُعلَّقة بها، تساءلت عن تلك النظرة بوجهه...

– ما بك؟

– لاشيء... هل أنتِ بخير؟

– أعتقد ذلك.

أجابت بها وهي تعاود التمعن بوجهه، وتلك النظرة تعتليه! ودون سابق إنذار...

– هذه هي المرَّة الأولى الَّتي أراك ترتدين بها شيئًا غير البنطال الجينز، وكنزتك وتلك السترة الَّتي لا تفارق قبعتها رأسك ووجهك.

فتهاوت نظراتها هربًا منه، فاسترسل بتلعثم...

– أنتِ حقًا جميلة بكلِّ شيء ترتدينه، لكن اللَّيلة والآن، أنتِ بتِ نجمًا بهالة كونية تدور بفلكه الشمس والقمر، وكلُّ ما تتسع له السماء من نجوم صارت تركض تحت أقدامك.

تململت بجلستها، تُحاول تخطِّي نظراته قبل صوته، الَّذي راح يقتحم أغوارها

المظلمة، يشق سهمًا من نور داخل عتمتها الَّتي باتت مُهلكة، تلعثمت...

- ألن تجري الاتصال؟ فربَّما يموت اختناقًا، هذا إن لم يكن قد مات رعبًا.

تبسَّم من جانبه ليس لمداعبتها، لكن لمحاولة هروبها الَّتي تخطَّاها، أخرج هاتفًا صغيرًا من جيبه واتَّصل بالفندق! أبلغهم أن "**صادق رضوان**" مقتول بغرفته! أدار مفتاح السيارة وغادرا، راحت تقصُّ عليه كلَّ ما كان من لقائها به!

- هذا التسجيل وحده يثبت براءة "**شهد**" من كلِّ شيء.

صرخت بها "**نادين**" بفرحة غمرتها، هتفت "**شهد**" وهي تنظر نحو "**ريري**"...

- ليس أنا فقط بل و"**ريري**" أيضًا، لقد أقرَّ بأنه من لفَّق لها تهمة السرقة؛ لأنها فتَّشت حول سرقة الأراضي.

- لكن...

تنهد بها "**جلال**" الَّذي كان يجلس بضيق يملؤه، تساءلت "**نادين**" باهتمام...

- لكن ماذا؟!

- تلك الاعترافات جميعها أُخذت تحت التهديد، سيُشكِّك المحامين بمصداقيتها، سيقولون أن "**صادق**" اعترف لكِ تحت تهديد السلاح، ومن قبله "**رشدي**".

- ما الَّذي تقوله يا "**جلال**"؟

هتفت بها "**ريري**" بضيق، استرسل وقد همَّ واقفًا...

- أنا أضع أمامكنَّ الصورة كاملة، أتعتقدن أن "**صادق**" و"**كامل**" سيتركانكنَّ تسحبنهما إلى قاعات المحاكم في جرائم قتل وتزوير وتلاعب، استغلال نفوذ وسرقة لأراضي الدولة؟! هذا أقل ما سيردون به، إنها اعترافات تحت التهديد ولن تقبل بها المحكمة، من الصعب أن يُقِرَّها القاضي، سيقولون أنهما قالا أي شيء تريدينه لأجل حياتهما فقط.

- هذا لم يحدث.

صرخت بها "**شهد**"؛ فهتف بضيق...

- المحكمة لا تعرف هذا، لا تعرف سوى القانون.

وقفت قبالته بعيون تحترق غضبًا، فحاول تخطِّي نظراتها...

- لا أريدكِ أن تأملي بشيء كبير، شيء ربَّما لن يحدث.

هبَّت نحو الباب غاضبة، حاولت "**ريري**" إيقافها فلم تستطع، خرجت وصفعت الباب خلفها، وقف ينظر لـ"**نادين**" و"**ريري**" بضيق، حين قالت "**ريري**"...

- هذا يعني أن كافة الطرق مُغلقة؟

- لم أقل هذا... فقد أردتها أن تعلم إلى أين قد يأخذها هذا الطريق.

- لا بأس، هي فقط غاضبة، حين تعود كلُّ شيء سيكون بخير.

- وإلى أين تكون قد ذهبت الآن؟

هتفت بها "**نادين**" بضيق، ليرتدَّ إليها صدى سؤالها دون إجابة، ومن يعلم أين تذهب ولأي شيء تخطط؟!

التاسع

غدر وخيانة

في تلك الساعة الحالكة الظُلمة الَّتي تسبق بزوغ الفجر، استيقظ من نومه على صوت طرقات متواصلة على بابه، اتَّجه نحو الباب بصدر اعتلاه القلق والخوف، نظر من عين بابه السحرية، اصطدمت عينه بالطارق! توقَّف لحظات وهو يُحادث نفسه بصوت مندهش – "**شهد**"! هتف بها "**صلاح**" وهو يحاول التأكُّد أنه استيقظ من نومه، عاودت الطرق، ليفتح الباب بابتسامة ما زالت مدهوشة، تبسَّمت له من جانبها...

– هل أيقظتك؟

– لا يهم.

راح يحاول استيعاب وجودها أمامه، انتبه فتنحَّى جانبًا، وما زال مدهوشًا من مفاجأة قدومها بتلك الساعة المتأخرة من اللَّيل، لم تكن على سجيتها كما يعرفها، سواء الآن أو في المقابلة السَّابقة! غابت تلك النظرة الَّتي كانت تملأ مُحيَّاها! جلست إلى الأريكة، جلس قربها، حاولت الابتسام، إلا أنها لم تستطع، أمسك يدها...

– ما بكِ يا حبيبتي؟ ماذا حدث؟

أرادت أن تصرخ بكلِّ ما بداخلها، لكن صوت "**لُولا**" ما زال يهمس بأذنها بأن لا تثق بأحد، خاصةً بعد تضارب كلامه مع "**نادين**" حول القلادة، وهو السبب الرئيسي للزيارة! تمالكت حروفها وهي تردد له باضطراب...

– كُلَّما وجدت مخرجًا يكون مُغلقًا، فلا أمل لي بالخروج من تلك الدوامة مطلقًا، سأظلُّ مُطارَدة إلى بقية عمري.

أطبق على راحتها وهو يُقربها إليه، يحاول تهدئة خوفها، فأردفت...

– هناك من يحاول قتلي.

ارتسمت على وجهه علامات الدَّهشة....

- ماذا؟ من؟

- قتل **"هنا"** ويحاول قتلي، لقد قُتلت بسببي، أنا من قتلها.

راحت تجهش في البكاء رُغمًا عنها، ومن بين دموعها راحت تقصُّ عليه بعضًا ممَّا حدث بالمقابر...

- لقد حاول أحدهم قتلي بالمقابر، وأوقن أنه من قتل **"هنا"**، أنا من قتلها.

زادت علامات الدَّهشة على وجهه، اقترب منها وضمَّها إليه...

- أنتِ لم تقتليها يا **"شهد"**، ما كان بيدكِ شيء لفعله، وربَّما أنتِ مخطئة وفقط ماتت، لقد كانت **"هنا"** مريضة بشدة، اهدئي يا حبيبتي أنتِ هنا إلى جواري، أنتِ ستظلين هنا بأمان معي، كلُّ شيء سيكون بخير.

سكنت للحظة ودمعها يزداد اختراقه لحصن عينيها الَّذي تتشبَّث به بكلِّ قوتها، وبضيقٍ وصوتٍ باكٍ...

- لكنني لست بخير، كان يجب أن أقتله، هو من دمَّر حياتي، سأذهب للشرطة وأخبرهم كلَّ شيء عنه.

زاد بضمِّها، وهو يربت على كتفها...

- اهدئي يا حبيبتي فلم يكن بيدك شيء، ولا يمكنك الوصول إليه، الشرطة لن تصدقك دون دليل، أنتِ لم تري وجهه الملثَّم بالظلام فماذا ستخبرينهم! موتها لم يكن ذنبك، أَنتِ لم تقتليها.

صمت فلم تُحرِّك ساكنًا، توقَّفت دموعها عن الهطول، باتت دون نفسٍ أو نبض، ظلَّت هادئة حد الموت! حتى خال له أنها غطَّت بنوم عميق! أبعد وجهها عن كتفه، ليجدها مستيقظة ودموعها بمآقيها، اعتدلت بجلستها، مسحت الدموع عن جبينها، اغتصبت بسمة على وجهها وهي تقبض على القلادة بصدرها...

- أنت مُحق... لن يُصدقني أحد.

هبَّت واقفة تتساءل عن اتِّجاه الحمام، أشار لها بمكانه، طلبت إليه فنجانًا من

القهوة؛ فالصداع يؤرِّقها، ابتسم واتَّجه نحو المطبخ يُعدُّه، ذهبت إلى الحمام، فتحت الصنبور، راحت تدفع الماء البارد على وجهها، خرجت بعد أن جفَّفته، بالاستقبال وقفت أمام مكتبة صغيرة وُضع بها التلفاز، وبعض أرفف الكتب والتحف، تتوسطها مرآة صغيرة شردت لحظة أمامها في تلك الواقفة على الجهة الأخرى! أعد كوبين من القهوة، خرج ليجدها تقف أمام النافذة، تُمعن النظر بتلك النجوم المتناثرة، تبسَّم وهو يضع القهوة من يده...

- خشيت أن تكوني غادرتِ، كما المرَّة السَّابقة.

التفتت نحوه على مهل، فغر عينه وفمه للحظة! راح يتلعثم بابتسامة مضطربة...

- ما الَّذي تفعلينه يا حبيبتي؟ ما هذا الَّذي بيدك؟

زاد إطباقها على المُسدَّس بيدها، تُوجِّهه نحوه وتعتليها نظرة فارغة المعاني، زادت من توجُّسه، بدأ يتحرَّك خطوات على مهل، وهي تبادله ذات الخطوات...

- ما الَّذي تفعلينه يا "**شهد**"؟ اخفضي هذا المُسدَّس يا حبيبتي.

- لماذا؟

- لأنه ربَّما يؤذي أحدنا.

حرَّك يده بسخرية غاضبة، فصرخت به بحنق...

- لماذا؟

أمال رأسه بعدم فهم، فعاودت الصراخ...

- لماذا خنتني يا "**صلاح**"؟

- كلَّا... لم أفعل...

- إذًا كيف عرفت؟!

قاطعته بها بحدة قطعت سيل تلعثمه، فهتف باستنكار...

- عرفت ماذا؟!

- أنه كان مُلثَّمًا، وأنني لم أرَ وجهه بالظلام!

- "**شهد**"... حبيبتي أنتِ أخبرتني منذ دقائق.

تلعثم بها وقد بدأ يطفو عرقه بجبينه، لتزداد حدَّتها، ويزداد المُسدَّس ثباتًا بيدها، وهي تصرخ بوجهه...

- أنا لم أخبر أحدًا أنه كان ملثَّمًا... أي أحد.

- تذكَّري يا حبيبتي لقد أخبرتني منذ دقائق.

- كلَّا لم يحدث، حتى إنني لم أخبرك أننا كنَّا ليلًا! فقط أخبرتك أنه هاجمني بالمقابر، وحاول قتلي وهربت، من أين لك بالبقية؟ ومن أين لك بقلادتي؟ ولا تكذب فأنا لم أُعطِها لك، لقد كنت أرتديها وقت الحادث.

ظلَّت يداه مُعلَّقتين بالهواء وجفناه لا يستقران على حال، عرقه يزداد، حين أشار لها نحو المكتبة الَّتي بات يقف بجوارها، وبابتسامة بلهاء...

- دعيني أُريك شيئًا سيجعلك تُصدقينني.

من بين الكتب التقط مُسدَّسه بسرعة، وجَّهه نحوها، سحب قيده، أغمضت عينها بخيبة أمل هوت عليها، راح يهتف بكره...

- أنتِ السبب في كلِّ هذا، أحقًا تتساءلين لماذا؟ كنتِ ستتركينني يا "**شهد**"، كنت ستتخلين عني.

صرخ بها وما زالت خطواتهما تلتف في دائرة مُترامية الأطراف، يدور كلٌّ منهما بطرفها بعيدًا قدر الإمكان عن سماع أنفاس الآخر ونبضه!

- أتعتقدين أنني لم أكن أعلم ما تخططين له بالسفر خارجًا؟! لقد استمعت لحديثك و"**نادين**" بالملهى حين أحضرت جوازات سفركنَّ المزيفة.

- لذا قررت قتلي!

أمالت رأسها بتعجب حانق، هتف مستنكرًا...

- كلَّا... كنت سأخبر "**أمجد**" فقط، كنت أعرف أنه لن يتركك ترحلين، كنت لحظتها حانقًا وغاضبًا؛ لذا تبعتك تلك اللَّيلة إلى هناك، التقيت "**أمجد**" ورجلًا آخر! ذهب "**أمجد**" وتركك والآخر، فتبعتكِ حتى وصلتما إلى فيلا في مكان نائي، انتظرت

بالسيارة حتى تخرجان، انتظرت بعض الوقت لكنني لم أحتمل أكثر، تسلَّقت السور الخارجي، تبعتكما إلى الداخل، حينها سمعت صوت مُحرِّك سيارة يدور! اعتقدت أنكما تغادران، فكنت سأغادر حين استوقفني الضوء! كانت الأضواء جميعها ما زالت مُضاءة على عكس الحال حين دخلتما، حينها تلصَّصت من خلف الزجاج، وجدت كليكما ساقطًا أرضًا، وكنتما غارقين في الدماء، هرولت مُسرعًا أتحسس نبضك، اعتقدتك فارقتِ الحياة، لحظتها دون شعور لمست مضربًا رياضيًا مُلقى بجوارك، وكان مُضرَّجًا بالدماء، طُبعت بصماتي فوقه فلم أفكر، كلُّ ما فعلته أنني أخذته لأنه يحوي بصماتي، ونزعت القلادة عنك فبها كلُّ الشيفرات وهربت، وحين كنت على الطريق سمعت صوت سيارات الشرطة؛ فغيرت اتِّجاهي وألقيت بالمضرب في النيل، وعدت إلى منزلي، انتظرت حتى قرأت الجريمة في الصحف، وصُعقت أنكِ ما زلتِ على قيد الحياة! فلحظتها أقسم أنكِ كنتِ ميتة.

- كيف عرفت أنه ملثَّم؟

صرخت بها، صمت ولم يُجب حين عاودت الصُراخ بها بغضب، هتف **"صلاح"**...

- أتاني **"سعد"** بعد هروبك، قال أنه حصل على معلومة تقول أنكِ ستلجئين إلي، وعرض عليَّ نصف مليون جنيه مقابل أن يعلم مكانك، فرفضت.

صمت لحظة، احتقن الغضب بوجهه...

- لكن حين عُدتِ وآثرتِ **"نادين"** عليّ، وعلمت أن هناك من يعاونك، تأكَّدت بأنك تدَّعين فقدان الذاكرة، وأنكِ ستتركينني ثانية كما خططت منذ البداية، فلِمَ لا أربح النقود فبكلِّ الأحوال ستتركينني! لذا اتَّصلت بـ**"سعد"** وأخبرته عن **"نادين"**، وظلَّ يتبعها حتى ظهرتِ في تلك اللَّيلة، لكنني لم أعتقد أنه سيحاول قتلك، فقد كان اتفاقنا ألَّا يمسَّك بأذى، فقط لديك شيء يخصه، سيأخذه وينتهي الأمر، وحينها لن يكون لديكِ غيري فتعودين إليّ.

هزت رأسها ضيقًا، اعتلتها نظرة ضيق، وما زال مُسدَّس كليهما بوجه الآخر...

- لقد قتلوا أختي... لقد قتلت أختي يا **"صلاح"**.

- لا شأن لي بهذا... لا دخل لي بقتل **"هنا"**.

- أنت من أخبر **"أمجد"** بوجودها، أنت من جعله يستخدمها ضدي، لم يكن يعرف

بسرها غيرك و"**نادين**"، أنت من غدر بي منذ البداية.

- "**أمجد**" يمتلك أوراقًا ضدي، كان سيضعني بالسجن، كان يريدك أنتِ.

صمت لحظة وهي تُمعن النظر به وهو يبتسم من جانبه بحنق...

- الكلُّ يريد "**الآس**"... لكن أتعلمين ما هو المُضحك حقًا؟ أنكِ وبرغم كلِّ شيء ما زلتِ تميمة حظي الَّتي لا تخذلني، فمعكِ دوما أربح، بات الجميع يدفع لي لقتلك! ليس "**سعد**" فقط من دفع لي.

أمالت رأسها بتعجب، لتزداد ابتسامته الساخرة...

- "**أمجد**" أيضًا دفع لي الأموال لأقتلك و"**نادين**"، بماذا ورطتِ نفسك ليُريدك الجميع ميتة؟!

احتقن الغضب بتقاسيمها كُرهًا له، اشتدَّ ساعده على المُسدَّس بيده، توقَّفت خُطى كليهما بدائرتهما المُفرغة، الَّتي لم تتوقَّف عن الدوران بعقولهما كما توقَّفت بأقدامهما، هتف بنظرة وعتها "**شهد**" جيدًا...

- آسف حبيبتي... لم يجب أن يصل الأمر إلى هذا الحد، ما كان يجب أن تُخطِّطِي لتركي منذ البداية.

ضغط الزناد!

- لقد تأخرت "**شهد**" كثيرًا!

تساءلت بها "**لُولا**" وهي تنظر بساعتها فقد اقترب بزوغ الفجر، أجابتها "**نادين**"...

- أعتقد أنها ذهبت لـ"**صلاح**"؛ فهي تحتاج شخصًا يحنو عليها بهذا الوقت.

- ربَّما، وقد أخبرتني سابقًا بأنها تريد أن تسأله عن القلادة.

كانت تلك "**ريري**"، فتساءلت "**نادين**" باهتمام...

- أي قلادة؟

- قلادتها الَّتي أعطاها إياها حين كانت تزوره المرَّة السَّابقة.

- أعطاها إياها!

تساءلت بها بتعجب؛ فأجابت "**ريري**" بعفوية...

- نعم، تلك الَّتي قلبها على شكل "**الآس**"، هو من أعطاها إياها، قال أنها كانت بحاجة لإصلاح، ويبدو أن هناك شيئًا يخصها، وتريد سؤاله عنها.

- أي قلادة الَّتي كانت بحوزته؟ عن أي شيء تتحدثين؟

صرخت بها بدهشة غاضبة غمرتها، وسط دهشة "**ريري**" و"**لُولا**" من رد فعلها الغريب، ثُمَّ هبَّت مُغادرة!

عاود "**صلاح**" ضغط الزناد للمرَّة الثانية والثالثة بسرعة وضيق! وما زال مُسدَّسه موجَّهًا لرأس "**شهد**"، الَّتي لم تزل تقف على قدمها أمامه! والحنق والضيق يملآن صدرها، ضغط الرابعة والخامسة، دون جدوى أيضًا! فغر عينه وقد امتلأ دهشة وغضبًا! رفع طرف عينه نحوها، لترفع راحتها اليمنى وهي قابضة عليها بجوار وجهها! أفلتت قبضتها لتنفرط أعيرة الرصاص من بين أصابعها...

- أعتقد أنني تذكَّرت أين تضع سلاحك!

- شهـ..

وقبل أن يُنهيها دوى صوت الرصاصة بالمكان! فغر عينه الَّتي عُلِّقت بعينها للحظة، وعادت تنظر للدماء الَّتي انفجرت من صدره دُفعة واحدة، وهو يُقرب أنامله لتحسُّسها، وقدماه تهويان به ليجثو على ركبتيه، تملَّك الصمت لسانه، اقتربت منه بخطوات هادئة واكبت سقوطه على ظهره، أمعنت النظر بعينه، الَّتي ما زالت تُجاهد لأجل الحياة، وشفتاه تحاولان التلعثم بشيء، ومُسدَّسه يهتز بين أنامله المُرتعشة، نظرت نحو الدم الَّذي راح يُغطِّي الأرض من حوله، انفرطت دمعة على جبينها...

- لم أكن لأتركك رغم أنني كنت أعلم أنك لم تحبني، فإنني كنت أحبك، رغم أنك كنت تحب مصلحتك معي، أنت مُحق ما كان يجب أن تكون هذه النهاية.

غادرت، وتركت الباب خلفها مفتوحًا، وتركته معه يشهق أنفاس الخوف والألم والموت!



في اليوم التالي، بعد أن تخطَّت الحادية عشرة ظُهرًا، كانت "**نادين**" تهوي طرقًا على الباب بكلتا يديها، همَّت "**ريري**" بفتح الباب مُسرعة، لتندفع "**نادين**" نحو "**شهد**" الَّتي كانت تجلس على الأريكة بسكون جارف كما صراخها الداخلي! راحت تهتف بفزع...

- "**صلاح**" بالمشفى، لقد أطلق أحدهم عليه الرصاص بالأمس.

شهقت "**ريري**" بخوف، انتفضت "**لُولا**" بموقفها، أمَّا "**شهد**" فلم تُحرِّك جفنًا، ظلَّت على جلستها وسكونها؛ فتساءلت "**ريري**"...

- متى حدث هذا؟

- لا أعلم... لقد وجده جار له على هذا الحال، قالوا أن باب الشَّقَّة كان مفتوحًا، نقله إلى المشفى وحالته سيئة.

راحت تذرف الدمع وهي تحكي، جلست إلى جانب "**شهد**"، الَّتي ما زالت راسخة بموضعها، رفعت "**نادين**" طرف عينها الدامعة نحوها...

- "**شهد**"، ألم تسمعي ما قلته؟ إنه "**صلاح**"... "**صلاح**".

- أعرف.

هذا كلُّ ما قالته ممَّا أثار دهشة الآخرين، ليس فقط عدم الاهتمام، لكن نبرتها كان لها وقع مختلف، لتتساءل "**لُولا**" باهتمام وقلق ملأ صوتها...

- تعرفين ماذا تحديدًا؟

رفعت طرف عينها نحو "**لُولا**" و"**ريري**" ولم تُجب، ظلَّ صمتها الصارخ مُطبقًا عليها، تساءلت "**نادين**" وكأنها تذكَّرت شيئًا...

- ألم تذهبي له أمس؟

- نعم ذهبت.

فشهقت "**ريري**"...

- كنتِ هناك حين حاولوا قتله؟ حمدًا لله أنكِ غادرتِ أوَّلًا، أم أنكِ وصلتِ بعدها؟

همَّت واقفة، وبهدوء ما زال يسكن خارجها...

- أنا من أطلق النار عليه.

لم يتحرَّك جفنٌ من موضعه، لم يُغادر نفسٌ صدرًا، تحجَّرت العيون والنبضات للحظات، فما قالته صعق الجميع، تبادلت **"ريري"** و**"لُولا"** النظرات المشدوهة، تجاوزت **"نادين"** صدمتها، وهي تحاول الوقوف...

- أنتِ... أنتِ فعلتِ ماذا؟

التفتت لها، وقد أصبحتا مُتقابلتين...

- أنا من فعلها.

- أنتِ تمزحين، أنتِ لم تفعلي هذا.

هتفت بها بصوت حاد لا يُصدِّق ما سمعته أُذناها، تقدَّمت **"شهد"** خطوة والغضب يسكن كلَّ ما بها ويركض بصوتها...

- بلى فعلت، وإن عاد بي الزمن مرَّة أخرى سأفعلها ثانيةً وثالثةً لكنني كنت سأفعلها مُبكِّرًا، هو من أخبر **"أمجد"** أن **"هنا"** أختي ليستغلها ضدي، هو من أخبرهم أنكِ طريق الوصول إلي، من أرسل **"سعد"** صاحب العقرب خلفي تلك اللَّيلة إلى المقابر، هو من قتل أختي، هو من قبض من **"أمجد"** لقتل كلتينا.

- كلَّا هذا لم يحدث، هو يحبك، من أخبرك كاذب يا **"شهد"**، يفعل هذا ليفرقنا، ما كان ليفعل أيًا من هذا، مستحيل.

- أنتِ مُحقة بأنه كاذب، لأنه من أخبرني بنفسه.

- ماذا؟!

تعجبت بها **"نادين"** وقد بدأت خطواتها تتراجع، عقلها يخبو من فرط الدَّهشة المتلاحقة، زادت **"شهد"** خطواتها نحوها، وقد ثار السكون السَّابق بركانًا مُشتعلًا...

- هل تعرفين ماذا أخبرني أيضًا؟ لقد كان هناك بفيلا **"العليمي"** تلك اللَّيلة، وجدني غارقة بالدماء، لكنه تركني وولَّى هاربًا، لكن أوَّلًا أخذ القلادة فهي الأهم! فبها كلُّ ما كان يريده، من يحبني تركني هناك وحدي للموت، من يحبني وجَّه مُسدَّسه لرأسي ليلة البارحة، وأطلق خمس مرَّات مُتتالية هنا.

صرخت بها وهي تضغط إصبعها بجبهة **"نادين"**، جذبتها **"لُولا"** من الخلف بعيدًا عن **"نادين"**، الَّتي هوت إلى أوَّل مقعد خلفها، لم تعد تحتمل الوقوف، لا تصدق أن الخيانة قد تأتينا من أشخاص سكنوا قلوبنا وتقاسموا أنفاسنا، صرخت بضيقٍ ملأ كلَّ ذرةٍ بها...

– أنتِ فقدتِ عقلك يا **"شهد"**، لقد فقدتِ عقلك، كلُّ هذا جنون.

صرخت بها، وولَّت راكضة خارجًا، كلُّ ما بها يُكذِّب ما سمعته أُذنها، أمَّا **"شهد"** فعاودت جلوسها وسكونها، وعقلها يُساورها بألف شيء وشيء!

بصباح اليوم الرابع تحسَّنت حالة **"صلاح"**، فتح عينيه ليجده يجلس أمامه، يبتسم له، هبَّ واقفًا من فوق كرسيه، وضع كلتا يديه بجيبه...

– أخيرًا استيقظت... كيف الحال يا **"صلاح"**؟ بالمناسبة أنا **"شريف الزَّهَّار"**.. ضابط مباحث، والمسؤول عن التحقيق بمحاولة قتلك، لقد أتعبتني كثيرًا حتى أجدك.

أمال رأسه بتعجب، تبسَّم **"شريف"** وهو يقترب منه، ويمسح عن أنفه...

– ومن الحب ما قتل... أليس كذلك يا **"صلاح"**؟

نظر نحوه، وهو يتلعثم مصطنعًا عدم الفهم...

– لا أفهم ما الَّذي تقصده سيادتك؟

مال نحوه **"شريف"** وهو يتلاعب بين أنامله بفارغ رصاصة! تبسَّم من جانبه، وهو يتشمَّم الفارغ...

– لرصاص الحكومة رائحة خاصة، تلك الطلقة الَّتي استقرت بصدرك بالقرب من قلبك، هي من مُسدَّس يخصنا.

زاد بالاقتراب منه وهو يهمس بأذنه...

– ذات المُسدَّس الَّذي سرقته حبيبتك من العسكري بسيارة الحراسة يوم هربت.

تلعثمت الحروف بحلقه، هربت نظراته على غير هدى، سحب **"شريف"** الكرسي، وضعه بجوار السرير مباشرة، جلس عليه، وضع ساقًا فوق الأخرى، عدَّل من سترته،

وبابتسامة باردة وما زال الفارغ بين أنامله...

– يبدو أنك أغضبتها بقوة، ألم يُخبرك أحد ألا تُغضب امرأة؟ فغضب النساء لعنة إن أصابتك أفقدتك إمَّا صوابك أو حياتك، خاصة إن كانت تحمل مُسدَّسا بيدها.

ظلَّ على صمته لحظات، حين كشَّر "**شريف**" عن غضبه بصوت هادئ...

– لمَ لا تبدأ بإخباري القصَّة كاملةً ومن بدايتها؟! ولا تنسَ الجزء الَّذي أغضبها، لتطلق النَار على قلبك.

أمعن كلاهما النظر بالآخر، وقبل أن يتفوَّه بشيء، رفع "**شريف**" سبابته كمن تذكَّر شيئًا، وبابتسامته الباردة وحنقٍ ملأه...

– فقط لا تحاول الكذب بشيء، فحقيقةً أعلم الكثير، وأستطيع فعل الأكثر فلا تنسَ أنك تستَّرت على مُجرمة هاربة من حكم بالإعدام، غير أنني أعلم من أين لك بخمسمائة ألف جنيه بخزانة ملابسك! لذا لِمَ لا نبدأ بكلِّ ما يجمعك بـ"**سعد الشاطر**" و"**أمجد**"؟

غرق بخوف احتل صدره، حين قطب "**شريف**" حاجبيه، وعقد ساعديه، ابتلع "**صلاح**" خوفه وراحت أنفاسه تُلاحق حروفه، أخبره عن "**سعد**" لكنه اختزل الجزء الخاص باتِّفاق القتل بينه وبين "**أمجد**"؛ فهو يخشى ما لديه من أوراق ضده، فربَّما تلك جرائم تنتهي ببضع سنوات بالسجن أمَّا ما لدى "**أمجد**" سيضعه دون جدال فوق منصة الإعدام، ظلَّ "**شريف**" يستمع باهتمام!

***

بالمساء كانت تجلس خلف مقود سيارتها، تُمسك به بشدة، تنهمر دموعها كما الشلال، عقلها يركض بألف اتِّجاه، تنظر نحو المشفى الَّذي يرقد به "**صلاح**"، والَّذي غادرته للتو بعد دقائق طويلة قضتها بغرفته، رن هاتف "**نادين**" لترى صورة "**شهد**" على الشاشة، ألقت بالهاتف إلى الكرسي المجاور لها، وهي تصرخ بضيق غمرها – «لماذا؟»

***

بمساء اليوم التالي، بعد أن تخطَّت العاشرة مساءً، كانت تجلس بملهى ليلي، اتَّخذت طاولة بمنتصف الملهى تقريبًا، تُمسك بكوب من العصير تتلاعب بفُوَّهته بين أصابعها وعقلها بعالم آخر، أعادها من شرودها صوت سحب الكرسي المقابل لها على ذات الطاولة! لترفع طرف عينها وتستقر بالجالس مُقابلها! تصطدم عينها بالعقرب القابع

على عنقه، تبسَّم "**سعد**" من جانبه...

- يروقني المكان كثيرًا، لكنه صاخب جدًا، ألم يكن أفضل أن نتقابل بمكان هادئ؟

- أعتقد أن هذا آمن لي.

قالتها "**نادين**" بنظرة فهمها، فتبسَّم بسخرية...

- لقد جرحتِ شعوري بهذا يا فتاة.

اعتدلت وهي تضع مرفقها إلى الطاولة، تسند ذقنها إلى راحتها...

- لا تبتئس يا صغير... هي فقط احتياطات الأمان، لأضمن ألَّا تقتلني.

- لا شيء يضمن لكِ... فربَّما أقتلك بعد أن تُغادري، أو حتى الآن.

- ما أتيت بك من أجله، سيجعلك تحافظ على حياتي.

- وأنا أسمع.

- "**الآس**"... سأعطيك إياها لكن لي شرطًا.

قالتها بنبرة واثقة، أمال رأسه...

- ما هو؟

- أُسافر خارج البلاد، قبل كلِّ هذه الفوضى كنَّا سنغادر، وهذا كلُّ ما أريده.

- ولِمَ لا تغادرين؟ على حسب معلوماتي أنتِ لستِ مطلوبة لأي جريمة، فسجلك نظيف.

- "**أمجد**"... لديه بعض الأوراق ضدي، وهو لن يتركني أغادر.

- وما علاقتي أنا بـ"**أمجد**"؟

أمالت رأسها بنظرة ذات مغزى له، صمت لحظات، هبَّت مُغادرة...

- إن كنَّا سنبدأ اللعبة هكذا، فلا داعي أن نُضيع وقتنا، مبدئيًا أنا أعلم كلَّ شيءٍ عن اللعبة! وربَّما أكثر ممَّا تعلمه أنت!

رمقها بنظرة أرهبتها إلا أنها تجاهلته، أمسك يدها؛ فجلست...

– ما الَّذي يجعلني أصدق أنكِ أتيت لتُسلِّميني صديقتك الغالية؟

– هي لم تعد صديقتي! لقد فقدت صوابها، حاولت قتل **"صلاح"**، وربَّما تقتلني الآن! إنها باتت تشكُّ بأصابع يدها.

– هي من حاولت قتل **"صلاح"**!

– نعم، فقد علمتْ بالاتفاق بينكما على قتلها، وتقول بأنه من أوصلك لـ**"هنا"** لتقتلها.

حكَّ مُؤخِّرة رأسه وعقله يزن كلَّ حرفٍ تقوله، استطردت...

– لا يهم أن تثق بي؛ لأنني لن أثق بك، لنعتبره اتفاقًا بيننا، سأسلِّمك **"الآس"** وتسلِّمني الأوراق الَّتي يمتلكها **"أمجد"** ضدنا، وفوق هذا سأسلِّمك الحاسوب، والأوراق الَّتي بحوزتها، فأنا أعلم أين تخبئهم.

– لكنهم ليسوا لديها.

تبسَّمت بنظرة انتصار، وهي ترفع حاجبها...

– هذا ما تعتقده أنت... لكنها تمتلكهم فأنا من أحضرهم معها من فيلا **"العليمي"**.

– ماذا!؟

فغر بها عينه، فزادت بسمتها...

– هذا لأنك أحمق، فلم يغادروا الفيلا منذ البداية، تلك الأشياء كانت هناك طوال الوقت.

– لكنني فتَّشت بكلِّ مكان.

هتف بها وما زالت الدَّهشة تغمره، فأسندت ظهرها للخلف...

– لكن نسيت أن تُفتِّش بالجدران! كان هناك خزينة.

– الَّتي كانت بالمكتب؟ فتَّشت بها.

– لم تكن بالمكتب بل كانت خلف إحدى اللَّوحات القريبة من السُّلَّم.

تصنَّم للحظة، عبر بعقله لحظة دخوله الاستقبال، وكلاهما يقفان على السُّلَّم، اعتقد لحظتها أنهما ذاهبين إلى غرفة النوم، «كم كان أحمق»، استردَّته بصوت قوي...

– تلك الحمقاء فقدت عقلها، موت **"هنا"** جعلها تشكُّ بكلِّ شيء، حاولت قتل **"صلاح"** لمجرَّد شكّ، فربَّما تقتلني، **"شهد"** لم تعد موجودة، فقط تلك المجنونة، وهؤلاء الحمقى يساعدونها، وتحتمي بذاك المحامي أيضًا.

شرد للحظة وقد تذكَّر الصوت الآخر على شريط التسجيل بمكتب **"رشدي"**، وتلك السيارة الَّتي ظهرت من العدم حين كانا بالمقابر، فزاد اهتمامه...

– أي محامٍ هذا؟ ومن هؤلاء الَّذين يساعدونها؟

اعتدلت وشابكت ساعديها وقد قطبت حاجبيها...

– هل تراني حمقاء؟! حين يكون بيننا اتفاق، وتأتيني بالأوراق الَّتي لدى **"أمجد"** سأخبرك كلَّ شيء، لكن أخبر **"كامل"** بك أن يتعجَّل بقراره، لأنها ستقوم بأخذ كلِّ شيءٍ إلى الشرطة.

– **"كامل"**! أنتِ تعرفين **"كامل"**؟

– أخبرتك أنني أعرف الكثير، فأنتم بتم حمقى، وهي راحت تتلاعب بكم كما الدُمى، لقد أصبحت تعرف الكثير خاصة بعد زيارتها لـ**"صادق رضوان"** بجناحه في الفندق، أخبرتك أن المحامي يساعدها كثيرًا، حتى الآن هي لم تفتح الحاسوب، لكنه اقترح عليها أن يذهب بها إلى رجال في الشرطة يأمنهم وهم سيساعدونها، غير أنهم سيرسلون نسخة عن كلِّ شيء للصحافة، أعتقد أن خروجي خارج البلاد، ومليون جنيه، سيكون ثمنًا بخسًا، لحصر كلِّ تلك الأضرار دفعة واحدة.

ألقت بها بجعبته وهمَّت بالوقوف تُلملم أشياءها من فوق الطاولة، وما زال غارقًا بكلِّ هذا، بصوت باسم بسخرية استعادته من شروده...

– أخبره أنه عرض لمرَّة واحدة فقط، يوم واحد تأتيني بما أريده سأُهديك إياها على طبق من ذهب، في صباح اليوم الثاني لن تجدني، لن أنتظر حتى أدخل تلك الدّوَّامة، لأنها حين تبدأ سيُفتح الجحيم على مصراعيه، اللعبة كبيرة حتى عليك، فقط أخبره وهو سيفهم.

أشارت له بيديها بأنها تنتظر مكالمته، التفتت بالناحية الأخرى، راحت تبتسم بانتصار غمرها؛ فبالنهاية تعلم أنها تمتلك الورقة الرابحة وأنهم سيقبلون، فلم تترك لهم خيارًا آخر، باتت كافَّة خيوط اللعبة بيدها، وستصل إلى ما تريد، لكن لـ**"سعد"**

فالأمر كله أصبح مختلفًا كما قوانين لعبته الجديدة، وركض عقله بطريق جديد!

بصباح اليوم التالي وفي تمام العاشرة، كان يجلس إلى مكتبه، ممسكًا بقلم وورقة يحاول ربط كافَّة الخيوط بعضها ببعض، دلف "**سمير**" واستردَّه من غرقه وهو يجلس...

- على حسب المعلومات الَّتي قالها "**صلاح**"، لم نجد "**نادين**" بهذا العنوان، وقد أخبرني الجيران أنها مُختفية منذ فترة.

- كنت متأكِّدًا من هذا.

هز بها "**شريف**" رأسه؛ فتعجب...

- لا أفهم!

- إن كان "**سعد**" قد وصل إلى "**شهد**" عن طريقها، فبالتأكيد هي غيَّرت مكان إقامتها، إن لم تكونا تسكنان معًا بالفعل الآن، هي أذكى من أن تتركها خلفها خاصة بعد قتله لأختها.

أمال رأسه تأكيدًا، ثُمَّ تساءل "**شريف**"...

- ماذا عن "**كامل**"؟ و"**سعد**"؟

- "**كامل**" لا شيء غير طبيعي سوى كثرة لقاءاته بـ"**أمجد**" تلك الفترة، أمَّا "**سعد**" فلم نستطع مُجاراته، هذا الرجل أكثر من بارع.

زفر بضيق وهو يُتمتم لنفسه - «أعتقد أن خيوط اللعبة قاربت على الاكتمال أسرع ممَّا اعتقدت».. ثُمَّ رفع عينه نحو "**سمير**"...

- إلى أين وصلنا مع "**صادق**"؟

- لا شيء... فمنذ تلك اللَّيلة بالفندق، لا يُغادر فيلته دون حراسة، ولا يقوم بأي مُقابلات خارج مكتبه.

- لا شيء عن تلك المكالمة للفندق؟

عاود بها التساؤل وهو يهم واقفًا من خلف مكتبه؛ فأجابه...

- لا شيء... رقم ميت، تمَّت سرقته، وحرقه، "**صادق**" تكتَّم على الأمر بشدَّة، كأنه لم يحدث! وهذا خلق سؤالًا يؤرِّقني.

قالها وهبَّ واقفًا، أشار له "**شريف**" بأن يسأل؛ فاستطرد...

- هل تعتقد أنها من كانت بغرفة "**صادق**"؟ فالكاميرات لم تلتقط وجهها.

- أنا لا أعتقد... أنا متأكِّد من هذا.

تبسَّم بها بضيق، عاود "**سمير**" التساؤل...

- لكنها لم تحاول قتله، كما فعلت مع "**رشدي**"! إن سلَّمنا بأنها من قتله.. أو كما حاولت قتل "**صلاح**" كما نحن متأكِّدون!

- هذا يعتمد على ماذا أخبرها به "**صادق**" تحديدًا.

قالها وهو يجلس على الأريكة و"**سمير**" يجلس مُقابله، فأردف "**شريف**" باهتمام...

- الجميع بات داخل الدائرة الآن، يبدو أنها بدأت تضيق عليهم وسيبدؤون بإزاحة بعضهم بعضًا، وهذا يُصبُّ بمصلحتنا، كُلَّما احتدم الصراع تساقطت البيادق تِباعًا، "**أمجد**" كان يحاول جمع المعلومات عن "**كامل**" و"**سعد**"، هذا يعني أنه يحاول إيجاد ورقة ترفع من أسهمه وتؤمن ظهره؛ لأنه لا يأمن كليهما، ينقصنا أن نعلم ما الَّذي أخبرها به "**صادق**" تحديدًا؟

طُرق باب مكتبه، أجاب بالدخول، ليجد العسكري يُعطيه مُغلَّفًا، كُتب عليه - خاص بـ"**شريف الزَّهَّار**". تبسَّم "**سمير**" من جانبه...

- يبدو أن الإجابة وصلت أسرع ممَّا توقَّعنا.

بادله "**شريف**" الابتسامة، وهو ينظر إلى المُغلَّف، فتحه، ليجد به أسطوانتين إحداهما كُتب عليها «العقود!» والأخرى «هدية!» وكثير من الأوراق الَّتي وُضعت داخل ظرف آخر، وورقة مطوية فتحها، ليتبسَّم من جانبه وبصوت ساخر، وهو يُعطي الورقة إلى "**سمير**"...

- أعتقد أنني سأطلب إليها العمل معنا.

لتصطدم عينا "**سمير**" بما خطَّته داخلها - «أوَّل الغيث قطرة ثُمَّ ينهمر». فض

"**شريف**" المُغلَّف فوق الطاولة الصغيرة بينهما، سقطت الأوراق، وأيضًا مجموعة صور! أمسك بها، تبسَّم من جانبه بضيق...

– تلك قطرة من بحر آخر!

أمسك بها "**سمير**"، ليجد أمامه "**أمجد**" يجلس إلى جانب "**كامل**" في ودٍ بدا واضحًا على كليهما! ليُتمتم "**شريف**" بصوت مسموع...

– هي أيضًا تُفتِّش خلفهما، تلك الفتاة لن تتوقَّف حتى يقتلوها.

راحا يُمعنان النظر بالعقود، تلك الدوائر الَّتي وضعت حول الأسماء والتواريخ، كلاهما يتبادلان نظرات عدم الفهم، وضع "**سمير**" الأسطوانة الَّتي كُتب عليها «العقود»، لتبدأ ببثِّ صوتها وهي تقصُّ قصَّة العقود كاملة، تصنَّم كلاهما بمكانه حتى انتهت الأسطوانة، لم يستطع أحدهما التفوه بشيء، كان هذا فوق استيعابهما، حين تخطَّى "**شريف**" دهشته، قام بنزع الأسطوانة ووضع الأخرى، بات يتوقَّع أي شيء، فإن حملت أسطوانة «الهدية»، سر مقتل كيندي! أو سر الهرم الأكبر! أو حتى لعنة الفراعنة! فلا بأس! بات على استعداد لتقبل أي شيء يحدث بتلك الدّوَّامة، الَّتي باتت كما إعصار تسونامي يُغرق كلَّ ما يقف أمامه، لتبدأ الأسطوانة ببثِّ ما حدث بجناح "**صادق رضوان**" بالفندق، لتصل الدَّهشة ذروتها لدى "**سمير**"، أمَّا لـ"**شريف**" فباتت مُجرَّد قطعة تُوضع بجوار الأخرى، في تلك المتاهة الَّتي لا تكف عن الاتساع لتقارب صورتها على الاكتمال!

حينها أخرج "**شريف**" ورقة من جيب سترته، أعطاها لـ"**سمير**"...

– ذلك أمر النيابة الَّذي كنت تريده، لا أريد أن يعلم به أحد، إن أحسَّ أحدهم سينهدم كلُّ شيء، سنبدأ بالتسجيل للجميع، "**كامل**"، "**صادق**"، "**أمجد**"... تحديدًا "**أمجد**"، مكتبه ومنزله، هل هذا مفهوم؟

أمال "**سمير**" رأسه بنظرة انتصار غمرته، فقد باتوا على بُعد خطوة واحدة من الجميع!

في تمام الحادية عشرة قبل منتصف اللَّيل، كانت تجلس خلف مقودها لا تُحرِّك ساكنًا، فُتح الباب الآخر، ليجلس "**سعد**" إلى جوارها وبيده حقيبة رياضية، تبسَّمت "**نادين**" من جانبها بنظرة خبث التمعت بعينها، ليتساءل...

- أين هي؟

- هل أحضرت ما طلبته؟

همَّ بفتح الحقيبة لتصطدم عينها ببعض الأوراق، والكثير من المال، زادت بسمتها، مدَّت يدها تُمسك بالأوراق، أمسك بيدها، وتبسَّم بحنق...

- أين هي؟

- بالمقابر.

أمال رأسه دهشة، فأجابت قبل السؤال...

- هي هناك اللَّيلة بذات المقابر الَّتي حاولت قتلها بها سابقًا، لتُحضر الأوراق والحاسوب؛ فهي تحتفظ بهم هناك، بعدما باتت لا تثق بأحد، سوف تُرسل نسخة من الأوراق لمكتب الضابط، والأخرى إلى الصحافة.

قطب حاجبيه بغضب ملأ صدره، وبضيق وقد أطبق على ذراعها...

- لكن أليس من الصعب أن تحتفظ بهم هناك؟! فقد اكتشفنا ذلك المخبأ سابقًا.

- هذا تفكير الأغبياء فقط.. لكنها **"الآس"**، فلأنك تتوقع منها أنها كانت به، ولن تذهب إليه مجددًا؛ فقد بات بالحقيقة آمن مكان لديها؛ لأن تفكيرك المحدود لن يعاود التفكير به.

قالتها بضيق ساخر وهي تفكُّ أصابعه عن ذراعها، أمال رأسه موافقةً بحنق...

- أين تضعهم تحديدًا؟

- هذا ما لا أعلمه.. ربَّما بذات المقبرة، أو واحدة أخرى، لا أعلم.

عاد يهزُّ رأسه، أغلق الحقيبة، وهتف بنظرة ساخرة...

- إذًا ماذا تنتظرين؟ هيا.

- ماذا؟

هتفت بها بقلق اعتلاها، وبنظرة تحدٍ وغضب، وقد استلَّ سكينًا صغيرًا، ووضعه على عنقها...

- ستأتين معي... هذا إن كنتِ تريدين الحصول على تلك الحقيبة، والأهم حياتك.

ابتلعت خوفها وحروفها، وهي تهزُّ رأسها إيجابًا، ظلَّ **"سعد"** مُتيقِّظًا بكلِّ حواسه تغمر الفرحة داخله فلم يعد بينه وبين ما يريد سوى خطوة واحدة، وأكثر ما أطرب داخله أنه لن ينال منها هي فقط بل ومن **"كامل"** قبلها! فحقيقةً هو لم يخبره شيئًا عن هذا الاتفاق مع **"نادين"**؛ فقد احتفظ به بعيدًا وكلِّ ما وصل إليه من معلومات عن طريقها، وأوراقهم لدى **"أمجد"** هو من سرقها من شقَّة **"أمجد"** الخاصَّة، فلقد خطَّط للاحتفاظ بالأوراق والحاسوب واللعب لصالحه، بعدما يتخلَّص من كلتيهما، وحينها سيكون الجميع تحت يده!

وصلا حيث وجهتهما، توقَّفت بالسيارة، هبط **"سعد"** منها وتحت تهديده هبطت هي الأخرى، ربط يدها وكمَّم فمها، وألقى بها بصندوق السيارة الخلفي، تبسَّم من جانبه...

- أعتقد أنكِ ستنتظرينني هنا.

صفعه بقوة، تقدَّم خطوات باتِّجاه المقابر بهدوء والمُسدَّس بيده!

هناك وعلى الجانب الآخر وصلت إلى المقابر، حيث وجهتها، توقَّفت لحظات أمام المدخل، أمسكت بهاتفها وهي تُمعن النظر برسالة وصلتها للتو، زفرت بضيق وهي تُحادث نفسها - ليس الآن يا **"ريري"**. أمسكت بالهاتف، عاودت الاتصال بالرقم، فُتح الخط لتجدها تهتف بها...

- أين أنتِ؟

- أنتِ تعلمين أنني بعيادة **"رياض"**، سأحضر شيئًا ما، وأعود.

زفرت **"ريري"** أنفاسها على الجهة الأخرى...

- لا تتأخَّري... أرجوكِ، فلم تعد **"لُولا"** بعد، ولا أعلم لماذا يسكنني الخوف اللَّيلة!

- كلَّا لن أتأخَّر... أعدك.

وقبل أن تُغلق، هتفت بابتسامة...

- إن حضرت **"نادين"** أخبريها ألَّا تُغادر... فلدي شيء سيُفرحها.

قالتها وأغلقت "**شهد**" الهاتف ووضعته بجيبها!

تقدَّم "**سعد**" بهدوء بعد أن دوى صدى صوتها على بُعد خطوات منه، رفع رأسه لتصطدم عينه بها وهي تضع هاتفها بجيبها، تتفقَّد مُسدَّسها وتُعيده إلى خصرها، تتقدَّم لتعبر إحدى هذه الطرقات المتناثرة من حولهما، تشخص في كلِّ هذا الظلام بسكونه المُزعج، ليقطع الطريق بحرص، حين أصبح خلفها سمعت صوت خطوات! ورائحة الياسمين تُعبئ المكان من حولها! توقَّفت بموضعها، وبفحيحه ساخرًا...

- أعدك أن تلك المرَّة لن تخرجي على قدمك.

ظلَّت على سكونها، تحاول اعتقال خوفها، كي لا يطفو بأنفاسها، فأردف...

- مُسدَّسك ألقي به...... الآن.

أغمضت عينها بضيق، حرَّكت يدها بهدوء وسحبت المُسدَّس، ألقت به إلى جوار قدمها، وبحنقٍ سكنه...

- أكنتِ حقًا تعتقدين أنني لن أجدك؟ أين الحاسوب؟

- إن أخبرتك أنه ليس معي فهل ستصدقني؟!

قالتها بنبرة ساخرة، وقد عادت يداها بمستوى كتفيها، فهمس من خلفها...

- أنتِ أذكى من ذلك.

- إذًا لا داعي للمراوغة... لكن لنكن صادقين، إن أخبرتك ستقتلني وإن لم أُخبركــ...

- سأقتلك.

أكمل بها كلامها بنبرة تلذُّذٍ بكونه الصياد وهي الطريدة، فالتفتت نحوه بروِيَّة، وبابتسامة شامتة وقد قطبت حاجبيها...

- إذًا فبكلِّ الأحوال أنا مقتولة، فلِمَ لا نُنهي هذا سريعًا؟! ولن تجده ما حييت.

- تلك ذات الكلمات الَّتي قالتها قبل أن أقتلها، وها قد وجدته.

قالها بسخرية، شردت بعدم فهم! حين استعادها...

– دعيني أعقد معكِ اتفاقًا.

رفعت حاجبها بابتسامة حانقة تعتليها، استطرد بسخرية...

– أعطيني ما أريد وأترك أصدقاءك يحيون بعدك، يقرؤون لكِ الفاتحة، اثبتي على عنادك وسيلحقون بك جميعًا، وأعدك أنني سأجدهم كما وجدتك، وسأستمتع كثيرًا بقتلهم.

– أعتقد أنك بت مقنعًا الآن، كم أنا ناكرة للجميل! أنت ترغب بأن يقرؤوا لي الفاتحة، حقًا إن لديك قلب بطريق استوائي!

قالتها بنبرة ساخرة، فبادلها ذات النظرة...

– وهل هناك بطريق استوائي؟

– وهل لديك قلب!

ابتسمت له بحنق، طار برأسه الَّذي أراد جزَّ لسانها، أشار لها بمُسدَّسه لتتراجع ففعلت، تقدَّم وانحنى قليلًا، التقط مُسدَّسها وما زالت يداه وعيناه راسختين عليها، رمقته بنظرة غاضبة، بادلها إياها بنظرة نصره بفريسته؛ فقد زادت فرصه ضدها فباتت دون سلاح أمامه، اعتدل وهو يُشير إليها لتتقدَّم، التفتت للأمام وقد احتقن كرهها له بصدرها، وغضبها بوجهها، هتف بسخرية وهو يتبعها...

– المقابر! أعتقد أنكِ ستوفِّرين مصاريف الشحن والنقل.

– أرأيت كم أنا متعاونة؟!

بادلته إياها بسخرية، وما زالت تتقدَّم خطوات أمامه، ومُسدَّسه برأسها...

– أتعلمين؟ لو كنَّا تقابلنا بزمانٍ ووضعٍ مُختلف لكان الأمر اختلف كثيرًا.

– حقًا!

– أنا أعشق المرأة الجريئة والذكية، فلها سحر خاص، كنَّا سنمثل ثنائيًا ليس له مثيل.

فتوقَّفت لحظة والتفتت إليه، تقدَّمت نحوه خطوة، ابتسم، أمعنت النظر بعينه...

– لكنني لا أعشق أشباه الرجال، فهم يشعرونني بالغثيان.

غادرته ابتسامته، قطب حاجبيه، سحب قيد مُسدَّسه كإعلان لنهاية باتت على بضع خطوات أخرى، عادت واعتدلت بوجهتها، حتى وصلت إلى ذات القبر ثانيةً، همَّت بفتح القفل الموضوع على الباب، وهو يقف خلفها، اشتدَّت عاصفة الحنق بداخله، صار يترقَّب الفتك بها، حين تساءلت...

– أنت من قتل أختي؟

– كلَّا أنتِ من قتلها... فأنتِ من أقحمها بكلِّ هذا.

دفعها للداخل، ابتلعت بعضًا من غضبها، راح يسترسل بنظرة شامتة...

– على كلٍّ ربَّما أكون من ضغط الزناد، لكنني لست من وضع الرصاصة!

أمالت رأسها بعدم فهم، تلذَّذ بانتصاره وهو يهتف بسخرية...

– قتلها كان اقتراح **"أمجد"** بك لإخراجك من جُحرك! كان يوقن أن بقتلها نهايتك، فاشكريه هو على إراحتها من عذاب مرضها، فحقيقة يرجع له كلُّ الفضل بذلك، أنا فقط من نفَّذ لا أكثر، فلا أهوى قتل الضِّعاف بكلِّ حال، إلا أنني أفعله فهو بالنهاية عمل.

احتقن الغضب بتقاسيمها، أشارت نحو القبر الَّذي دُفنت به أختها، كزَّت على أسنانها...

– هو هناك... احفر لتجده.

غرس فُوَّهة المُسدَّس بعنقها بقوة، وهتف بسخرية غاضبة...

– احفري أنتِ لأجده! سيكون من الجيد أن تجديه لي.

– أخبرتك سابقًا... كم أنت مقنع!

سخرت بها بحنق، توجَّهت نحو القبر، جلست أمامه، بدأت بالحفر بجواره، وقف ينظر إليها ساخطًا، «يلعن تلك العثرة الَّتي ظهرت له من العدم! فلو أنه تأكَّد من موتها بتلك اللَّيلة لكان كلُّ شيء أسهل الآن». هكذا صرخ شيطانه، أخرج من جيبه عازلًا للصوت، أخذ يحكم أوتاده بالمُسدَّس، ويُزيد من حنقها...

– لا تقلقي سأجعل موتك سريعًا على عكس أختك، وأيضًا بهذا المُسدَّس فقد ادَّخرته خصيصًا لك، أبشري فأنا لا أقتل به سوى الشخصيات الهامَّة.

– أعتقد أن له تاريخًا يجب أن تُطالب بوضعه في اللوفر، وربَّما يضعونك بجواره فأنت لديك تاريخ أيضًا، حتى وإن كان قذرًا، وصدقني سيسعدون بك كثيرًا.

سُخريتها زادت من ضيقه، همَّت بسحب الحقيبة، هتف باستنكار ملأ صوته...

– تعتقدين أنكِ أفضل مني! أنتِ مُخطئة، ربَّما لا تعلمين أو فقط تحاولين الهروب، لكننا نظلُّ بالنهايةِ وجهين لنفس العُملة، فبالنهاية نحن مُتشابهان حد التماثل، كلانا يسير بالاتِّجاه الخاطئ، أنتِ لا تختلفين عني بشيء، كلانا سقط بغُشِّ الشيطان.

– حقًا!

هتفت بها وهي تهمُّ مُعتدلة والحقيبة بيدها، زاد ضيقه بصوت قارب الصراخ...

– أنتِ تعلمين هذا بداخلك، انظري أين وصلت؟ مجرمة وفارَّة من العدالة، سارقة وقاتلة، وتتعاملين مع من هم أدنى طبقات المجتمع، فكلنا وجوه لذات العملة الباهتة.

قطبت حاجبها واعتلتها ابتسامة كره وغضب صامتة، أشار لها بمُسدَّسه بوضع الحقيبة فوق شاهد القبر أمامه، فعلت وابتعدت عن الحقيبة بضع خطوات كما طلب، فقد آثر تلك المرَّة حفظ المسافة بينهما! تقدَّم نحو القبر، ابتسم بنصره الَّذي ظفر به بعد طول قتال، بعد لحظات سيُرديها قتيلة كما حلم طوال الفترة الماضية، تلك المرَّة سيحرص على فعل ذلك بالطريقة الصحيحة، فقط يتأكَّد من وجود الجهاز داخل الحقيبة، ليهتف بنصره...

– أرأيتِ؟ لقد وصلت حيث أردتك أن تكوني.

ظلَّت على صمتها، همَّ بفتح الحقيبة ليدوي صوت للحظة! رذاذ يدخل في عينه! يندفع للخلف ويختل تفكيره وتوازنه للحظات! حين استعاده بشيء حاد يُلاصق رقبته من الخلف! وقبل أن يرتدَّ له طرفه، دُقَّ مفصل ركبته من الخلف، فُرُكِّع أرضًا، وقبل أن يعي هبَّت بالتقاط مُسدَّسه من يده، ومُسدَّسها الآخر من خصره سريعًا، ألقت سكينها بعيدًا، وجَّهت مُسدَّسه لرأسه، وبصوت انفجر بغضبها...

– أتعلم أن من يبني ذكاءه على غباء الآخرين، هو بالحقيقة الأغبى بين البشر؟

وبصوت زاد حنقه...

– أعتقد أنك بالنهاية بت تقف حيث أريد أنا.

تعالت ضحكته، وهو يهتف بحنق لغبائه أمامها للمرَّة الَّتي تعب من عدِّها...

- أخبرتك أنكِ بتِ مثلي.

- لم أكن يومًا مثلك، ولن أكون.

قالتها بضيق، هتف وهو يهزُّ رأسه بضيق....

- إن قتلتني ستكونين مثلي، غير أنه لا يمكنك قتلي!

ابتسمت من جانبها بضيق، وقد التفتت لتقف أمامه وما زال مُسدَّسه بوجهه...

- ولماذا؟

رفع طرف عينه نحوها، تلاقت العيون والكره والغضب والحقد امتدَّ جسرًا بينهما، وبنظرة تحدٍّ غاضب ملأت عينه، كزَّ على أسنانه...

- لأنكِ إن قتلتني لن تعرفي ما حدث تلك اللَّيلة! لن تعرفي إلى أي جذرٍ بالشجرة العتيقة تمتد اللعبة.

- أنت مُخطئ فأنا أعلم... أعلم أن شجرة فسادكم الموبوءة، تسعى جذورها فسادًا تحت السترات والوجوه المصطنعة، والألسن الصارخة كذبًا بالأخلاق والقيم والمبادئ، كما يستشري السرطان وسط الخلايا ليُدمِّر الأخضر واليابس، كما جذوركم المسمومة راسخة بأرض فسادكم الواهي الملعون بقوة، لكنني ببساطة...

صمتت لحظة وهي تلهث أنفاس كرهٍ استبدَّ بها، استطردت بحنقها...

- لم أعد أكترث.

- بلى أنتِ تكتـــ...

صرخ بها بضيق اعتلاه، ليُقاطع صُراخه طلقة اخترقت صدره ودوت بين ضلوعه! نظر نحو صدره بعينين مدهوشتين! كأن صدمة المفاجأة أفقدته الشعور بالألم، والإحساس بالرصاصة الَّتي عبرته، عاود النظر نحوها وعلى وجهه تلك النظرة المصدومة، صوته يُحاول قول شيء لكنه لم يُغادره! أصابعه راحت تتحسس الدم المنهمر من صدره، وعيناها ما زالت تُلاحقانه وهو يسقط على ظهره، يختلط دمه بالتراب من حوله، تقدَّمت خطوة وأناملها مُطبقة على المُسدَّس، عيناها ثابتتان لا تكاد تشعر فيهما الحياة أو الموت! كأنها

شبح خرج لتوه من أحد القبور الَّتي تقبع بكلِّ اتِّجاه! فارغة من كلِّ شيءٍ وأي شيء! هبطت على الأرض برويَّة، انحنت قليلًا نحوه وعيناها مُعلَّقتان بعينيه التائهتين، وأنفاسه الَّتي راحت تشهق حروفه بحشرجات صوته المكتوم بدمه، اهتزازات جسده المُتلاحقة، راحت تُمعن النظر بالدماء الَّتي بدأت تسيل من فمه...

– نحن لم نكن يومًا وجهين لعملة واحدة...

صمتت لحظة وهي تُثبت رأسه المُرتعشة بيدها، انحنت فوقه، همست بأذنه....

– ولن نكون.

همَّت واقفة وهي تُعيد تثبيت مُسدَّسه أمام وجهه، سكنت نظرات الفراغ المذعور وجهه، وبحنق اغتل بكلِّ ما فيها، ونظرات الجحيم تتطاير بوجهها...

– ما كان يجدر بك قتل أختي... هي لم تكن جزءًا من اللعبة.

وخرجت الطلقة الثانية لتستقر بين عينيه تمامًا.

سكن بعدها كلُّ شيء، اللَّيل وجسده وعيناه وأنفاسه وغضبها! ظلَّت لحظات تُمعن النظر بجثته، نظرت نحو قبر أختها، راحت تتلمَّس حافته بأصابعها، وبصوت هامس – «أخبرتك أنني سآتي به إليكِ وأقتله تحت قدميكِ». زفرت بارتياح ملأ صدرها لحظتها، كأن ثقلًا حطَّ عن كاهلها، التفتت نحو جثته، أوثقت كلا المُسدَّسين إلى خصرها، التقطت السكين، راحت تسحب جثته خارج الحوش، حفرت قبرًا داخل مقبرة على بُعد خطوات، وألقت به داخله ومُسدَّسه والسكين إلى جواره بعد أن مسحت بصماتها عنهما، عاودت ردمه، عادت إلى مقبرة والديها، أخذت الحقيبة، أغلقت الباب وغادرت، حين وصلت للطريق الرئيسي، وجدت سيارة **"نادين"** تقف على بُعد خطوات منها! هزَّت رأسها بضيق، تقدَّمت نحوها، نظرت بداخل السيارة فلم تجد أحدًا! سمعت صوت حركة بصندوق السيارة، تقدَّمت نحوه، سحبت مُسدَّسها، أطبقت كفَّها عليه بقلق بدا على وجهها، وقفت لحظة، تنفَّست بعمق، عادت الحركة داخل الصندوق، فتحت الصندوق بيد، والمُسدَّس صوبته نحو الصندوق بالأخرى، لتجدها مُقيدة أمامها، زفرت أنفاسها دُفعةً واحدة وهي تهزُّ رأسها، اعتدلت **"نادين"** داخل الصندوق، تحاول التفوُّه بشيء من وسط دموعها! أزاحت الكمامة عن فمها، راحت تصرخ بغضب، وهي تلكم **"شهد"** بصدرها...

- لمَ تأخرتِ أيتها الحمقاء؟ كدت أموت رُعبًا... اعتقدت أنه قتلك.

تنفَّست "**شهد**" ثانيةً، خفضت المُسدَّس ووضعته بخصرها، احتضنتها...

- اهدئي... أنا بخير... صار كلُّ شيء كما خطَّطنا له.

تبسَّمت "**نادين**" بارتياح، فمنذ لحظة اتفقتا على تلك الخطَّة، باستدراج "**سعد**" بعيدًا، بعد مغادرتها غرفة "**صلاح**" وتأكُّدها من خيانته لكلتيهما، لا تستطيعان النوم ذعرًا من أن يكتشف الخدعة ويُرديها قتيلة، استردَّتها "**شهد**" وهي تحل وثاقها، راحت تتلمَّس "**نادين**" رسغها، وهي تتأوَّه...

- ذاك الأحمق وضعني بالصندوق، كنت سأختنق.

- وهل كنت تعتقدين أنه سيتركك على قيد الحياة؟ أعلم أن الأمر كان صعبًا لكن كان لا بد من الإلقاء بطُعم حقيقي ليلتقطه، ما كان هذا لينجح من دونك.

قالتها وهي تُربت على جبين "**نادين**" برفق، صعدتا إلى السيارة، لتهتف "**نادين**" بفرح...

- لا يهمُّ كلُّ هذا الرعب الماضي، لقد انتهى كلُّ شيء الآن، تلك الأوراق تُثبت براءتك، "**شريف**" تأكَّد من ذلك، انتقمتِ لموت "**هنا**"، سيعود كلُّ شيءٍ إلى وضعه الطبيعي.

- ليس بعد!

- ماذا؟

فغرت بها عينها، رمقتها "**شهد**" بتلك النظرة الَّتي هزَّت لها رأسها نفيًا، أدارت السيارة وانطلقت بها، وصلتا شقَّة "**لُولا**"، هبطت "**نادين**" وهي تُمسك كلتا الحقيبتين، ظلَّت "**شهد**" مكانها، تعجبت لها...

- هيا... لماذا لم تهبطي؟

- اصعدي أنتِ، سأذهب إلى مكان ما! ثُمَّ ألحق بك.

- إلى أين؟

هزت رأسها باستسلام...

- لا أعرف... صدقيني لا أعرف.

أدارت السيارة ورحلت!

أنهى كتابًا كان يقرأه، جلس بسريره يتأهَّب للنوم، فقد تخطَّت الثانية صباحًا بقليل حين سمع طرقات متقطعة على باب منزله! أخذته الدَّهشة فمن عساه يكون الطارق بهذا الوقت؟! ربَّما هو معتاد على الاتصالات اللَّيلية بحكم عمله! وبعض الطرقات أحيانًا قليلة، إلا أنه مرَّ وقت منذ آخر شخص طرق بابه بهذا الوقت! همَّ ينتعل خُفَّيه، تقدَّم الخطى بحذر، وصل الباب دون أن يُجيب، نظر بسكون من عين بابه السحرية، لتسكنه الدَّهشة وتتملَّك من كلِّ ذرة به حين رأى الطارق! رجع خطوة للخلف، شرد لحظة استعادته منها طرقة أخرى، فتح الباب وما زالت دهشته تعتليه، ليجد صوتها يستعيده...

- هل أيقظتك؟

قالتها **"شهد"** بابتسامة بدت هادئة، ظلَّ لحظات ينظر لتلك الَّتي تقف ببابه بعد منتصف اللَّيل، ربَّما توقع أن يزوره بابا نويل يومًا! إلا أن تلك الزيارة هي آخر ما توقع أو حتى حلم به! قد تقف الشمس أو يقف القمر ببابه! أمَّا أن تقف هي فذاك ما فاق تمنِّيه! انتبه فأمال رأسه نفيًا بابتسامة ما زالت ذاهلة...

- كلَّا فلم أنم بعد.

وضعت يديها بجيبيها وهي تهرب بعينيها في كلِّ ركنٍ وزاويةٍ من حولها، عاد وتنبَّه من شروده، تنحَّى جانبًا وطلب إليها الدخول، تقدَّمت خطواتٍ، تبعها وأغلق الباب، قالت وهي تتقدَّم وقد أبطأت الخطى...

- أعلم أن الوقت متأخر.

- كلَّا... كلَّا، لا بأس، المهم أن كلَّ شيءٍ جيد، وأنكِ بخير؟

تساءل بها باهتمام، وهو يرى تلك النظرة الساكنة بفراغ على وجهها، وبعض الغبار ما زال عالقًا بملابسها ووجهها، هزَّت رأسها إيجابًا، راح يتقدَّمها ليُرشدها إلى الاستقبال، بتلك الشقَّة المتواضعة المساحة والأثاث، كانت تختلف كثيرًا عمَّا توقعته من محامٍ يجني أموالًا لا بأس بها! وقعت عينها على باب غرفة مضاءة موارب قليلًا...

- ألديك أحد هنا؟

- كلَّا... كلَّا فأنا أعيش وحيدًا.

قالها **"جلال"** بتلعثم، توجَّه نحو الباب المُوارب، فتحه عن آخره، تبسَّمت من طريقته، عينها تدور بالمكان...

- جيدة هي شقتك... إلا أنني توقعت شيئًا أكثر...

- ماذا؟

زادت بسمتها المجهدة...

- أنت تعلم... فالمحامين أرباحهم...

- تقصدين أكثر ثراء؟

تبسَّم بها وهو يستند إلى حافة الباب، شابك ساعديه...

- حسنًا... ربَّما هي متواضعة إلا أنني أرتاح بها.

- لم أقصد هذا... هي فقط الفكرة عن الأموال الكثيرة.

قالتها وهي تحكُّ مُؤخِّرة رأسها، اعتدل بوقفته وهو يتبسَّم...

- أعلم... ودعيني أخبرك سرًا، أنا بالفعل لدي شقَّة أخرى بإحدى البنايات الفخمة على النيل، وإن أخبرتك ثمنها ربَّما تصابين بأزمة قلبية لذلك لن أفعل.

تعالت ضحكتها، تقدَّم خطوة وهو يبتسم من ضحكتها...

- لكنني لا أرتاح سوى بهذا المكان، فقد كان منزل عائلتي منذ كنت طفلًا، وبه كلُّ ذكريات طفولتي وشبابي.

- أعتقد أنه من الجيد أن يكون لديك ذكريات، لديك ما يربطك بالماضي، ما يربطك بعائلة وحياة رغم أنها مضت فإنك تتعلَّق بها وتُمسك هي بك... أعتقد أنه شعور يستحق التمسُّك بهذا المكان المتواضع لأجله.

قالتها بحزن اعتصرها من الداخل، وهي تجلس إلى الأريكة، مسَّ قلبه حزنها، جلس إلى جوارها، وهو يبتسم...

- ستتذكَّرين... أنت بالفعل قطعتِ شوطًا كبيرًا بهذا.

أمالت رأسها بابتسامة مُتعبة، شعر لحظتها بأن ما أتى بها بذاك الوقت شيء أثقلها! تركها لحظات وذهب إلى المطبخ، عاد بعد دقائق وبيده كوب من اللبن، نظرت نحوه وقد اعتلتها ابتسامة بريئة من براءة تصرفه، بادلها الابتسامة بأخرى، عاود الجلوس على الأريكة من مسافة قريبة، عادت برأسها وألقت به إلى ظهر الأريكة، تساءل وهو غارق

بكلِّ تفاصيلها المجهدة...

- ما بكِ يا "**شهد**"؟ تبدين مُتعبة كثيرًا... أكثر من المعتاد على كلِّ حال.

- لقد قتلته!

قالتها بهدوء غريب، انتفضت حدقتاه من موضعهما، تصلّب الدم بوجهه وكلِّ ذرةٍ به، حين رفعت رأسها وهي تقول بسكينة باردة توغلت بين ضلوعها...

- "**سعد**"... لقد قتلته.

- متى؟

- اللَّيلة.

- كيف وصل إليكِ؟

كلُّ ما به كان مشدوهًا يحاول اللِّحاق بما تقوله، أمعنت النظر به...

- أنا من وصل إليه.

انتفض من مكانه بضيق غمره...

- كان يجب أن تُخبريني أنك ستفعلين شيئًا كهذا.

- لم يعد يهمُّ الآن... أتعتقد أنني أصبحت مثله؟

أمال رأسه بعدم فهم، فتنهدت بصوت حزين...

- قبل أن أقتله قال أنني أصبحت مثله.

هز رأسه نفيًا، عاود الجلوس ولكن تلك المرَّة بقُرب أكثر...

- كلَّا... أنتِ لستِ مثله... ولن تكوني.

- أتعتقد... فالقتل دومًا يكون نهاية الطريق! فإزهاق الأرواح لا يكون من طرف واحد.

قالتها وهي تمسح عن جبهتها، أمسك بذقنها وهو غارق بعينها...

- إلا تلك المرَّة فهي استثنائية... بكلِّ الأحوال إن لم تقتليه أنتِ، كنت سأقتله أنا،

هذا ما يجب أن يكون.

هزت رأسها بابتسامة دامعة...

- حتى الآن لا أعلم لمَ أتيت إليك، لكن بعدها لم أكن أعي ماذا أفعل، لم أستطع العودة إلى المنزل، صورتكِ هي كلُّ ما ظهر أمامي.

أمال رأسه وهو يبتسم لها، إلا أن تلك المرَّة لم تبادله الابتسامة، لكن عبرات راحت تتسرَّب من جفنيها، راحت تجهش بالبكاء بطريقة هيستيرية، لم يحاول أن يوقفها لكنه اقترب منها أكثر، طوقها بذراعيه، راح يضمُّها بقوة إلى صدره، تركها حتى تفرغ كلَّ ما كان يصرخ بصدرها، ظلَّ مُتمسِّكًا بها قدر استطاعته بين ضلوعه، حتى غفا كلاهما على حاله ما تبقَّى من ساعات الليل.

العاشر
الجولة الحاسمة

في تمام التاسعة من صباح اليوم التالي كان لا يزال يغطُّ في نوم عميق، بدأ هاتفه في الرنين المتواصل، نزع وسادته عن رأسه وراح يحاول فتح عينيه، لم يُعِر الرقم غير المعروف على شاشته انتباهًا! فتح الخط، وضع الهاتف فوق أذنه وأعادها تحت وسادته، بنوم يأبى أن يفارق عينيه، ومع أوَّل كلمة سمعها على الطرف الآخر، انتفض من سُباته وهو يرفع رأسه عن الوسادة، واتَّسعت حدقتاه، لتستعيده...

- أتمنى أن تكون هديتي قد أعجبتك يا "**شريف**" بك!

تساءلت بها "**شهد**" بصوت هادئ، ليتخطَّى "**شريف**" نومه، ويعتدل بفراشه...

- أوَّل الغيث قطرة، ويبدو أن الغيث بدأ بالهطول.

ليسمع أنفاسها المُتقطِّعة على الجانب الآخر، وبهدوء ما زال يعتلي نبرتها...

- ما رأيك بجولة أخرى؟ جولة مشوِّقة أكثر من سابقاتها!

- ما الَّذي تريدينه يا "**شهد**"؟

- أريد أن أُهديك شيئًا يستحق.

- لِمَ لا تأتين به بنفسك؟ فأُفضِّل أن أشكرك على كلِّ ما تُقدِّمينه.

صمتت وما زالت أنفاسها تصدح بأذنه، تنهدت...

- ولمَ لا؟! لا يمكنني رفض طلبك، يكفي أنك حاولت أن تُقدِّم العون في دفن الجثة، رغم أننيَ انتظرتك هناك كثيرًا، انتظرت أن تأتي وتُقدِّم لي العزاء، لكن لا بأس.

- عفوًا! أنتِ من لم تأتي لعزاء أختك، فما اعتقدت أنكِ ستفوتينه!

سكن صوتها ابتسامة، زاد اعتداله بسريره، لتعاود الحديث...

– أخشى أن هناك لبسًا بسيطًا بهذا، جثة أختي قد استلمتها بطريقتي ودفنتها بحضن أمي، وإن لم تكن تُصدِّقني يمكنك الذهاب إلى هناك والتأكُّد شخصيًا، وعلى كلٍّ فتلك الجثة الَّتي دفنتها أنت ستعرفها دون عناء، فقد دخلت أمام عينيك إلى المشرحة، وأخبروني أنك أصررت على رؤية وجهها بنفسك؛ فقد اعتقدتها أنا على ما يبدو.

انتفض واقفًا، وبصوت متقطع من فرط التَّعجب والدَّهشة الَّتي أغرقته...

– ما... ما الَّذي تقولينه؟

ظلَّت أنفاسها على الجهة المُقابلة تُخبره أنها لا تكذب، عاود جلوسه إلى حافة السرير وهو يستند بيده إلى الجدار من جانبه، فلا يُصدِّق أنها ما زالت تتلاعب به، راح كلُّ شيءٍ يتسرَّب من عقله، استعادته بصوتٍ أكثر هدوءًا...

– لا تبتئس يا صديقي... أنتِ تعرف أننا بدولةِ الأموالُ تفعلِ بها المعجزات؛ فهي السيد والحاكم الوحيد... دعني أُعوِّضها لك بهديةً مجَّانيَّة، سأرسل لك الآن رسالة بعنوان "**سعد**" ربَّما تجد هناك شيئًا تُفتِّش عنه.

صمتت لحظة، حين نظر بالهاتف ليجد الرسالة تظهر بشاشته، ثُمَّ أردفت...

– أين تُفضِّل أن تستلم هديتك الأخيرة؟

حاول تخطِّي غرقه بصفعته، بصوت ساخر من نفسه قبلها...

– بمكتبي... وسوف أُعدُّ لكِ القهوة بنفسي، فبعد كلِّ هذا لقد استحققتِها عن جدارة.

– أكثر ما يُعجبني بك طموحك؛ لذا استمر فربَّما يومًا تنول ما تحلم به.

خيم الصمت لحظات طويلة، ظلَّت أنفاس كليهما تتسلَّل للآخر عبر أثير الهاتف، ثُمَّ هتفت بجدية...

– ليكن مساء اليوم، كن قريبًا من الهاتف سأخبرك متى وأين، فقط تأكَّد أن تحضر وحيدًا لأنني تلك المرَّة لن آتيك وحيدة! فاحذر أن تُغضب امرأة تحمل مُسدَّسا يا "**شريف**" بك.

تبسَّم من جانبه بدهشة حانقة رجَّت أغواره، أُغلق الخط على الجهة المُقابلة لتزداد بسمته الحانقة، التفت نحو السرير، ألقي بهاتفه بغضب، أخرج صرخة من حلقه دوت بين ضلوعه قبل جدران غرفته، باتت صفعاتها المُتتالية له فوق احتمال غروره المهدور كرامته، عاود الصراخ داخله وهو ينظر نحو الهاتف، وبنظرة حنق اغتلت داخله – «أعدك أن تكون تلك جولتنا الأخيرة». جلس إلى حافة الفراش وأمسك بهاتفه، أعاد إرسال رسالتها بعد قراءتها، ثُمَّ ضغط الاتصال السريع، لحظات وفُتح الخط المُقابل، ليهتف بحدة – "**سمير**" استيقظ... أريدك أن تُقابلني الآن بذلك العنوان الَّذي أرسلته لك... هيًّا أسرع... سأخبرك حين تأتي. أغلق الهاتف وانتفض من مجلسه، يرتدي ملابسه مُسرعًا ليظفر بذاك الأحمق؛ فرغم ضيقه منها ومن كلِّ هذه الفوضى، فإنه قد حصل على "**سعد**" صيده الثَّمين على كلِّ حال، هكذا أطرب داخله فرحًا!

❦❦❦

على الجانب الآخر، ظلَّت جالسة بموضعها لا تتحرَّك، انتهى "**جلال**" من إزالة شريحة الاتصال عن الهاتف، ألقى به فوق الطاولة، ليستعيدها...

– أنتِ تعلمين أنه لن يأتي وحيدًا.

هزَّت رأسها إيجابًا، فهزَّ رأسه...

– سيكون كلُّ شيءٍ بخير، سأحرص على ذلك.

تبسَّمت...

– إن لم يحدث ولم تسِر الأمور كما خطَّطنا لها، أريدكـ...

– "**شهد**"، توقَّفي.

قاطعها بها وهمَّ واقفًا، همَّت واقفة خلفه بنبرة حزن سكنها...

– فقط تذكَّر دومًا أنني تمنيت لو تقابلنا بعالم آخر، تمنيت لو استطعت إخبارك بما يسكن صدري لك.

أمال رأسه وهو يمسح بين عينيه بضيق، تقدَّم خطوة نحوها...

– "**شهد**" أنــ...

ليُقاطعه صوت طرقات مُتقطِّعة على الباب، أحنى رأسه بزفرة ضيق، كان ينتظر تلك اللحظة منذ أوَّل مرَّة سكنت عينه، فكم اشتهى الصراخ بعشقه لها، اتَّجه نحو الباب بضيق اعتلاه، ليفتح فيجد **"نادين"** و**"ريري"** تقفان أمامه، دلفتا دون قول شيء، نظرتا نحو **"شهد"** الَّتي ما زالت بموقفها، هتفت **"ريري"** وهي تتقدَّم نحوها...

- هل ما زلتِ على قرارك؟

- وهل تركوا لنا غيره؟! **"جلال"** مُحق، يجب أن نتَّخذ هذا الطريق رغم المخاطرة؛ فلم يبقَ أمامنا سواه.

تبسَّمت بها من جانبها، وقف أربعتهم يتبادلون النظرات وأنفاس القلق والخوف من القادم تنتفض بالصدور!

بعصر ذات اليوم، وقبل دقات الخامسة، كان **"أمجد"** يجلس بمكتب **"كامل"**، ينتظران ظهور **"سعد"**، شرد **"أمجد"** لحظة في القادم بعدما خيَّب **"صلاح"** رجاءه، فما كان منه إلا أن زاد تصنُّع رضوخه لـ**"كامل"** بالوقت الحالي حتى يتخلَّص منها على الأقل، ثُمَّ يُعيد ترتيب أوراقه، فدومًا لديه طريقة للوصول إلى ما يريد، فقط ينتظر الوقت المُلائم ليقتنصها، استردَّه **"كامل"** بزفرة توتُّر، لتأخُّر **"سعد"** فلم يأتي حسب الموعد المُحدد بينهم، والَّذي قد ألح **"سعد"** عليه بشدَّة، لم يكن راغبًا بالمقابلة لكنه وافق بها؛ فالشَّكُّ ملأ باطنه من ناحية **"سعد"**، الَّذي لم يعد يخبره شيئًا بالفترة الأخيرة، فقط أشياء مُبهمة، يُوقن أنه يُخطِّط لشيء من خلف ظهره، لكن لا سبيل أمامه الآن سوى الانتظار حتى يحصل على ما يريده، وبعدها ليتخلَّص من كلِّ بيادقه دفعة واحدة، حين قاطعت شرودهما مديرة مكتبه وهي تعتذر...

- أعتذر كثيرًا يا **"كامل"** بك، لكن هناك فتاة تُصرُّ على مقابلتك، تقول أنه شيء هام.

- ليس الآن... فأنا مشغول... ابعثي بها للأستاذ **"سامح"** لتقابله.

- لا أعتقد أنك ستودُّ أن أُقابل أحدًا غيرك يا **"كامل"** بك.

قالتها وهي تتقدَّم خطوتين داخل مكتبه، فغر **"كامل"** عينه وفمه! هبَّ **"أمجد"** واقفًا وأنفاسه قد توقَّفت كما نبضاته، عينه لا تكاد تُصدِّق أنها تقف أمامه! زادت من خطواتها

داخل المكتب، هبَّت نحوها مديرة مكتبه وهي تعتذر...

– آسفة كثيرًا يا "**كامل**" بك فلقد أخبرتها أن تنتظر، سأطلب إلى الأمن إخراجها فورًا.

تبسَّمت من جانبها، وهي تنظر نحو الفتاة ثُمَّ "**كامل**"...

– الأمن... هذا سيكون جيدًا، لكن أقترح أن تطلبي الشرطة، هذا سيكون أفضل، وهكذا نُغادر جماعة؛ فحقيقةً أنا لا أحب الوحدة، ما رأيك يا "**كامل**" بك؟

حتى تلك اللحظة لم يكن يستوعب أنها تقف داخل مكتبه! تقف "**شهد**" أمامه على بعد خطوة منه! كيف لها أن تصل إليه؟! تلك العشرة الَّتي تحوَّلت بين ليلة وضحاها إلى إعصار يُهدِّد مملكته، ربَّما خامره شعور بأن هناك ما يحدث لكن هذا فاق توقعاته، وقلب الطاولة، وعقَّد كلَّ حساباته السَّابقة!

أمَّا لـ"**أمجد**" فهذا فاق كلَّ الحدود الَّتي وضعها لها سابقًا! ربَّما يعلم أنها قد فقدت عقلها بسبب موت أختها، أو فقدانها الذاكرة، لكن هذا كان فوق الجنون بحد ذاته من وجهة نظره، أشار "**كامل**" لمديرة مكتبه بأن تخرج، حاولت القول بأنها ستحل المشكلة، إلا أنه طلب إليها بحدَّة وغضب المغادرة، فغادرت بعدما أكَّد لها أنه لا يريد لأحد أن يزعجه، خرجت ودهشتها الشديدة تغمرها فمن تلك لتقتحم مكتب "**كامل عمَّار**" ولا يُلقي بها خارجًا! أُغلق الباب، ظلَّت "**شهد**" على وقفتها لحظات، يداها داخل جيبي سترتها وتنقل النظرات بين كليهما، وما زالا على دهشتهما، عاودت التقدُّم، جلست إلى جانب مكتبه بالكرسي المقابل لـ"**أمجد**"، تبسَّمت...

– أعتقد أنني اشتقت كثيرًا لهذا اللقاء العائلي الصغير، كما تعلمون كم العائلة مهمة، حتى وإن كانت قذرة مثلكما.

فخرج "**أمجد**" عن صمته ولملم دهشته...

– أنتِ حقًّا تمتلكين الجرأة كي تأتي إلى هنا! ألا تخشين ألَّا تخرجي على قدميك؟!

– إن قلقك لأجلي مسَّ قلبي يا "**أمجد**" بك، لكن دعني أنا أقلق بشأن قدمَي.

اعتدل "**كامل**" وهو يضع يديه فوق المكتب، بصوت تجاوز دهشته...

– ما الَّذي أتى بكِ إلى هنا؟ هل أنتِ هنا لقتلي؟!

– ربَّما.. ولمَ لا؟! حقيقةً أنت من يُفتِّش عني أو بالأحرى يريد قتلي بأي وسيلة كانت.

قالتها وهي تُمسك بقلم من فوق المكتب، تتلاعب به بين أناملها، هتف "**أمجد**" بضيق وهو يسحب مُسدَّسه من خلف سترته ويضعه على المكتب...

– ما الَّذي تريدينه يا "**شهد**"؟

تبسَّمت وهي تنظر نحو المُسدَّس ثُمَّ إلى "**أمجد**"، وتضرب المكتب بكفِّها...

– غير رأسيكما لا شيء، كلاكما قتل أختي، هل تعتقد أنني لا أعلم بأنك من فعلها يا "**أمجد**"، وأنك من دفع لـ"**صلاح**" لقتلي و"**نادين**"؟

هزَّت رأسها بسخرية وهي تنقل نظرها بين كليهما...

– إن سيدك هو من يريدني، اقتلني، وبعد أقل من دقيقة ستكون كلُّ الملفَّات الَّتي يحويها الحاسوب تتساقط كالأمطار بكلِّ مكان، الشرطة والصحافة والإنترنت، سَمِّ ما تشاء وستجدها به، أنت تعلم أنني لست وحيدة.

رمقها "**أمجد**" بنظرة غضب متعجبة من جرأتها، وقبل أن يتفوَّه بشيء، أشار له "**كامل**" بأن يصمت، زادت دهشته! التفتت نحو "**كامل**"...

– أنت ما زلت تريد تلك الملفَّات... جميعها! كلانا يعلم أن ملف العقود الخاص بالتلاعب بأراضي "**صادق**"، هو قطرة ببحر، أمَّا ما داخل الحاسوب فهو اليمُّ بأكمله.

هزَّ رأسه وهو يتبادل النظرات و"**أمجد**" الَّذي اكتشف أنه الأحمق وسط اللعبة، وأنه ما زال بمقعد الهواة، ليُعدِّل "**كامل**" من جلسته ويلتفت نحوها، وبابتسامته الباهتة...

– أي ملفَّات تلك؟! أنا لا أفهم عن أي شيء تتحدثين!

– تلك الملفَّات على الحاسوب الَّذي يُفتِّش عنه الجميع، الَّتي أراد "**العليمي**" دفع سبعة آلاف دولار ليراها، تلك الَّتي أرسلت "**سعد**" ليقتلني لأجلها، ألا تريد إخبار جروك الجديد إلى أي بحر قذر تمتد مياهها؟ أم أنه لم يصل إلى مستوى الاحتراف لديك بعد!

لتزداد هيئة "**أمجد**" ضيقًا، نظر نحو "**كامل**" ليجده لا يعيره بالًا، استندت إلى المكتب بكلتا يديها، وبنظرة كره اغتلت بها لـ"**كامل**"...

– على كلٍّ إن لم تكن تريد تلك الملفَّات، فأعلم كثيرين يريدونها وسيدفعون بها

أضعاف ما دفعه "**العليمي**"، كلانا يعلم أنها استحقَّت طريق الدم الَّذي حفرته لأجل الوصول إليها، بكلِّ ما تحويه من قاذورات لا تريد لأحدٍ أن يراها، فاستحقَّت قتل "**العليمي**" والفتاة و"**هنا**"! وما زال العدُّ مُستمرًّا.

- عن أي قتل تتحدث؟ وأي ملفَّات تلك؟

هتف بها "**أمجد**" الَّذي اكتشف أنه لا يدري شيئًا! أغضبه أكثر ثقتها من رد فعل "**كامل**" نحوها إلى هذا الحد! تجاهله كلاهما، وما زالت العيون غارقة بعضها ببعض، رفع "**كامل**" حاجبه بابتسامة ضائقة من جانبه...

- حسنًا... هذا يُؤكِّد أن الملفَّات لديكِ، وأنا أريدها.

- ولِمَ لا؟ لكن ماذا ستعطيني بالمقابل؟

تبسَّمت من جانبها، زادت بسمة "**كامل**" الباردة...

- حياتك... وحياة أصدقائك، أعتقد أنها صفقة عادلة.

أمالت رأسها بابتسامة ساخرة من جانبها وهي تنظر لـ"**أمجد**"...

- جميعكم لديكم ذات القدرة على الإقناع!

- إذًا أين هي؟

- من هي؟

سخرت بها، قطب "**كامل**" جبهته بضيق يعتليه، عاودت اعتدالها، وهي تنظر نحو "**أمجد**" الَّذي يحاول جمع الخيوط المتلاحقة أمامه...

- لا تغضب يا "**كامل**" بك... لكن صفقتك بها خطأ بسيط.

أمال رأسه بتعجُّب، نظرت نحوه وهي تعقد ساعديها بنبرة غاضبة...

- أنا أعطيك الملفَّات لتحتفظ أنت برأسك بموضعها! فأين منفعتي من ذلك؟ هل تعتقد أنني حمقاء؟

- ستكونين كذلك إن لم تعطيني تلك الملفَّات، فما دمتِ حللتِ الشيفرة فأنت تعلمين أن هناك أسماءً كثيرةً بهذا الملف ستودي بحياتك.

شردت للحظة، همَّت للوقوف خلف كرسيها...

– أخبرتك يجب أن تقلق بشأن حياتك أنت.

وضعت كلا ساعديها فوق ظهر الكرسي، تنظر نحو "**كامل**"، تحاول أن تُجاريه بما لا تعلمه! فحقيقةً ما زالت تجهل ما داخل الملفَّات! إلا أنها تريد أن تصل به لمكان آخر! وهذا طريق عبورها، لكنها متأكِّدة أن ما داخل الحاسوب شيء هام جدًا، كان سيدفع لأجله "**العليمي**" كلَّ تلك الأموال! شيء استحقَّ طريق الدم الَّذي حفره "**كامل**"، شيء لا يختلف كثيرًا عمَّا داخل العقود! فجميعها تحوي فسادهم، فجارته معتمدة على ما أخبرتها "**لُولا**" به عن تاريخه...

– أعتقد أنك ترى من الزاوية الخاطئة، دعني أُصحح لك... لنقل أنني لن أسحب القفير بأكمله، فلست غبية إلى هذا الحد، أعلم أنني لن أستطيع هزيمة الفريق بأكمله، أو مواجهة الدَّبابير دفعة واحدة، لكن لنقل أنني سأقتلع ملكة القفير كترضية كافية لي.

– ما الَّذي تهذين به؟

هتف بها وقد بدأ يخرج عن بروده، تبسَّمت من جانبها وهي تنقل النظر بين كليهما...

– لنقل أنني سأُظهر ما يدل على تورطك أنت فقط، وبالطبع لدي ما يكفي لك "**أمجد**" صديقي، بالحقيقة هي مسألة شخصية، فأنتما قتلتما أختي، وتُريدان قتلي لذلك سأحرص على تدمير كليكما، وهذا سيكفيني.

أنهت جملتها الأخيرة وعينها مُعلَّقة بعين "**كامل**"، ثُمَّ وقفت مواجهة له...

– دعنا نُفكِّر معًا بصوت عالٍ.. حين أُظهر من الملفَّات ما يربط تورطك بالكثير والكثير من قضايا الفساد، هل تعتقد حينها أن باقي أعضاء عصابتك، وشركاء الفساد سيدافعون عنك؟

زادت بسمتها الحانقة، هبَّ من خلف مكتبه وهو يتقدَّم نحوها...

– بالطبع لا؛ فجميعهم سيتخلون عنك، سيتركونك خلف ظهورهم، ستكون أنت قربانهم للخروج من تلك الأزمة العفنة.

– حمقاء... تعتقدين أنهم سيضحون بي! أنا لست قربانًا لأحد ولن أكون.

صرخ بها وهو يتقدَّم نحوها، زادت بسمتها الحانقة بعيون غاضبة...

– أنت مخطئ، أنت بالفعل أصبحت أُضحيتهم، فلتسل **"صادق"**، هو بالطبع لم يُخبرك ما أخبرني به عنك، أو حتى عن زيارتي له، بالحقيقة لقد كانت مُثمرة!

أمال رأسه بدهشة غمرته، فكيف لم يعلم بتلك الزيارة! فصرخ بها **"كامل"**...

– أنا الحجر القائم عليه كلُّ شيء، أنا من وصل بهم إلى القصور الَّتي يسكنونها، أنا من يُقدِّم القرابين، الجميع بيدي.

تقدَّمت خطوة نحوه، والحنق يزداد داخلها...

– في ديننا كي تصلح أضحيتك يجب أن تكون أفضل ما يكون، يجب أن تكون أغلاهم وأثمنهم، ستكون أنت كبش الفداء الَّذي سيُطهِّر أيديهم المُخضَّبة بالدماء، وأضحيتهم الَّتي يتغنون بها ويتهلَّلون بتقديمها للإعلان عن نزاهتهم الملوثة وطُهرهم الموبوء.

زادت حدَّتها، وزادت نيران الكره المتأججة بداخله لها، هبَّ **"أمجد"** واقفًا مُمسكًا بمُسدَّسه وهو يرى تلك النيران تمتد جسرًا بينهما، زاد غضبها...

– ستكون ولدهم الَّذي يضعونه تحت أقدامهم ليعلوا فوق الطوفان... أتعلم لماذا؟

صرخت بوجهه وقد أصبحا متقابلين يفرقهما خطوة...

– لأن جميعكم يمتلك نفس الرأس الشيطاني، ذات الوضاعة والخسَّة، تمتلكون ذات القاعدة، لمَ لا تضحي بالكثير ليصُبَّ بمصلحة القليل؟! فكما ضحيتم بالكثير من الأبرياء لتسكنوا القصور! فهم لكم ليسوا سوى رقم على اليسار لا قيمة له، فقد جاء الوقت كي يضحوا بك، فلقد انتهيت يا **"كامل"**، كلاكما.

صرخت بالأخيرة وهي تنظر نحو **"أمجد"**؛ فصرخ **"كامل"** بغضب غمره، وقد أخرج مُسدَّسًا من خلف سترته...

– سأقتلك بيدي.

انتفض **"أمجد"** بموقفه ومُسدَّسه بيده، تبسَّمت بحنق من جانب فمها، تراجعت خطوتين للخلف برويَّة، نزلت على ركبتيها أمام **"كامل"**، أمال **"أمجد"** رأسه تعجُّبًا من ردِّ فعلها! وبكلِّ كرهٍ ملأها هتفت به...

– احرص تلك المرَّة على ألَّا تخطئ يا **"كامل"** بك! لأنه حين تواتيني الفرصة... لن أُخطئ!

ظلَّت العيون غارقة بعضها ببعض، "**أمجد**" مُتمسِّك بأنفاسه، ومُمسك بمُسدَّسه لا يعلم لأي رأس يُوجِّهه! إلا أنه قبض عليه بقوة، وهو يترنح بيده بين كليهما! "**كامل**" مُطبق على مُسدَّسه، «كيف يترك تلك الحمقاء تقضي على كلِّ ما بناه! ليكون كلُّ ما اقترفته يداه ومن دهسهم تحت أقدامه، من تذلَّل لهم واشترى ودَّهم بما يمتلك ولا يمتلك حتى يصل إلى ما يريده، كلُّ ما فعله، بلا ثمن! لا يمكنه تركها تذهب ويذهب معها كلُّ ما سعى لبنائه سنوات تلو سنوات». هكذا صرخ شيطانه، اهتزَّت فُوَّهة مُسدَّسه الَّتي استقرَّت بجبهتها، ما زالت عينها ترمقه بتلك النظرة الكارهة، حين فُتح الباب فجأة!

اندفع "**شريف**"، و"**سمير**" ومن خلفهما العديد من رجال الشرطة، وهم يرفعون أسلحتهم نحو كليهما، طلب "**شريف**" إليهما أن يخفضا أسلحتهما، قبل أن يضطر لإطلاق النار عليهما، فغر "**كامل**" عينه وفمه من فرط ذهوله، ألقى بمُسدَّسه من يده، هتف "**أمجد**" وهو يُخفض مُسدَّسه...

- إنها قاتلة، لقد حاولت قتل "**كامل**" بك.

- لا يبدو لي أن "**كامل**" بك من برأسه المُسدَّس؟

سخر بها "**سمير**" وهو يسحب مُسدَّس "**أمجد**"، ويسحب كلتا يديه خلف ظهره ليكبله...

- إنها قاتلة، اقتحمت مكتبي، حاولت قتلي.

هتف بها "**كامل**" و"**شريف**" يضع كلتا يديه بالأصفاد، ما زال يصرخ و"**شهد**" تهمُّ واقفة...

- هل جننت؟ ألا تعلم من أنا؟ أنا "**كامل عمَّار**"، تلك القاتلة حاولت قتلي.

تبسَّمت من جانبها بنظرة انتصار! وهي تسحب من تحت سترتها ميكرفونًا صغيرًا! وتفكُّ عنها بعض الأسلاك المتصلة به، ليقف كلاهما دون حراك، هتف "**شريف**" وهو ينقل عينه بينهما...

- كلُّ شيء تمَّ تسجيله صوتًا وصورة، وبأمر من النائب العام، وليس هذا فقط بل كلُّ مقابلاتكما السَّابقة... فلدينا هنا الكثير يا "**كامل**" بك... لذا لِمَ لا يكفُّ كلاكما عن النباح؟!

ظلَّت ترمقهما بتلك النظرة المُنتصرة، راح يجري برأس **"شريف"** تلك المُقابلة بينهما منذ ساعتين مضتا، قابلته مع **"جلال"**، كان لديه الكثير من الرجال المتربصين من حولهما للقبض عليها، لكن ما لم يتوقعه أنها أتت لتسليم نفسها ومعها **"ريري"** وكافة العقود والملفَّات، في مُقابل أن يمنحها هذا اللقاء مع **"كامل"** كي يحصلوا على اعتراف ليس تحت التهديد ليكون إثباتًا ضده، وهذا كان لـ**"شريف"** كفرصة ماسية لم تكن لتأتيه مهما حلم، خاصَّةً أن كلَّ ما حصل عليه من تسجيلات لهما لا يدينهما بالقدر الكافي أو يربطهما بجرائم القتل، قام بالترتيب لكلِّ شيء... عاد **"شريف"** من شروده على صوت **"كامل"** وهو يصرخ بأنهم يرتكبون خطأً، أشار لـ**"سمير"** باقتياد كليهما للخارج، وسط ذهول كلِّ مَن كان حاضرًا بالشركة، والأهم وسط الكاميرات والصحفيين وعلى رأسهم **"جميلة"** و**"أحمد"**، وقفت **"شهد"** أمام **"شريف"** وهي تضع يديها أمامها ليُكبلها، فهتف...

– هل تعلمين أنكِ مجنونة؟! كان ليقتلك!

– كنت أعلم أنك لن تتأخر.

تبسَّم من جانبه، وهو يهزُّ رأسه...

– أنتِ من سلمت نفسك؛ لذا لا تحتاجين إلى أصفاد.

ثم أمسك بيدها فجأة وكبل يُمناها إلى يُسراه! فتعجَّبت، فهمس لها...

– لقد أعدت التفكير، فتلك الطريقة الوحيدة لأضمن أنك لن تهربي مني حتى أُغلق تلك القضية.

فضحكت، همَّ كلاهما للمغادرة، تساءل **"شريف"** باهتمام...

– من هي الفتاة؟

– أي فتاة؟

هزَّت بها كتفيها بعدم فهم، وهما يدلفان إلى المصعد...

– أنتِ قلتِ لـ**"كامل"** أنه قتل **"العليمي"** وأختك، والفتاة... أي فتاة؟

– لا أعلم.

رمقها بتلك النظرة غير المُصدِّقة، تبسَّمت ببراءة وهي تُمعن النظر به...

– أقسم لك لا أعرف، أنا فقط كنت أُجاريه... أو ربَّما أعرف ولا أذكر، من يهتم الآن؟ فلديك ما يضع كليهما فوق منصة الإعدام.

– وماذا عن الحاسوب؟ أنتِ لم تسلميني سوى العقود والتسجيلات، فأين هو؟

حكَّت مُؤخِّرة رأسها...

– استولى عليه **"سعد"**، فلم يعد بحوزتي.

– **"سعد"**!

كان عدم التصديق يعتليه، هزَّت رأسها...

– تلك اللَّيلة عندما حاول قتلي بالمقابر كان بحوزتي، وهو استولى عليه وهربت بحياتي بشق الأنفس.

– أين هو؟

– أخبرتك مع **"سعد"**.

– أقصد **"سعد"**، أين هو؟ فلقد فتَّشنا شقته الَّتي أخبرتِنا عنها، ووجدنا تسجيلات تجمعه بـ**"كامل"** و**"صلاح"** و**"رشدي"** وغيرهم كثيرين لكننا لم نجد له أثرًا!

أمالت رأسها بأنها لا تعلم، شخصت بعينها بالاتِّجاه الآخر تدخض أنفاسها المُضطربة، وصل المصعد إلى الدور الأرضي وغادروا جميعًا، وسط ذهول البعض، وراحة البعض، وقلق الآخرين!

مع إشراقة الصباح التالي، وأولى نسمات صباحه الهادئة، كان **"شريف"** ما زال يجلس إلى مكتبه، يستكمل باقي إجراءاته، فلم يُغادر أحد موقعه منذ اللَّيلة السَّابقة، كانت **"شهد"** تجلس إلى جانب مكتبه و**"ريري"** على الأريكة، و**"جلال"** إلى الجانب الآخر من مكتبه، فقد كان مُحامي كليهما، دخل **"سمير"** مُتعجِّل الخُطى ليخبره أن **"جميلة"** الصحفية بالخارج وتُصِرُّ على الدخول! رفض دخولها بالبداية ثُمَّ وافق على مضض، فيعلم سر حضورها! فصيد ثمين كهذا لصحفية مبتدئة يمثل فرصة ذهبية،

دلفت وهي تبتسم بوجه مشرق وتحمل بيدها جريدة مطويَّة، هتفت بحماس....

- كيف حالك يا "**شريف**" بك؟

- ليس الآن يا أستاذة "**جميلة**"، يمكنك الحصول على ما تريدينه حين ننتهي.

تبسَّمت من جانبها وهي تنظر نحو "**شهد**" وما زالت على نفس حماستها...

- لا بأس... فلا أعتقد أن لديك شيئًا لا أعلمه!

أمال رأسه بتعجُّب، استرسلت وما زالت تنظر نحو "**شهد**"...

- حقيقةً أنا هنا لشكرك على هديتك، وأعتقد أن هذا أقل تقدير نحوك.

قالتها وهي تضع الجريدة فوق المكتب، تبسَّمت "**شهد**" من جانبها، أمالت رأسها للأسفل تحية منها لها، نظر "**شريف**" نحو كلتيهما بعدم فهم! تبسَّمت "**جميلة**" بانتصار، وهي تُحرِّك الجريدة نحوه....

- يبدو أنك لم تقرأ الجريدة حتى الآن يا "**شريف**" بك!

لينظر بداخلها، فتقع عينه على العنوان الرئيسي - «براءة قاتلة "**العليمي**"، ومافيا سرقة أراضي الدولة خلف مقتل رجل السياحة المعروف». رمق "**شهد**" بتلك النظرة الحانقة، فتح الجريدة لتصطدم عينه داخلها بكافَّة تفاصيل الأوراق الموضوعة أمامه مصحوبة بصور لـ"**صادق**"، ومقابلات "**كامل**" بـ"**أمجد**" و"**سعد**"، ليرفع طرف عينه من خلف الجريدة، ويضعها فوق المكتب بضيق، نظر نحو "**شهد**" الَّتي قالت بهدوء...

- من حق الناس أن تعلم أين هي الحقيقة.

- كان يمكننا فعل هذا بعد انتهاء التحقيقات.

- لا فرق... قبل أو بعد... ما دُمنا بكلِّ الأحوال سنفعله.

قطبت حاجبها بنظرة فهمها "**شريف**"! الَّذي تبسَّم من جانبه بحنق، همَّ واقفًا، انحنى فوق المكتب نحوها...

- تلك هي إذًا... فالأمر لا يخصُّ أن يعلم الناس أو لا يعلمون! أنتِ فقط تخافين أن يتم التلاعب بالقضية، فلا تثقين بي، تعتقدين أنني سأغدر بكِ، فأردتِ نشر الوثائق علانية، وتحويلها لقضية رأي عام، قبل أن تصلي إلى المحكمة ثانيةً.

تبسَّمت من جانبها، وهي تبادله ذات النظرة الحانقة...

– إنها بالفعل قضية رأي عام! أوَليس هذا الرأي العام له الحق بأن يعلم من يسلبه حقه، ويغتصب ماله، من تزداد ملايينهم مليارات، ويسكنون بدلًا من الفلل القصور، من لم تعد تُرضيهم السيارات فامتلكوا الطائرات، والعامة لا يمتلكون قوت يومهم، فهم من يأكلون التراب والقمامة والذل قهرًا، ويسكنون الأرصفة والخرائب ويتدثرون بالعراء والبرد إجبارًا، حتى القبور سكنوها مُكرهين وهم أحياء، حتى صار الأموات أكثر منهم حياة، فقد أدْمَى الفقر والخوف وشدة الحاجة صدورهم، حتى أصواتهم وأدوها داخلهم خوفًا، كبَّلوها ودفنوها ودفنوا أنفسهم معها أشباه أحياء، وصدِّقني كان الدفن دون عزاء.

همَّت واقفة، استندت للمكتب بكلتا يديها، وما زالت أساريرها غاضبة....

– جعلونا جميعًا أموات، نسكن قبرًا جماعيًا، نعتقد خطأً أنها حياة! فقط لأنهم كتبوا ذلك بيافطة علَّقوها بدمائنا فوق باب الدخول، ونسوا أن يخبرونا أين باب الخروج! فعفوًا إن خشيت أن تتلاعبوا بالحقائق كما هو الحال دائمًا وأبدًا!

زادت حدَّتها، وكلاهما غارق بعين الآخر...

– لا تأخذها على محمل شخصي يا "**شريف**" بك، أنا فقط شخص دفع ثمن الثقة غاليًا، فلقد دفنتها مع أختي الَّتي لم تستطع أنت وعدلك حمايتها، وحقيقةً لا أكترث للمُحاكمة، فلم يعد يهمُّ أن تبرئوني أو تشنقوني، لكنني لن أتركهم يسلبوني حقي بالصراخ في وجه ظلمهم، كما سلبوني ذكرياتي وأختي، أعتقد أنهم يستحقون أن يسكنوا القبر الَّذي حفروه بأيديهم.

عاود "**شريف**" جلوسه وقد غرق بكلِّ ما قالته، فعاودت جلوسها، ظلَّا يتبادلان النظرات، سكن غضبه وحنقه منها – «فهي لم تخطئ بأي حرف قالته! فقد صار هذا واقعًا مُهلكًا إجباريًا، وإن تفرَّقت قسوته بين طبقات سُكَّانه، فسيظلُّ كفيلًا بجعلها تقُضُّ جدار الثقة بينهم وبين العالم دفعة واحدة». هكذا همس عقله، الَّذي حاول تخطِّي كلِّ هذا الأمر، اعتدل بجلسته ونظر إلى "**جميلة**"، الَّتي كانت غارقة بتلك الدقائق القليلة بينهما كما حال جميعهم بخاصَّة "**جلال**"، سألها المغادرة بهدوء، فأمالت رأسها وهمَّت مُغادرة.

تولى **"جلال"** الدفاع عنهما بذات القضية، انضم إليه بعض المحامين العاملين لصالح جمعيات حقوق الإنسان والحريات، وضعتا بحبس انفرادي تحت حراسة مُشدَّدة، طالب بها **"جلال"** لحماية موكلتيه، لم يأخذ إعادة النظر بالقضية الكثير من الوقت.

هناك بقاعة المحكمة وبذلك اليوم المشهود، كان جميعهم داخل القفص، بعضهم على بُعد خطوات من بعض! **"صادق"** يقف بجانب القفص، يبدو عليه الإعياء، **"شهد"** و**"كامل"** يقفان مُتقابلان، يتبادلان نظرات لم يفهم أي من الحضور مغزاها! لم يسكنها الكره أو الغضب! قدر ما سكنها ما هو أسوأ! سكنها التحدِّي والوعيد، الكثير منه، لم تفارق عينٌ الأخرى، لم تنسَ أنه من قتل أختها ودمر حياتها، ولم ينسَ أنها من هدَّت المعبد فوق رأسه! أمَّا لـ**"أمجد"** الَّذي كان يقف خلف كتف **"كامل"** فالوضع كان مختلفًا! فقد تمنَّى لو أطبق يديه على عنقها داخل القفص، أمَّا هي فلم يتخطَ الأمر نظرات الاحتقار له، فهي تراه لا يتخطَّى كونه تابعًا بكلِّ حالٍ من الأحوال، تمَّت تبرئة كلتيهما ممَّا هو منسوب إليهما من جرائم ثبت بالأدلة أنهما لم يرتكباها!

خرجت من قاعة المحكمة وسط هتافات بالانتصار للحرية والحق! وكلِّ ما هو مُستلب وضائع بهذه الحياة! لم تغمرها تلك السعادة الَّتي غمرت **"ريري"** لحظة النطق ببراءتها، ولا تلك الَّتي سكنت كلَّ ذرة بـ**"جلال"** لأجلها، أو فرحة **"لُولا"** الغامرة لأجل كلتيهما، أو سعادة **"نادين"** الَّتي لم تتوقَّف عن القفز والصياح بصرخات الفرح وهي تحتضن **"لُولا"** لحظة نُطق الحكم بالبراءة، ولا حتى تلك الَّتي اعتلت **"شريف"** و**"سمير"** اللَّذين تبادلا نظرات الارتياح والفرح، والَّتي احتفظ بها **"شريف"** داخله، على عكس **"سمير"** الَّذي ارتسمت على وجهه بوضوح، أو حتى **"رياض"** الَّذي ملأت بسمته جبينه لبراءتها، جميعهم كان حاضرًا داخل المحكمة، ربَّما شعرت ببعض الرضا، بعض من الهدوء والسكينة، إلا أنها لم تشعر بتلك الفرحة الغامرة الَّتي كانت تنتظرها! اقترب **"جلال"** من القفص وهو يهمس لها بابتسامة ملأت وجهه، وعشق سكن ضلوعه...

- أخبرتك أنني سأنول شهرة براءتك، دون أن أستحمَّ بالكيروسين.

لتتبسَّم من جانبها، حتى انفلتت عنها ضحكة سَعِدَ لها الكثير من العيون الفرحة من حولها، واغتل منها القليل بعيون حانقة!

تمَّ إيداع "**كامل**" و"**أمجد**" الحبس الاحتياطي لحين التحقيق بكافة القضايا المنسوبة لكليهما، من قتل وتحريض على القتل وسرقة أراضي الدولة واستغلال النفوذ، أمَّا "**صادق رضوان**" فقد تمَّ إيداعه مشفى السجن تحت حراسة مشدَّدة، بعد إصابته بأزمة قلبية.

كان "**أمجد**" غاضبًا بشدَّة يأكل الأرض ذهابًا وإيابًا، يهتف باسمها ليل نهار بحنق ملأه! صرخ كثيرًا بموتها على يده، فلقد كان استقباله بالسجن حافلًا بحق! خاصة بعد توصية من رؤسائه وزملائه الَّذين تلصَّص عليهم، فكان وضعه شاقًا منذ اللحظة الأولى، أمَّا "**كامل**" فكان يجلس هادئًا، بزاوية الزنزانة، يحتفظ ببروده المعهود، يبدو غارقًا بعالم آخر، حتى اعتدل بجلسته، أخرج هاتفًا صغيرًا من جيبه، لمحه "**أمجد**" فهبَّ نحوه مُسرعًا...

– كيف حصلت على هذا الهاتف؟!

رمقه بنظرة مبتسمة من جانبه، فهم "**أمجد**" مغزاها، أشار له بأن يتأكَّد أن لا أحد يسمع، راح يأكل أركان الزنزانة المتسعة بعينه، ضغط "**كامل**" رقمًا ما، لحظات من الانتظار الطويلة، حتى جاءه الصوت على الجانب الآخر... أحنى رأسه وهو يستند للجدار بكفِّه الآخر، خفض من صوته – «أنا "**كامل**"... أرجوك لا تغلق الخط... أنا أحتاجك كثيرًا... يجب أن تسمعني... أنا لا أُهدِّدك... كلَّا... فقط أخبرك أن الملفَّات الَّتي كان يحتويها الحاسوب لم يتم إدراجها بالأدلة... ربَّما هي كاذبة ولم تمتلك الحاسوب من البداية... كلُّ ما أنا به يمكنني الخروج منه بسهولة... تلك الملفَّات لا يجب أن تظهر... تأكَّد أنها لا تمتلكها... فبهذا هلاكنا جميعًا». انقطع الصوت الآخر، أطبق "**كامل**" يده بحنق حين أُغلق الخط بوجهه، عاود الاتصال بذات الرقم ليجده خارج نطاق التغطية! عاود مرَّة بعد أخرى وما زالت الإجابة واحدة، غير موجود! زاد ضيقه، ألقى بالهاتف من يده، التفت نحوه "**أمجد**" ليجده على تلك الحالة الغاضبة، اقترب منه ليشير إليه بأن يظلَّ بعيدًا! فوقف حيث هو، راح "**كامل**" يمسح عن جبهته بضيق غمره وهو يبتسم بحنق ضاق به، هتف بصوت تردَّد صداه داخله بكلِّ ذرةٍ بها قبل أن يتردَّد من حوله – «سأقتلها بيدي!»

❀❀❀

بعد مرور أسبوع من حصولهما على البراءة، قررت **"لُولا"** إقامة حفلة لأجلهما بذات الفندق الَّذي تعوَّد **"كامل"** قضاء وقته به! لتشفي الكثير من غليلٍ سكنها له ولكلِّ من على شاكلته، دعت الجميع إلى الحفل حتى **"شريف"** تلقَّى دعوته، وقبلها بروح رياضية.

بالمساء أُقيم الحفل، أشرفت **"لُولا"** على كلِّ شيء، حضرت مبكرًا قبل الجميع، تأكَّدت من أن كلَّ شيءٍ بأبهى صورة كما أرادت، كان **"رياض"** أوَّل الحاضرين، تبعته **"ريري"** برفقة **"جلال"**، الَّذي كان بكامل أناقته، الَّتي أبهرت **"لُولا"** وراحت تُشاكسه، طلبت إليه أن يُصرِّح لـ**"شهد"** بحبه في تلك اللَّيلة، فلن يكون أنسب منها لذلك، شجَّعه كلٌّ من **"رياض"** و**"ريري"** على اتخاذ تلك الخطوة، حضر **"شريف"** و**"سمير"**، جلس جميعهم يتجاذبون أطراف الحديث، وإلقاء النكات، ومُشاكسة **"جلال"** عن الزواج.

على الجانب الآخر، بمنزل **"نادين"**، كانت كلتاهما تقف أمام المرآة، تُلقيان النظرة الأخيرة على مظهرهما، ترمق كلٌّ واحدة الأخرى بنظرة مبتسمة، ارتدتا فستانين بذات اللون الأسود المختلط باللون الأزرق البرَّاق المختلفة في التصميم، ألمحت **"شهد"** بأنهما تأخرتا على الحفل، لتُشاكسها **"نادين"** بأنها ملكة الحفل، ودائما الملكات يصلن متأخرات، لتبتسم من جانبها، ظلَّت تُشاكسها بأنها وإن كانت الوصيفة، تظلُّ الوصيفة الأجمل على الإطلاق، وزادت مُشاكستها بأنها تتعجَّل الذهاب لأجل **"جلال"**، بالنهاية غادرتا المنزل.

دلفتا إلى السيارة وقد قاربت الساعة على التاسعة مساءً، زاد ضيق **"شهد"** لأنهما تأخرتا كثيرًا، اتَّصلت بها **"لُولا"** فأخبرتها أنهما بالطريق، أغلقت الهاتف حين تساءلت **"نادين"** باهتمام فاجأها....

– لماذا أخبرتِ **"شريف"** بأن **"سعد"** استولى على الحاسوب؟

صمتت قليلًا وهي تنظر أمامها، استحثتها **"نادين"** على الإجابة...

– إن أخبرتك أنني لا أعرف فهل ستصدقينني؟

– بالطبع، لكن لا أفهم لِمَ تحتفظين به؟

– لا أعلم... أنا فقط... ربَّما كلُّ ما في الأمر أنني لم أبدأ بالتعوُّد على إخبار **"شريف"** بك كلَّ شيءٍ دفعة واحدة، فربَّما أرسله له كهدية جديدة.

انفجرت **"نادين"** بالضحك وهي تهزُّ رأسها، وتتذكَّر كلَّ ما فعلوه بـ**"شريف"** في

الفترة الماضية، تمالكت **"شهد"** نفسها من الضحك على طريقة **"نادين"**...

- سأخبره اليوم بأنني ما زلت أحتفظ به وسأسلِّمه إياه.

- هذا سيكون أفضل، هم سيفتحونه، ولا تنسي أن تُعطيه الهاتف أيضًا.

راحت تحاول التوقُّف عن الضحك، فتساءلت **"شهد"**...

- أي هاتف؟

- ذلك الَّذي وجدناه بالخزينة مع الحاسوب.

- أتعلمين؟ لقد نسيته تمامًا... أوَليس ذلك هاتفي؟

لتقطب **"نادين"** حاجبها بعدم اهتمام...

- كلَّا، هذا ليس هاتفك.

- إذًا، لمن هو؟

- ربَّما لـ**"العليمي"**، أو **"صادق"**.

لتشرد للحظة! حين استعادتها **"نادين"** وهي تُمسك يدها بفرح...

- أنا حقًا سعيدة جدًا أن الأمر انقضى على خير، فلا أعاد الله تلك الأيام المخيفة، أخبرني الدكتور **"رياض"** بأنك في تحسُّن كبير، وربَّما تعود إليكِ الكثير من ذكرياتك.

تبسَّمت من جانبها، وهي تُطبق يدها على يد **"نادين"**، وبابتسامة صافية ونبرة حنونة...

- ما كان ليحدث كلُّ هذا دونك صديقتي، ما كنت لأصل لتلك البراءة لولا أنك كنتِ إلى جواري يا **"نادين"**، أنتِ كلُّ ما تبقَّى لي في هذه الحياة.

صمتت كثيرًا حتى تلألأت دمعة بعينها حبستها...

- حمقاء... أنتِ أختي يا **"شهد"**، وليس لي أحد سواك.

سحبت يدها وهمَّت بفعل شيء ما! لتهتف **"نادين"** بتعجُّب...

- ما هذا؟

هناك وبداخل الحفل والجميع ما زال سعيدًا، يغمرهم الفرح والكثير من التفاؤل والارتياح للقادم، خاصَّةً بعد تأكيد كلٍّ من "**جلال**" و"**شريف**" على أنهم لن يغادروا السجن إلا بعد عمر آخر، على كلِّ تلك الجرائم الموجهة إليهم، مر الكثير والكثير من الوقت ولم تحضر ملكة الحفل ولا الوصيفة الجميلة! بدأ القلق يعتلي الجميع، عاودت "**لُولا**" الاتصال لكن تلك المرَّة ما من مُجيب!

تراجعت السعادة على الوجوه شيئًا فشيئًا ليسكن القلق مكانها، بدأ الجميع بالنظر في ساعاتهم، تخطَّت الحادية عشرة وما من شيء! تعلَّقت العيون بالباب، ما من وجه يألفونه! بدأ كلٌّ منهم يمسك بهاتفه، القلق يعتصر الجميع، لحظات وهمَّ "**سمير**" الَّذي كان يقف بعيدًا يتحدث بهاتفه مُسرعًا نحوهم، هتف بضيق اعتلاه...

– هناك إشارة وصلت إلى مديرية الأمن عن سيارة لها مواصفات سيارة "**نادين**"، تعرَّضت لحادث! وتم نقل من كانوا بها إلى المشفى.

توقَّفت النبضات، تباعدت الأنفاس، راح الجميع يركضون بعضهم خلف بعض، كان "**جلال**" يقود السيارة بحالة من اللاوعي، بسرعة جنونية لم تعترض "**لُولا**" أو "**ريري**" عليها، كانت دموعهما صوتهما الوحيد، وصلوا جميعًا إلى المشفى بحالة من الذعر والخوف، تسكن صدورهم وتعتلي وجوههم، أخبروا "**شريف**" بالاستقبال أن هناك فتاتين وصلتا في حالة حرجة في حادث سيارة، كلتيهما بغرفة العمليات بالدور الثالث، راحوا يركضون فوق السُّلَّم الَّذي يأبى الانتهاء، وصل "**جلال**" ومن خلفه "**لُولا**" ومن خلفها "**رياض**" تستند إليه "**ريري**" الَّتي تكاد تسقط من شدَّة الصدمة، تبعهم "**شريف**".

وصلوا جميعًا حيث غرفة العمليات، وقفوا أمامها مُترقِّبين، يلهثون أنفاس الخوف والجزع، وقف "**جلال**" أمام الباب المؤدِّي لغرفة العمليات لا يتحدث، فقط يده مُعلَّقة بالباب، أو ربَّما هي تحاول التعلُّق بمن ترقد خلفه! جلست "**ريري**" وإلى جوارها "**لُولا**" تحتضنها، ظلَّ "**رياض**" يحاول معرفة شيء دون جدوى، لم يخبره أحد شيئًا قد يساعدهم، أمَّا "**شريف**" فكان يأكل الرَّدهة بخطواته، يمسك بهاتفه، يحاول الاتصال بـ"**سمير**" الَّذي غادرهم إلى موقع الحادث لمعرفة أي شيء عمَّا حدث!

مرَّت ساعتان دون أي مؤشر على أي شيء قد يريح القلوب، أو يُهدِّئ الذعر الَّذي راح يستبد ويستشري بين صدورهم، جاء "**سمير**" مُسرع الخطى، وقف بمواجهة "**شريف**"

وهو يلهث، هتف "**شريف**" بضيق مُتعجِّل...

- كلُّ هذا الوقت؟ أخبرني ما الَّذي حدث؟

- لقد... لقد انفجرت السيارة.

تلعثم بها، تصلَّبت العيون بمحاجرها، سكنت الأنفاس والأصوات ولم يتفوَّه أحد بشيء، حين تلعثم "**شريف**" وهو يحاول تجاوز دهشته...

- ما الذي... ما الَّذي تقوله؟

- لقد انفجرت السيارة، كلُّ ما لدي حتى الآن أنهم وجدوا داخل حقيبة السيارة بقايا قنبلة صغيرة يدوية مُعدَّة للتفجير عن بعد، تمَّ تفجيرها عن طريق هاتف خلوي، هذا كلُّ ما لديهم.

هز رأسه بيأس، جلس "**جلال**" إلى الكرسي خلفه دون قول شيء، تبعه "**رياض**" بالجلوس وهو يضع يده على فمه بعدم تصديق، شهقت "**لُولا**" أنفاسها بذعر، و"**ريري**" تدفن رأسها بصدرها، ظلَّ "**شريف**" على سكونه، حين فُتح باب غرفة العمليات! ليخرج طبيبان لم تُبشِّر النظرات على وجهيهما بالكثير، ومن خلفهما ظهرت مُمرِّضة، همَّ الجميع من مجلسه، تقدَّم "**رياض**" نحوهما ليُعرِّفهما بشخصه كطبيب، ويتساءل عن حالتهما، تبادل الطبيبان نظرات الحزن، قال أحدهما وهو ينقل عينه بين "**رياض**" والآخرين من خلفه، ويهزُّ رأسه بنظرة حزن...

- كلتاهما تعرضت لإصابات بالغة إثر الحادث، لكن...

- ماذا؟

هتف بها "**جلال**" بلهفة مذعورة، ليُجيب أحدهما...

- لنقل إن مُجرَّد وجودهما على قيد الحياة، وتنفُّسهما هو معجزة بحدِّ ذاته.

- ما هي حالتهما بالضبط؟

كان هذا صوت "**رياض**" وما زال الخوف يسكن حروفه، فأجابه ذات الطبيب...

- إحداهما حالتها سيئة للغاية، لقد فعلنا كلَّ ما يمكننا لإنقاذها، لكن لا أعتقد أنها ستنجو.

أجهشت "**لُولا**" و"**ريري**" بالبكاء، تصنَّم "**جلال**" بموضعه، لا يكاد يستطيع حمل جسده، عاود "**رياض**" التساؤل بتردُّد قلق اعتلاه...

- والأخرى؟

تبادل الطبيبان النظرات، عدَّل الآخر من وضع نظَّارته الطبية، تقدَّم خطوة نحو "**رياض**"...

- إن وضعها أسوأ، ربَّما لن تصمد للصباح، لكن هذا من الناحية الطبيَّة، تلك المقدَّرات بيد الله عز وجل، وحده من يمتلك زمام أرواحنا، وروحهما بين يديه الآن، فادعوا لهما.

تثاقلت الأنفاس، كادت "**ريري**" تقع أرضًا وقد بدأت بالصراخ المكتوم، "**لُولا**" تحاول كبح دموعها المنهمرة، ليتبادل بقيتهم نظرات ألجمت ألسنتهم، لم يستطع أحدهم السؤال الَّذي قفز بصدر الجميع دفعة واحدة! ليتقدَّم "**سمير**" وهو يتساءل بصوت متلعثم بما سكن الصدور...

- أيهما حالتها أسوأ؟

نظر الطبيبان بعضهما لبعض، وهما لا يجدان إجابة! تقدَّمت المُمرِّضة من خلف الطبيب خطوتين للأمام، فكَّت راحة يدها، لتتدلى منها القلادة! توقَّفت الأنفاس وتعلَّقت بها العيون، ولم يجرؤ أي منهم السؤال - «أهي لمن تُصارع للحياة؟ أم من تُصارع الموت؟» حين قال الطبيب...

- من كانت ترتدي القلادة... ربَّما لن تصمد للصباح... أنا آسف جدًا فحالتها الأسوأ.

- شـ... شهـ...

لم تُكملها "**ريري**" وسقطت أرضًا مغشيًا عليها، توقَّفت نبضات "**جلال**"، فخرَّ أرضًا وهو يستند للحائط من خلفه، وضع رأسه بين يديه يحاول التشبُّث بأنفاسه، الَّتي تكاد تغادره ذُعرًا، فقد بات على بُعد خطوة من فقدها، أمَّا "**لُولا**" فقد راحت تشهق أنفاس دموعها دون توقُّف والخوف يملأ صدرها قبل صوتها، هبَّ "**سمير**" لمساعدة "**ريري**" هو والطبيب، أمَّا "**شريف**" فتصنَّم لحظات بمكانه وعينه شاخصة بما خلف زجاج غرفة العمليات! كلُّ ما به مصدوم من هول المفاجأة! لا يكاد يُصدِّق أنه لم يتوقَّع حدوث هذا!

كيف اعتقد أن العدل تحقَّق وسيعمٌّ بعدها السلامُ الكونَ للأبد! لم يتحرَّك **"رياض"** من مكانه فلم تقل صدمته عن غيره، ظلَّ على موقفه كثيرًا لا يستطيع التفكير، كلُّ ما سكنه تلك اللحظة هو الأمل في الله بأن يُعيدهما، الرجاء بأن تتشبَّثا بالحياة أكثر، أن تثبت **"شهد"** على عنادها وقوتها كما كان يراها دومًا؛ رن هاتف **"شريف"** ليتراجع للخلف بخطوات ما زالت الدَّهشة تسيطر عليها، هبَّ **"جلال"** منتفضًا من الأرض، وقد أغرقت الدموع وجهه، وقف **"رياض"** أمامه، أمسك بذراعه...

- هو من فعلها، وسوف أقتله.

- اهدأ يا **"جلال"**... عن من تتحدث؟

- **"كامل"** هو من فعلها.

هتف **"سمير"**...

- بالتأكيد هو **"سعد"**... هو من فعلها بأوامر من **"كامل"**؛ فنحن لم نجد له أثرًا حتى الآن!

وقف عقل **"جلال"** بموضعه، فهو خير من يعلم أين يقبع **"سعد"**! عاد **"شريف"** وقطب حاجبه بضيق، صرخ **"جلال"** بوجهه...

- هم من فعلوها، ليس هناك من يريد موتها غير **"كامل"** و**"أمجد"**.

راح **"شريف"** يهزُّ رأسه نفيًا بضيق سكنه! ليستفزَّ نفيه **"جلال"** أكثر، عاود صراخه بعنف أكبر وما زال **"رياض"** يمسكه من ذراعه، و**"شريف"** يهزُّ رأسه نفيًا بذات النظرة الحانقة...

- ما من غيرهما؛ فكلاهما أراد قتلها ألف مرَّة، وأنت أكثر من يعلم هذا.

تقدَّم خطوة وبغضب وحنق اغتل به صرخ بـ**"جلال"** بما أسكت الجميع...

- كلاهما وُجد مقتولًا في زنزانته منذ ساعتين! تقريبًا بذات التوقيت الَّذي انفجرت به السيارة، **"صادق"** أيضًا توقَّف قلبه بالمشفى بنفس التوقيت! صديق لي بالسجن أبلغني الخبر الآن، ثلاثتهم موتى.

ألقى بتلك القنبلة الَّتي دوت وسط الجميع، طرحتهم جميعًا صمتًا وذهولًا، والأسوأ ذعرًا، وسط دوَّامات الأفكار، قال **"سمير"** بصوت ما زال مصدومًا...

- تلك الدائرة أكبر بكثير ممَّا توقَّعنا، ولها أذرع ممتدَّة بكلِّ مكان.

- هذا هو فساد الكبار كما السيل الجارف.

قالها "**رياض**" ليعمَّ بعدها الهدوء، اتَّخذ كلٌّ منهم مجلسه، بسكون يصرخ بداخله ويُزلزله، وعيون تعلَّقت بالسماء، وقلوب تقف على باب اللّه ترجو نجاتهما!

***

الحادي عشر

حقيقة ودماء

مرَّت ثلاثة أيام على الحادث، كلُّ شيء بدا هادئًا، ساكنًا بموضعه لا يجرؤ على المُضي قُدما، كجبل راسخ حيث يوم خلقه اللَّه، وُضعتا بغرفة العناية المُركَّزة بسريرين متجاورين! لم تمُت "**شهد**" كما توقَّع الأطباء، فالأمل باللّه أقوى! لكن حالتها كانت سيئة، ظلَّت تترنَّح على خيط الموت بقوة؛ أمَّا "**نادين**" فلم تكن حالتها بالأفضل، لم تعد أيهما من غيبوبتها، الَّتي ليس من المتوقَّع أن تعود منها! كما أصرَّ أن يُلمِّح إلى ذلك الأطبَّاء، فقد كانت إصاباتهما بالغة، جسداهما بالكامل تعرضا لكسور ورضوض في أماكن مُتفرِّقة، غير تلك الحروق الَّتي ألمت بكلتيهما بأماكن عدة إثر الانفجار، أثَّرت بهما بشكلٍ كبير، اضطروا لإجراء ثلاث عمليات جراحيَّة لمحاولة إبقائهما أحياء، تضرَّرت أعضاءً كثيرة في جسديهما إلى حد بات الجميع عنده فاقدًا الأمل في عودة أيهما إلى الحياة!

للآخرين كانت صدمة ما حدث فوق احتمال استيعابهم، "**لُولا**" و"**ريري**" لم تكفَّا عن البكاء، سكن الحزن صدريهما قبل وجهيهما، أمَّا "**جلال**" فقد توقَّفت الحياة بداخله، ربَّما كان يعلم أنه أحبها، لكنه لم يكن يعلم أنه يعشقها إلى هذا الحد! لقد باتت نبضاته كسهم مسنون غُرز بين ضلوعه خوفًا من فراق يقف ببابها؛ ما لم يكن مُتوقَّعًا أن يحزن لأجلها "**شريف**" وإن حاول دحض هذا الشعور، إلا أنه غلبه! وغلبه أكثر إحساسه بالذنب! وما زاد من حنقه وغضبه أنهم لم يتوصَّلوا لشيء يخصُّ القنبلة، كلُّ شيءٍ كان نظيفًا!

بحلول فجر اليوم العاشر، وعلى غير المتوقَّع وبداخل غرفة العناية المُركَّزة! بسرير "**نادين**" تحديدًا، عادت تنتفض أناملها، تحاول فتح عينيها، بعد صراع مرير مع جفنيها فتحتهما، ليستقبلها حاجز أبيض مُلاصق لعينها بدا كغشاوة، اعتقدت للحظة أنها محبوسة داخل كفن أبيض! تلاحقت أنفاسها المذعورة، تحاول أن تحرِّك أي ذرة

بجسدها دون جدوى! راحت الأجهزة المتصلة بجسدها تومض! لتُعلن عن عودتها من عالم اللاحياة واللاموت، بدأت الأجهزة الطبية تصدر أصوات صفير، ازدادت الحركة حولها بالغرفة، حاولت التَّحرُّك فلم تستطع، شعرت بيد تربت على يدها وصوت يحادثها بهدوء...

– اهدئي يا "**نادين**"، أنتِ الآن بالمشفى فقد تعرَّضتِ لحادث، وتمَّ نقلك إلى هنا، إصابتك كانت بالغة، واضطررنا لإجراء بضع عمليَّات جراحيَّة لكِ.

حاولت التكلُّم فلم تستطع، ضغط الطبيب على كفِّها...

– اهدئي... بالوقت الحالي لن تستطيعي الكلام، فلقد تضرَّر عنقك من الحادث، وأجرينا به عمليَّة، فلا تحاولي التحدث لأن هذا سيضر بك كثيرًا، بضعة أيام وكلُّ شيء سيكون بخير.

أمسكت بالفراش وهي تقبض عليه بقوة، الكلام يملأ فمها ولا تستطيع إخراجه، أرادت السؤال عنها ولم تستطع، كلُّ ما استطاعته أن حاولت الإشارة نحو وجهها، ليقول الطبيب بصوت رصين حاول بثَّ الطمأنينة إليها...

– لنقل أنه ليس عنقك فقط ما تضرَّر... ربَّما أنتِ لن تشعري بالكثير من أعضائك الآن، "**نادين**" استمعي لي جيدًا... أنتِ فتاة محظوظة كثيرًا فربك يحبك، لأنكِ ما زلتِ على قيد الحياة، أن تنجي من انفجار كهذا، شيء لم يكن به ذرة أمل، لكن اللّٰه عز وجل كتب لكِ الحياة ثانيةً، لنشكره على ما وهبنا، وكلُّ ما تضرَّر يمكننا إصلاحه بمشيئة اللّٰه، فقط تمسَّكي بالأمل في اللّٰه.

راحت تُحرِّك رأسها على الوسادة بضيق، لم يأتِ على ذكرها! هل هي على قيد الحياة؟ هل فارقتها؟ لا تعلم ولا تستطيع السؤال ممَّا زاد غضبها، راحت تعتصر براحتها الفراش من تحتها، صوت تحشرج مكتوم ملأ فمها تحت الشاش الأبيض، بدت على شفا الصراخ، أعطوها حقنة مُهدئة فغفت رُغمًا عنها، مرت بضع ساعات استقرَّت بها حالتها الجسديَّة، نُقلت إلى غرفة أخرى.

باليوم التالي كانت تجلس "**لُولا**" و"**ريري**" إلى جوارها و"**جلال**" هو الآخر، كان ثلاثتهم يجلسون داخل الغرفة على قرب منها، بدت نائمة داخل كلِّ ذلك الشاش الأبيض الَّذي يُغلِّفها، طلبت "**لُولا**" إليهما عدم الحديث أمامها عن حالة "**شهد**" السيئة، وأنها تصارع الموت الَّذي راح يحوِّطها بكلتا ذراعيه، ربَّما الصدمة تقتلها وهي بكلِّ الأحوال

تقف على خيط الموت فليست بعيدة عنه! أكَّدت عليهما الاحتفاظ بسر قُربها من الموت بعيدًا! غير أنه لم يعد سرًا فقد كانت بالفعل مستيقظة، استمعت لكلِّ حرف قيل، راحت تصرخ وتصرخ ولا أحد يسمع! كلُّ ما بها ينتفض ولا أحد يشعر، بلَّلت بحورُ دمعها الرباطَ فوق وجهها، راح كفَّاها يعتصران الفراش، اشتعل بها جحيم لم يسكنه غيرها، بعد أن فاضت روحها بالألم، توقَّفت فجأة عن البكاء والصراخ والانتفاض وسكنت! سكنت دون أنفاس، دون نبضة، سكن عينها شيء واحد فقط! تلك اللحظة الَّتي أمسكت أيديهما بعضها ببعض، تلك البسمة الصافية الَّتي سكنت وجهيهما لحظتها، هذا آخر ما وعته قبل انفجار السيارة، وآخر ما أغلقت عليه عينها وهي تنسلُّ إلى نوم عميق! شخصت روحها في فراغها وغابت عن الوعي!

مرَّ يومان وما زالت تغطُّ بنومها، أفاقت بصباح اليوم الثالث، وعلى إشراقة أوَّل شمس تدخل الغرفة، تحرَّكت أناملها لتوقظ "**لُولا**" الَّتي كانت تنام مُمسكة بيدها، انتفضت والفرحة تغمرها، همست بصوت مسموع...

- "**نادين**" حبيبتي هل أفقتِ، هل استيقظتِ يا صغيرتي؟

حاولت قول شيء! فلم تستطع، دلف الطبيب مسرعًا، اطمئن إلى أجهزتها الحيويَّة، طلب إليها الإشارة بيدها لتتواصل معهم ففعلت، عمَّ السرور والارتياح الجميع لعودتها إلى الحياة، ولد داخلهم الأمل في عودة "**شهد**"؛ حمدوا الله على كلِّ ما كتبه، سألوها عن الحادث ولم تُجب بشيء، فما من شيء تعلمه حتى تُجيب به! اتَّفقت "**لُولا**" مع الطبيب على سفرها لإتمام علاجها بالخارج حالما تستقر حالتها وتسمح بذلك.

مرَّ أسبوع وما زالت لا تتحدَّث ووجهها لا يُكشف إلا لتغيير ضمادتها فقط، أمَّا "**شهد**" فظلَّت كما هي لا مُؤشِّر على الحياة أو الموت! فقد استقرَّت حالتها على هذا الوضع، لكن ما زال الأمل يعتلي الجميع، خاصَّةً "**جلال**" الَّذي لم يُفارق باب غرفة العناية المُركَّزة، ولم تفارق هي كلَّ ذرة داخله! حين استطاعت "**نادين**" الحركة أصرَّت على رؤيتها رغم محاولات منعها، خاصَّةً أنها لن تستطيع أن ترى وجهها فهي الأخرى مُغلَّفة داخل الشاش الأبيض بسبب حروقها، إلا أنهم تركوها تدخل إليها ربَّما يرفع هذا عنها وطأة الألم!

دلفت إلى غرفة العناية المُركَّزة على كرسي مُتحرِّك كانت تدفعه إحدى المُمرِّضات؛ فهي ما زالت لا تستطيع الحركة، فقد وضعوا شريحتين بيدها اليمنى ممَّا سيُقلِّل من حركتها، وهناك كسر مُضاعف بقدمها اليسرى قد يترك أثرًا في قدمها، غير تلك

الرضوض والكسور الأخرى بجسدها والَّتي لم تُشفَ بعد، أمَّا كسور روحها فانقضى كلُّ أملٍ في شفائها!

اقتربت من السرير، تحسَّست بيدها جسد "**شهد**" الممدَّد داخل الشاش، ربَّما هي الأخرى لا تستطيع رؤيتها، لكن يكفيها أن تشعر بوجودها! أطبقت "**نادين**" راحتها على راحة "**شهد**" بقوة، وألف صرخة دوت داخلها، وآخر لحظاتهما معًا لا تفارقها! ظلَّت على ذلك دقائق طويلة، تجلس ساكنة على عكس فوضى الصراخ والألم داخلها، جاءت المُمرِّضة لتدفع كرسيها للخارج، ظلَّت ممسكة بيد "**شهد**" وشيء واحد رسخ داخلها تلك اللحظة أنها فقدت كلَّ شيء، الآن هي أصبحت ميتة وإن كانت ما زالت تتنفَّس!

وضع "**شريف**" حراسة مُكثَّفة على كلتيهما، خاصَّةً بعد اقتحام منزل "**نادين**"، ومنزل آخر يخصُّ "**لُولا**" غير هذا الَّذي كانوا يختبؤون به! هذا أعاد اللعبة بأكملها إلى نقطة البداية! فلمَ تمَّ اقتحامهما عقب الحادث؟ وما الَّذي كانوا يريدونه تحديدًا؟ ولم يستطع "**شريف**" أن يُصدِّق بأنهما حادثتا سرقة عاديَّة، كما تمَّ إدراجهما بالمحاضر! ظلَّ "**شريف**" ينتظر ظهور "**سعد**"، الَّذي لن يظهر!

❧❧❧

بعد مرور شهرين هدأ كلُّ شيء، تحسَّنت حالة "**شهد**" قليلًا، ليس بالقدر الكافي لاستبعاد الموت من طريقها، لكنه كان كافيًا لبثِّ الأمل من جديد في النفوس.

أمَّا لـ"**نادين**" فمع علاجها المكثَّف بدأت تتحرَّك بشكل أفضل، أخبروها باستقرار حالة "**شهد**"، هزَّت رأسها، انكمشت داخل سريرها، غطَّت بنومٍ عميق!

زارهما "**شريف**" مرَّتين، بالمرَّتين لم يكن لديه شيء عن الحادث الَّذي قُيِّد ضد مجهول! كما القضية الَّتي أُغلقت كافة أوراقها بموت ثلاثتهم كأنها لم تكن! ولم يعد أحد يُبالي!

بعد أسبوع آخر قرَّر الطبيب نزع الشاش عن وجه "**نادين**"، كانت لحظات صعبة على الجميع، حين فضَّ آخر طرف للشاش عن وجهها، كان لا يزال مُتضرِّرًا، نظرت بالمرآة وشردت بسكون أغرقها، قال الطبيب وهو يسحب المرآة من يدها بصوت واثق ويربت على كتفها...

– حين قمنا بتلك العمليَّات، لم نكن نُفتِّش عن جمالك، فقط أن نستطيع حصر

الضرر وإنقاذ حياتك بأي طريقة، الآن يمكننا إجراء عمليَّة تجميليَّة، لتعودي كما كنتِ.

ظلَّت ساكنة، انسلَّت من عينها دمعة على وجنتها، فشاكسها الطبيب...

- أعطيني صورة لإحدى جميلات هوليود ولن يفرقوا بينكما.

رفعت طرف عينها نحوه، فقال...

- أنتِ على قيد الحياة... أي شيء آخر يمكننا تدبُّره. أعدك أن أصلح كلَّ هذا وتعودين كما كنتِ.

أمالت رأسها تفهُّمًا بسكون، وبداخلها ألف صوت يصرخ - «عن أي عودة يتحدَّث!»

لم يمر الكثير حتى أصبحت أفضل، بعد إجرائها عمليَّة تجميليَّة أوَّليَّة، عدَّلت كثيرًا من شكل وجهها، وستجري غيرها بعد فترة، كما لصوتها الَّذي ثقل واختلَّت نبرته.

دلفت إلى العناية المُركَّزة، تلك المرَّة كانت تقف على قدمها، ربَّما تستند إلى الحائط إلا أنها تقف، جلست قُرب سريرها، ما زالت **"شهد"** على وضعها وما زال وجهها مُغطى، تلك المرَّة لم تبكِ **"نادين"** ولم تصرخ، بل سكنها هدوء شديد داخلها وخارجها، أطبقت يدها على يد **"شهد"**، اقتربت منها، قبَّلت رأسها ووجنتيها، انسلَّت دمعة على وجهها، سقطت على جبين **"شهد"**، اعتلتها نظرة ضيق فارغة! صرخ بعقلها شيء واحد! ألجمته داخلها وغادرت الغرفة.

أصرَّت على مُغادرة المشفى بذات اليوم! رفض **"شريف"** مغادرتها خوفًا عليها فما زال **"سعد"** طليقًا! وأصرَّت هي بعدما أخبرته أنهم وصلوا إلى ما يريدون! فهي خير من يعرف أن **"سعد"** لا ينتظرها! فتركها تُغادر إلى منزل **"لُولا"** السرّيّ وتستقر به حتى تستطيع الوقوف ثانية على قدميها، ورافقتها **"ريري"**.

في المساء، بمنزل **"لُولا"** سكنت **"نادين"** ذات الغرفة الَّتي سكنتها **"شهد"**، جلست بذات السرير، كانت تجلس إلى حافة الفراش، شاردة بكلِّ ما حولها، فقد مر أربعة أشهر منذ آخر مرَّة كانت تقف هنا وبذات الغرفة! وضعت رأسها بين يديها، غرقت بآخر لحظات جمعتهما داخل السيارة، فتأبى مُغادرتها! لتقطع **"ريري"** شرودها، وهي تتقدَّم داخل الغرفة...

– هل تشعرين بتحسُّن الآن؟

أمالت رأسها إيجابًا، تقدَّمت خطوة وهي تشعر بما يسكنها، جلست إلى حافة الفراش...

– أعلم ما تشعرين به، ربَّما لن يساوي حزن أي منَّا حزنك عليها، جمعتكما سنوات طوال، أعلم أنكِ لا تحتملين رؤيتها هكذا، لكن لقدً استقرت حالتها الآن وسيُعيدها الله إلينا، كما أعادكِ؛ فكلتاكما لم تكن أفضل حالًا من الأخرى.

ظلَّت على صمتها، وصوت آخر يصرخ داخلها! اتَّجهت **"ريري"** نحو خزانة الملابس، فتحتها، سحبت شيئًا من داخلها! أمسكت بيد **"نادين"** ووضعته براحتها...

– أعتقد أنكِ الأحق بها من بيننا جميعًا، احتفظي بها حتى تعود **"شهد"**، وتُعطيها إياها بنفسك، أنَا واثقة من عودتها؛ فالله لم يتركها سابقًا ولن يتركها الآن.

تركت القلادة بيدها وغادرت الغرفة وأغلقتها خلفها، أطبقت **"نادين"** يدها على القلادة بحنق سكنها، راحت تجهش بالبكاء والصراخ داخلها يزداد، فلا يقوى صوتها المريض على الصراخ لكن داخلها لم يتوقَّف عنه، حين توقَّف بكاؤها فجأة! ما زالت الدموع تنساب على جبينها، توقَّفت عينها بباب خزانة الملابس الَّذي ظلَّ مواربًا! توقَّفت معه كلُّ صرخاتها وكلُّ الفوضى داخلها، عُلِّقت عينها الباكية بتلك الَّتي ترقد داخله! همَّت واقفة عن السرير، راحت تجرُّ قدمها اليسرى بثقل، تستند بيدها اليسرى إلى الجدار تستند عليه، تمسح بيدها اليمنى المتثاقلة عن وجهها الدموع، حتى وصلت الخزانة، انحنت، أمسكت بالحقيبة! الَّتي ما زالت تقبع هناك تحت الملابس، أخرجتها، تقدَّمت نحو المكتب ووضعتها فوقه، وصوت اجتاحها بقوة – «هذا ما كانوا يُفتِّشون عنه!» أخرجت الحاسوب، اصطدمت يدها بالهاتف! أخرجته وهي تنظر نحو كليهما، لقد غادرا عقلها وسط كلِّ تلك الفوضى الماضية، أمسكت الهاتف، حاولت فتحه دون جدوى، عطُبت بطاريته، تذكَّرت القلادة بيدها، فتحت الحاسوب، أضاءت شاشته أمامها، سكنت لحظات، قامت بتوصيل القلادة به، انتظرت حتى ظهرت الكثير من الملفَّات أمامها! وهنا توقَّفت يدها، فما الَّذي يجب فعله؟ كيف تستخدم أيًا من هذه الملفَّات لفتحه؟ ظلَّت كثيرًا تحاول دون جدوى، حتى أصابها الضيق، ولم يُصبها اليأس!

ظلَّت بضعة أيام لا تُغادر المنزل أو تذهب إلى المشفى، ظلَّت تحاول فتحه وأيضًا دون جدوى، جاء موعد ذهابها للمشفى لتبديل ضمادتها، أصرَّت **"ريري"** على اصطحابها،

ذهبت وهناك طلبت إلى "**جلال**" أن يصلح لها الهاتف، أخبرته أنه يخصُّها، ففعل، دلفت إلى "**شهد**"، وقفت "**لُولا**" و"**ريري**" أمام الزجاج يتابعانها، وهي تجلس إلى جوارها وتُسهب بالحديث عن شيء ما كأن "**شهد**" تسمعها! ثُمَّ غادرت.

بصباح اليوم الثالث، مرَّ "**جلال**" بالعاشرة صباحًا بمنزل "**لُولا**"، قبل الذهاب إلى المشفى، ومعه الهاتف بعد أن تمَّ إصلاحه، تلهَّفت "**نادين**" إلى الإمساك به، فتحته وراحت تتفحَّصه بدقة لدقائق، اعتلتها تلك النظرة المتعجِّبة، هتف "**جلال**"...

- ما بكِ يا "**نادين**"؟

أشارت للهاتف فأخذ يتفقَّده، وهو لا يفهم شيئًا، لتقول بصوت متثاقل...

- إنه هاتف "**العليمي**".

غمرته الدَّهشة...

- وما الَّذي أتى بهاتف "**العليمي**" إليكِ؟

- لقد كان بالخزينة، أحضرناه مع الحاسوب والأوراق.

عادت وأمسكت الهاتف تعبث به، زاد تعجُّبها...

- إذًا هي لم تكن صديقته!

- ماذا هناك؟ من صديقة من؟

تعجَّب بها، فجلست "**نادين**" بجواره، وهي تشير لشاشة الهاتف...

- كلُّ المكالمات على هذا الهاتف واردة من رقم واحد لا غير، إنه هذا الرقم، وهو رقم دون اسم، وهاتان آخر مكالمتين صادرتين لذات الرقم، هل ترى التاريخ بكليهما؟

جحظت عينه! حين اصطدمت بالعاشر من مارس لعام ألفين وتسعة، بتمام الحادية عشرة والنصف قبل منتصف اللَّيل، والسَّابقة لها كانت بالتاسعة والنصف، ليهتف...

- إنها ليلة مقتل "**العليمي**"!

أمالت رأسها تأكيدًا، وبصوت متثاقل ومحشرج...

- الأولى تمَّت عندما كان كلٌّ من "**شهد**" و"**أمجد**" معه، "**أمجد**" قال أن أحدًا هاتفه! وأخبرهم "**العليمي**" بأنها صديقته، وأن "**شهد**" لم تكن مرتاحة لذلك، الثانية تقريبًا قُرب مقتله.

- لا أفهم ما المهم بذلك؟ ربَّما هي فعلًا عشيقته؟

- اقرأ الرسائل القادمة من ذات الرقم.

أمسك الهاتف بيده، راح يتفقَّد الرسائل، جميعها واردة من ذات الرقم، بدأ يقرأها - «نلتقي اللَّيلة، ما لدي سيثير اهتمامك»، «أنت بنفسك رأيت ما أمتلكه، لن أتنازل عن ما طلبته»، «إياك أن تعتقد أنه يمكنك التلاعب بي»، «لقد علم بمسألة السرقة، يجب أن ينتهي هذا سريعًا»، «لمَ لا تجيب أيها الأحمق، إنه يشكُّ بالجميع الآن وبي، أجب الآن»، «أحدهم بمنزلك». كانت تلك آخر رسالة قبل دقائق من تلك المكالمة الأخيرة.. قالت ساخرة...

- لا أعتقد أن هذه رسائل عشاق!

- بالتأكيد صاحبها كان يعني الحاسوب والأوراق.

- وهل هناك غيرهم؟ غير أنه علم بوجود "**سعد**" بالفيلا لقتل "**العليمي**"!

هبَّت واقفة، تحكُّ مُؤخِّرة رأسها، شرد "**جلال**" للحظة! همَّ واقفًا...

- ربَّما هو شخص كان يعمل لصالح "**كامل**" وسرق منه الأوراق، واكتشف ذلك.

أمالت "**نادين**" رأسها تأكيدًا، وهي غارقة بشيء آخر!

بذات المساء اتَّصلت برقم ما ليأتيها صوت على الطرف الآخر فتقول بهدوء - «أنا "**نادين**"... أنا أفضل الآن، أريد منك خدمة... أريد معرفة من يمتلك رقم هذا الهاتف... نعم لقد أرسلته لك برسالة... حسنًا أنا أنتظر... اسمع أريد مالكه الحقيقي أنت تفهمني». قالتها وجلست إلى حافة الفراش وهي تعبث بالقلادة برقبتها!

***

بعد يومين وبتمام التاسعة صباحًا، حضر "**جلال**" بناءً على رغبة "**نادين**"، الَّتي قالت باهتمام...

- أريد منك معروفًا يهمُّني كثيرًا.

- لا بأس، اطلبي.

وضعت ورقة كانت تطبق راحتها عليها فوق الطاولة، فتحها، لم تكن تحوي سوى اسم واحد - **"فدوى خليل"**، وعنوان! تساءل...

- من هي؟ وما الخدمة؟ هل لديها قضية ما؟

تقدَّمت **"نادين"** وجلست مقابله...

- هي صاحبة الرقم على هاتف **"العليمي"**.

عاود النظر بالورقة، اعتلته تلك النظرة المتسائلة، لتقول **"نادين"**...

- لدي اتصالاتي، علمت اسم صاحبة الرقم وعنوانها، ولم يعد سوى معرفة من هي تحديدًا، وما الَّذي يربطها داخل تلك الدائرة.

- **"كامل"** هو من ربطها بتلك الدائرة.

- ربَّما وربَّما لا..... يبقى السؤال، من قتل **"كامل"**؟ من قتل ثلاثتهم وحاول قتلنا؟

تساءلت بها، رفع طرف عينه نحوها، لتستطرد...

- وخمِّن ماذا أيضًا؟ تلك الفتاة... ميتة... وجدوها ميتة بشقَّتها منذ فترة.

- ماذا؟

هتف بها بدهشة غزته، همَّ واقفًا، لتهمَّ خلفه بالوقوف...

- أريد أن أعلم متى ماتت تحديدًا؟ وكيف؟ أي شيء يخصُّ عملها أو أقاربها؟

- ما الَّذي تُفتِّشين خلفه يا **"نادين"**؟

- حين تخبرني من هي؟ وبأي مكان كانت تعمل؟ وكيف ومتى تحديدًا ماتت؟ سأخبرك ما الَّذي أفكِّر به، قدم لي تلك الخدمة لأجل **"شهد"**.

صمت بحزن اعتلى وجهه، أخذ الورقة ورحل!

بمساء اليوم التالي كانت تجلس بالغرفة أمام ذات الحاسوب، وضعت به القلادة وتلك المرَّة جرَّبت شيئًا مختلفًا، أدخلت عدة شيفرات لم يستجب الجهاز لأي منها، أدخلت أخرى بضيق ملأ وجهها، لحظة وانتفضت عين **"نادين"** بمحجرها! لهثت أنفاسها! اعتدلت بمجلسها وغمرتها الدَّهشة والفرح، حين أضاءت الشاشة بقبول شيفرة الدخول أمامها! فُتح الجهاز! كان يمتلئ بملفَّات كثيرة، راحت تحاول فتحها واحدًا تلو الآخر، وجميعها كان مُشفَّرًا، لكن تلك المرَّة كان الحظ أكثر من حليفها، نجحت ذات الشيفرة بفتح جميع الملفَّات، لتهطل المعلومات على الشاشة الصغيرة أمامها كشلال جارف، توقَّفت أمام ملف بعينه، كان يحوي مقاطعًا بالصوت والصورة، فتحت بعضًا منها، توقَّفت أمام مقطع بغرفة نوم! حينها انتفضت من مجلسها، تستند إلى حافة المكتب بكلتا يديها، تدفع جسدها بعيدًا، وتحادث نفسها بصوت مصدوم حد التلعثم - «أنـ.. أنا أعرفك!» تصنَّمت بموضعها أمام صورته! فُتح الباب فجأة لتجد **"جلال"** يقف أمامها وهو يلهث! من خلفه **"ريري"** بدهشة تغمرها، وهو يصرخ...

- لن تُصدِّقي من هي **"فدوى خليل"**؟

لتنظر نحوه **"نادين"** وما زالت صدمتها تملأ كلَّ ذرة بها...

- دعني أخمن... عشيقة رئيسهم!

أدارت شاشة الجهاز نحوهما، لتصطدم عينهما بصورته، تصنَّم الجميع بموضعه!

***

جلست **"ريري"**، بمقابلها **"نادين"** و**"جلال"**، بوسط الطاولة كان الحاسوب مفتوحًا على ذات الملفَّات الَّتي تحوي أسماءً كثيرة وأرقامًا متعددة! بدأت **"نادين"** بفضِّ جميع الملفَّات أمامهما على الشاشة واحدًا تلو الآخر، ليهتف **"جلال"**...

- الآن بات كلُّ شيء مفهومًا.

هتفت **"ريري"** وهي تنظر نحو **"نادين"**...

- هلَّا تخبرينني ما الموجود بهذه الملفَّات، فأنا لا أفهم الكثير.

- جميعها أشياء لا تودين التورط بها.

هتف بها **"جلال"**، لتقول **"ريري"**...

– هل يمكنكما الحديث باللغة العربية من فضلكما؟

– ما يريد قوله أن بداخل تلك الملفَّات كلَّ قاذوراتهم من صفقات مشبوهة، أرصدة في البنوك الخارجية، أسماء شركات وهمية، هؤلاء القوم يفعلون كلَّ شيء، وأي شيء، تلك ملفَّات غسيل أموال.

هتفت بها **"نادين"**، لتتساءل **"ريري"**...

– غسيل أموال؟!

– هي لم تتَّسخ كي تغسل، بل مذ البداية كانت قذرة، من أموال سلاح وخمور، تجارة أعضاء ومخدرات، الإتجار بالعملة، الإتجار بالأطفال والجنس، وكلُّ تلك الصفقات القذرة من استيلاء على أراضٍ تخص الدولة، وأي شيء قذر تتوقعينه ولا تتوقعينه موجود هنا، بها كلُّ شيء عن تعاملاتهم في غسيل الأموال، هذا غير الملفَّات الَّتي تحوي أسماءهم وحساباتهم بالخارج، فهم يستلمون تلك الأموال المشبوهة ويقومون بتهريبها للخارج، وإعادتها عن طريق شركات وهمية، في صورة مشروعات شرعية، سياحيَّة وتجاريَّة وغيره لتبدو قانونيَّة ونظيفة.

كان هذا **"جلال"**، فهتفت **"ريري"** بتعجُّب...

– يا إلهي إنهم يسرقون ويزورون مثلنا!

– كلَّا فأنتِ لم تصلي هذا المستوى من احتراف القذارة بعد، أمَّا هؤلاء الموجودة أسماؤهم بتلك الملفَّات فهم محترفون في كلِّ أنواع الوضاعة والخسَّة، أنتِ ربَّما تسرقين أموال شخص ما وإن كانت هي كلَّ ما يمتلك فلن تسرقيه، أمَّا هؤلاء فيسرقون الجميع، يسرقون دماءهم وأعراضهم قبل أموالهم، هم لا يسرقون شخصًا بل دولة بأكملها.

هتف بها **"جلال"**، لتقول **"نادين"**...

– قتل **"العليمي"** لم يكن لسرقة أوراق **"صادق"**، بل كان من أجل سرقة هذه الملفَّات، فهو ذاته اسمه وارد بأكثر من ملف يخصُّ الخمور والمخدرات وأراضي الدولة.

هبَّ **"جلال"** واقفًا وهو يقول...

– **"فدوى"** كانت سكرتيرة رئيسهم وعشيقته! وقعت بيدها الملفَّات والعقود، أرادت الاستفادة منها، قامت بسرقة الحاسوب، لأنها لم تستطع سرقة الملفَّات من

داخله، اعتقدت أنه لن يشكَّ بها خاصَّةً حين أخذت ملف العقود معه، قرَّرت بيعه إلى "**العليمي**"، الَّذي اشتراه بالفعل.

– لكن كان يبقى فتح الملفَّات، وهنا أتى دور "**شهد**"، عن طريق "**أمجد**".

هتفت بها "**ريري**"، لتستطرد "**نادين**"...

– اكتشف خيانتها، أرسلوا "**سعد**" تلك اللَّيلة إلى "**العليمي**" ليقتلهما فقد اعتقدوا أنهما معًا لإتمام الصفقة، وليحصل على الحاسوب، كانت "**شهد**" هناك، بالمكان الخطأ كما أخبرها "**سعد**"، علمت "**فدوى**" بطريقة ما أنه بفيلا "**العليمي**"، أرسلت الرسالة لـ"**العليمي**" لتحذيره، وهي من اتَّصلت بالشرطة، فقد كان الصوت لامرأة، على أمل أن تصل الشرطة قبل قتلهما، إلا أنهم تأخَّروا، حين لم يجدها "**سعد**" أو الحاسوب بالفيلا وصل إليها وقتلها.

– "**شهد**" أيضًا رأت "**سعد**" بدليل الرسالة المُشفَّرة، لكنها لم تتعرَّف إليه؛ فرمزت له بالعقرب، ورأت الحاسوب بالخزينة ورمزت لها بالتوليب، اعتقدت أنها تستطيع الخروج، واعتقدوا أنها تعلم سرَّهم الملعون، لذلك يريدون قتلها بأي ثمن؛ فهم لا يُصدِّقون أنها لا تتذكَّر.

كانت تلك "**ريري**"، وقد همَّت واقفة، ليهتف "**جلال**"...

– إذًا خيوط اللعبة تبدأ وتنتهي بهذه الملفَّات، "**شهد**" و"**هنا**"، "**كامل**" و"**أمجد**" و"**صادق**" ومن قبلهم "**العليمي**" و"**فدوى**"، كلُّ تلك الدماء لم تكن سوى لأجل هذه الملفَّات، الجميع أرادها.

– حسنًا... ماذا الآن؟

كانت تلك "**ريري**"، هتفت "**نادين**" بضيق وهي تطبق كفَّها على القلادة...

– أعتقد أنه آن الأوان ليُسدِّد كلٌّ منَّا فاتورته.

رمقت الشاشة بنظرة طويلة، حين هتفت "**ريري**"...

– أرى أن القائمة طويلة.

– وأقول أننا لو اقتلعنا جذورها ستقع دفعة واحدة.

كان هذا "**جلال**"، لتهتف "**ريري**"...

- أتقصد...؟

- بالضبط.

همَّت "**نادين**" واقفة، وهي تشير نحو صورته على الشاشة...

- لا يهمُّني من أين تبدأ النهاية، هذه الملفَّات لك يا "**جلال**"، افعل بها ما تريد، كلُّ ما أريده هو! فما زال لدينا حساب لم ينتهِ بعد، وآن الأوان لإنهائه، لقد سلبني كلَّ شيء، وسوف أسلبه كلَّ ما يمتلك!

***

باليوم الثالث، وبتمام التاسعة مساءً كان يصعد سلالم قصره إلى الدور العلوي، كان يزفر بضيق، يطبق يده على مُغلَّف صغير! راح يتلعثم بأنفاسه كما حروفه الَّتي لم تُكوِّن كلمة واضحة من فرط غضبه! فتح باب مكتبه مُتعجلًا، أغلق الباب بالمفتاح من الداخل! اتَّجه نحو مكتبه، فضَّ المُغلَّف، وضع الأسطوانة الَّتي كانت به داخل الحاسوب أمامه، بدأت الأسطوانة ببثِّ مقطع بالصوت والصورة داخل غرفة نوم، تصلَّبت حدقتاه، كما دماؤه! راح عرقه ينهمر على جبينه بشدَّة! أمسك بالمُغلَّف يقرأ بعينه الحانقة حروفًا خُطَّت فوقه - "**الآس**". أطبق يده على المُغلَّف بضيق ثار بكلِّ قطرةٍ من دمائه، يصرخ بغيظ مكظوم كاد يوقف قلبه، يلعن تلك العثرة الَّتي ما زالت تطارده حتى وروحها تسكن بعالم آخر! ماذا يفعل أكثر من هذا ليتخلَّص منها؟! دقَّ المكتب بكلتا يديه بحنق وقبل أن يهبَّ من موضعه...

- أعتقد أن زوجتك ستستمتع كثيرًا بهذا المقطع.

توقَّفت أنفاسه وانتفض قلبه في موضعه، أجفله الصوت الَّذي راحت تظهر صاحبته من خلف ستائر شرفته، بخطوات مُتثاقلة، تُوجِّه مُسدَّسا نحو رأسه، ظلَّ لحظة بموضعه، مَن تلك الَّتي ظهرت من العدم؟ وكيف وصلت إلى مكتبه داخل قلعته الخاصة؟! حين تلعثم...

- كيف...كيفـ...

- أتعني كيف دخلت إلى هنا؟

تبسَّمت "**نادين**" من جانبها بحنق، وبصوت ساخر...

- أنت خير مَن يعلم أن للمال سحر خاص، يمكنه فعل المعجزات، وكسر كافَّة الحواجز.

وقبل أن يتفوَّه بشيء آخر، أشارت نحو الحاسوب أمامه...

- أتمنى أن تكون قد استمتعت بمشاهدة نفسك في هذا الوضع...

صمتت لحظة، وعادت لسخريتها...

- أنت تعلم... جميلةٌ هي "**فدوى**"، من يلومك للغرق ببحر فتنتها وجمالها الشهي وشبابها؟! أعتقد أنه لم يكن من السهل عليك اتِّخاذ قرار قتلها، أعني انتحارها... حمقاء أنا بالطبع، كان سهلًا فقد خانتك وباعتك لـ"**العليمي**".

قفز غضبه بوجهه حين همَّ للحركة، عدَّلت من وضع مُسدَّسها أمامه...

- أعتقد أنه لا يجب أن تتحرَّك كثيرًا؟

- من أنتِ؟

- أنا شخص أخذتم منه كلَّ شيء، سلبتموني كلَّ ما أمتلك.

- أنتِ إحدى الأخريات، الآن فهمت، كان يجب عليّ إبادة أربعتكم دفعة واحدة.

قالها وهو ينظر نحو المُغلَّف تحت يده، فزع بضيق في وجهها...

- أنتِ حقًا فقدتِ عقلك! حتي تأتين إلى بابي وتُوجِّهين سلاحًا إلى وجهي، أنتِ لا تعرفين مَن أنا يا فتاة؟

– على العكس تمامًا أنا خير مَن يعلم مَن أنت!

قالتها باستنكار زاد غضبه، تقدَّمت خطوة للأمام بسخرية سكنت وجهها...

– أنت هو المُطالب بالحريات، الصارخ بالأخلاق والفضيلة، المدافع عن الحقوق الضائعة.

صمتت وبنظرة كره ملأها، وغادرتها ابتسامة السخرية...

– غير أنك نسيت أن تخبرهم بأنك من سرقها...... يا "**رفيق**" بك.

وبصوت شابه الصراخ...

– "**رفيق بك الأسواني**"، المعارض الجسور لكلِّ ما هو فاسد، يكون هو الجذور الَّتي تحمل شجرة الفساد كاملة! المعارض الشجاع لهم نهارًا، كلب يسيل لعابه بين قاذوراتهم ليلًا.

– أيتها الحشرة، ليس لديكِ شيء يُثبت هُراءك!

أمالت رأسها بإشارة نحو الأسطوانة، وهي تُزيد بنظرة تحدِّيه الصارخة...

– لدي الكثير إن لم تكن تعي، كلُّ ما يحتويه الحاسوب صرت أمتلكه.

صمتت لحظة وهي تبتسم، وتحكُّ جبهتها بفُوَّهة المُسدَّس...

– بالحقيقة أنا أكذب فما عدت أمتلكها، جميعها أرسلتها هدايا للشرطة، واحتفظت بنسخة واحدة، ألا تريد أن تعلم لمن؟

لم يجب "**رفيق**" بشيء، زادت بسمة كرهها، نظرت نحو الصورة الموضوعة فوق مكتبه! لتجحظ عينه وهي تنظر نحو "**نادين**" الَّتي استقرَّت عينها بصورة ابنته "**جميلة**"، هتفت بذات سخريتها الحانقة...

– أرجوك لا تشكرني لأنني أهدي ابنتك سبقًا صحفيًا، سيضعها بالمقدِّمة، لن

تحصل عليه ولو انتظرت ألف عام أخرى على عمرها.

رفع رأسه وقد توقَّفت كلُّ حواسه عن الحياة فجأة، أشارت له ليبتعد عن المكتب، تقدَّم بخطوات مُتثاقلة وهو يكزُّ أسنانه...

- لن تخرجي من هنا على قدمك.

- ومن أخبرك أنني أريد الخروج، لن يخرج أحد على قدميه، اللَّيلة... جميعنا قتلى!

قطب حاجبيه بتعجُّب، أشارت له بسحب كرسي ووضعه على مقربة من الشرفة ووجهه للخارج! ففعل، أتتها رسالة على هاتفها، نظرت بها، تبسَّمت من جانبها! هتف بهدوء مغرور عاد يعتليه...

- ما زلتِ لا تفهمين يا صغيرة، كلُّ شيء سينتهي وأنتِ معه، ولن يُصدِّق أحدٌ كلَّ ما لديك، أعرف جيدًا كيف سأخرج من هذه الفوضى، وبعدها سأكون بطلًا يهتفون باسمه في مهاجمة الفساد، وأصدقاؤك سأحرص على موتهم جميعًا تلك المرَّة، سأتركِك تحيين لتري ذلك بعينك وبعدها سوف أقتلك بيدي.

اقتربت من أذنه، وهمست بابتسامة هادئة...

- أعلم.... أعلم أنك ستجد ألف طريق لتُبدِّل الحقائق كما تفعلون دومًا، أعلم أن شجرة فسادكم تمتد جذورها حتى وصلت لقلب الأرض فصارت موبوءة وكافَّة زروعها فاسدة، صرت أعلم أن الدائرة كبيرة وتتَّسع لمن هم أعلى منك قوةً ونفوذًا، شركاء الفساد من تهاجمهم نهارًا وتلعق أحذيتهم ليلًا، أعلم أنهم سيحرصون على طُهرك الموبوء وأخلاقك العفنة، فلن يكفيك اعتذارًا رئاسيًا لأجل كرامتك المذبوحة، بالحقيقة أنا أعلم كيف ستنتهي تلك الفوضى لكن أنت الَّذي لا يعلم.

رفع حاجبه بابتسامة مُتعجِّبة، ليقطع ابتسامته نصل سكين على رقبته! تلعثم بحروفه قبل أنفاسه ونبضاته الَّتي انكمشت بين ضلوعه...

- ما الَّذي تفعلينه؟ أنتِ لن تقتليني؟

ضحكت بسخرية...

- أنا لست بتلك الطيبة، أتعتقد أنني سأقتلك... كلَّا أنا لست رحيمة أو غفورة، انظر للأعلى يا "**رفيق**" بك... فالرحمن الغفور يسكن السماء، أمَّا نحن فنسكن الأرض.

زادت بضغط نصل السكين على رقبته...

- لكن هذا لا يمنع أنك إن اضطررتني سأفعلها، فأرجوك لا تفعل، فما زلت أحتفظ لك بهديَّة خاصَّة! ستدلف في أي لحظة من باب قصرك، فلا تبعد ناظريك عنه!

سكنت الدَّهشة وجهه كما صدره! لكن الخوف كان له النصيب الأكبر! رنَّ هاتفها، لكنها لم تجب! انحنت نحو أذنه وهي تهمس...

- هل تعلم كم بريئًا قتلت يا "**رفيق**" بك؟ كم طفلًا اختطفت من حضن أمه لتبيعه أجزاءً بسوقك السوداء؟ كم فتاةً تاجرت بعرضها ومات أبواها حزنًا عليها؟ وهما لا يعلمان إن كانت حيَّة أو ميتة؟ حمقاء أنا.. بالطبع لا تعرف، هم رعاع، مُجرَّد قمامة، حمل زائد، يستحق التخلُّص منه، لكن بالحقيقة أنت مُحق، نحن أناس لا نستحق سوى أن ندفن أحياء، لا نستحق سوى البيع بسوقكم السوداء، أتعرف لماذا؟

صمتت لحظة، وهي تزيد ضغط السكين على عنقه...

- لأننا تركناكم تعيثوا فينا فسادًا دون أن نُحرِّك ساكنًا! لأننا ننتظر أن يخرج عُمرٌ من قبره لينصفنا، أو ينشق التراب عن المعتصم فيحمينا، نحن من خَذَلَنا وتَرَكَنا ذبيحة بأيديكم.

صمتت لحظة ورمقت شاشة هاتفها، وهي تهمس بحنق...

- أنت لم تسمع صرخة أم سلبتموها قطعة من قلبها! لم تُجرِّب أن تفقد جزءًا منك! لذا دعني أخبرك كيف يكون شعور من يُسلخ قلبه حيًّا من بين ضلوعه! فأنا خير من يعلم

كيف يكون والفضل كله يعود إليك، فدعني أرد الجميل.

أنهتها وأشارت نحو الباب الخارجي لقصره! دلفت سيارة سوداء عصريَّة وشبابيَّة، توقَّفت أنفاسه فتلك السيارة يعلمها! هو من اشتراها لفتاته الصغيرة يوم عيد مولدها الحادي والعشرين!

وصلت "**جميلة**" بسيارتها، انتصب بمجلسه، أطبق كلتا راحتيه على ساعد الكرسي، أطبق عليه بقوة، لم تعد تجرؤ أنفاسه على الخروج، تباعدت دقاته، لم تعد تلتقي واحدة الأخرى، شقَّت الدموع جفنيه وهو يحاول الصراخ...

- كلَّا... كلَّا... كلَّا... ليس هي... ليس "**جميلة**"، اقتليني أنا... افعلي بي ما تريدين وليس هي، ليس "**جميلة**".... أرجوكِ.

أطبقت "**نادين**" كفَّها اليُمنى على ذقنه وهي تُوجِّهها نحو مدخل القصر، وتلك الَّتي تقف على باب سيارتها، تُلملم أشياءها، ودموعها سيلًا على جبينها من صدمة تلك الأوراق الَّتي وصلتها، فلا تُصدِّق ما رأته عيناها، أحقًا هذا الشيطان هو والدها؟! يكاد نبضها يقف فزعًا، كما نبضات والدها بين ضلوعه بالأعلى! لتقترب "**نادين**" أكثر من أذنه...

- الرحمة تأتي من السماء وليس من جحيم صنعته بيدك لنا على الأرض، سيدي المدافع عن حقوق البسطاء، وأكثر من يطالب بالمساواة والعدل والاقتصاص لأجلهم! فأبشر، اللَّيلة سيتحقق العدل الَّذي تصرخ به، لتكون أوَّل من يتذوَّقه.

صرخ "**رفيق**" بجميلته، لترفع طرف عينها الباكية للأعلى، ويدها تحتضن الأوراق، لتقف حدقتاها بمحجريهما فجأة! تتساقط الأوراق من بين أناملها! تخفض رأسها وما زالت لا تعي من أين جاءها هذا الألم الجسدي المُفاجئ بصدرها! تخفضه أكثر فتصطدم عينها بدماء تنسلُّ من صدرها! تختلط بلونها الأحمر وسترتها البيضاء، عادت ترفع طرف عينها المذعورة للأعلى لتصطدم بعين والدها، الَّذي توقَّفت عيناه بمحجريهما،

لم تقوَ ذرة داخله على الحراك، توقَّفت أنفاسها واختلَّ توازنها، دوت الثانية بين ضلوعها لتسقط على ركبتيها والدم ينهمر منها، تيبَّس جسده وعينه تشهق بآخر أنفاس جميلته، نبضاتها تغادر صدره، لتسيل الدماء من فمها جمرًا يحرق ضلوعه، تعالت صرخات زوجته وهي تحتضن جميلته، لكنه لم يسمع ولم ير سوى تلك النظرة الفارغة المذعورة على وجهها لحظة سقوطها، ظلَّ راسخًا بموضعه لا يُحرِّك ساكنًا، لم يعد بجسده حول ولا قوة، توقَّف عقله بين عينها وبسمتها، سمع الصرخات والهتافات داخل قصره، الكلُّ يركض ويصرخ بجنون نحو جميلته الَّتي سكنت آخر نظراتها بعينه!

انسلَّت هي من خلفه بهدوء خافت لم يشعر به كما حضورها، كأنها لم تكن هنا منذ البداية! بدت الحجرة من حوله كما بيوت الأشباح خاوية، لم يعد يسكنها سوى رائحة الحسرة والألم والموت، غادرت وسط تلك الفوضى فلم يشعر بها أحد.

سرقتها خطواتها وسط القبور، وصلت ذات القبر، دفعت بابه فانفتح، دخلت، وتركته مواربًا خلفها، وقفت أمام شاهد القبر، لحظات وسقطت على ركبتيها، راحت تصرخ وتصرخ دون توقُّف، تزلزل صرخاتها القبور، تشقُّ السماء وتشقُّ معها صدرها، لم يوقفها سوى تعب صوتها من كثرة الصراخ، خوار قواها من شدة الألم، سقط نصفها العلوي على الأرض، تكوَّمت في نفسها كما الوليد في بطن أمه، كانت تشعر وسط أرواحهم المُحلِّقة فوقها أمانها الخاص، لقد شعرت بأيديهم تُحوِّطها وتضمها بحنان، ظلَّت ساكنة على بركان غضبها وسكنت كلُّ ذرةٍ بها، إلا تلك اللحظة داخل السيارة! حين استردَّها صوته الَّذي أجفلها للحظة...

- "**شهد**"!

رفعت رأسها عن الأرض، لتجده يقف أمامها ويتقدَّم خطوة...

- "**شهد**"... أنتِ هي! أنتِ.... "**شهد**"!

ظلَّت تنظر نحو **"جلال"** بطرف عينها الغارقة بالدموع، والَّذي زادت خطواته نحوها، تبسَّمت من جانبها بحزن جارف، ما زالت منكمشة داخل ذاتها، لتُعيد رأسها إلى الأرض وتغرق بتلك اللحظات الأخيرة قبل الانفجار.. «ما كان كلُّ هذا ليحدث دونك يا صديقتي، ما كنت لأصل لتلك البراءة لولا أنك كنتِ إلى جواري يا **"نادين"**، فأنتِ كلُّ ما تبقَّى لي في هذه الحياة... حمقاء أنتِ أختي، وليس لي أحد سواك... مدَّت **"شهد"** يدها ونزعت القلادة عن عنقها لتمدها نحو **"نادين"**، لتزداد بسمتها المتعجِّبة وهي تتساءل... ما هذا؟ تزداد بسمة **"شهد"** الحنونة... أريدك أن ترتديها ولا تنزعيها أبدًا، فأنتِ الوحيدة الَّتي بت أثق بها الآن، أنتِ الوحيدة الَّتي أشعر بأنها جزء مني... لتتألق عين **"نادين"** بدمعة فرحة وهي ترتدي القلادة!» لحظات ودوى الانفجار، لم تعِ **"شهد"** بعده شيئًا سوى بالمشفى لحظة إفاقتها الثالثة لتعلم بما حلَّ بـ**"نادين"**! عاودت الإجهاش في بكائها، هبط **"جلال"** أرضًا ليضمَّها لصدره ويهتف من بين دموعه...

– رغم كلِّ شيء... أكاد أقسم أنني منذ اللحظة الأولى الَّتي نزعوا بها الرباط عن عينيك قد ميزتها، هذه العيون الَّتي سكنتني ما استطعت التخلص من لعنة غرقي بها.

قالها وزاد بضمِّها إلى صدره حتى غاصت بين ضلوعه، ظلَّت تجهش في البكاء وتصرخ بحضنه كطفل صغير، لم يحاول إسكاته، بل تركه يصرخ ويصرخ، حتى غفت.

تمَّت بحمد الله